

المهدي المنجرة الحرب الحضارية الأولى



إهداء 2005

جمعية أصدقاء المكتبة

المغرب

المهدي المنجرة

هدية من الجمعية
المغربية لأصدقاء
مكتبة الإسكندرية

الحرب الخاضعة الأولى

مُسْتَقْبَلُ الْمَاضِي وَمَاضِي الْمُسْتَقْبَلِ

الطبعة السابعة

الكتاب : الحرب الحضارية الأولى

المؤلف : الدكتور المهدي المنجرة

الطبعة : السابعة 2001

تصنيف وإخراج: كوادري كرومي QUADRICROMIE

المطبعة : النجاح الجديدة – الدار البيضاء

الإيداع : 558 / 1991

سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه
الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد

سورة فصلت

الطبعة السابعة

في نقاش حول مستقبل العلاقات الدولية، ببرنامج بالمحطة التلفزيونية اليابانية K.H.N ، يوم 2 أكتوبر 1986، عبر الخبير المستقبلي "المهدي المنجرة عن يقينه أن الحروب القادمة ستكون حضارية. وأكد هذا المفهوم في حوار مع الألماني "دير سبيكل"، عام 1991 هادفاً بذلك إبراز دور القيم الحضارية والثقافية في إنكفاء الصراع الدولي وفي الفصل العاشر من كتابه "صدام الحضارات"، الصادر عام 1996، يعترف "صامويل هانتنكنتون" بمرجعية مفهوم "الحروب الحضارية" للدكتور "المهدي المنجرة".

وقد بلور مفهومه هذا، بإمالة اللثام عن الماورائيات المضرة في حرب الخليج الثانية، وعن طبيعة الصراع العربي الإسرائيلي المضمرة تحت لواء الحروب الحضارية، مؤكداً أن الانتفاضة الفلسطينية ليست مجرد حدث عرضي سينتهي بمجرد انطفاء فتيله، ما دامت مجمل مسبباته داخلية، منبعها الجسد العربي المنشطر، المنبطح، وهي الفكرة التي اختمرت في هذا الكتاب مطلع التسعينات من القرن المنصرم، لتتضح مطلع القرن الآتي، كتابه (انتفاضات في زمن الديمقراطية)، متجاوزاً بذلك في رؤياه مفهوم الانتفاضة القطرية، إلى انتفاضات عربية وثالثة، في زمن طغت فيه الأقنعة حتى أسقطت نفسها.

وهذا ما تعبر عنه لوحة الغلاف التي لا تعدو أن تكون هي الأخرى انتفاضة فنية للمبدع "أحمد بن يسف"، اصطحبها بكلمات تعكس المجسد باللوحة والكتاب. عندما انحبس مفهوم "الحرب الحضارية، لأول مرة، عد من قبل الكثيرين وقاحة ومبالغة إلا أن هذه الوقاحة جعلت المفهوم معتمداً في الدراسات والأبحاث المتعلقة بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية، كما منحت الكتاب -الذي تكلم فضلاً عن لغة الحقيقية الواقعة والمتوقعة، لغات عدة : العربية، الفرنسية، الإنجليزية واليابانية - سيرورة الصدور للمرة السابعة بالمغرب والطبع ببلدان عربية كالجزائر، مصر ... وأخرى غير عربية كاليابان الذي تنتظر أسواقه الطبعة الثانية، بعد نفاذ الطبعة الأولى، بالإضافة إلى نشره على صفحات الانترنت باللغتين، الإنجليزية والفرنسية.

ونجاح الكتاب دفع بالمؤلف إلى إنشاء جائزة التواصل الثقافي شمال، جنوب، إيماناً منه بأن الخطاب التواصللي لا الاستعلائي والتعاون الفعلي لا الإدعائي بين الشعوب أليتان لا مندوحة عنهما، لاستمرار التلاحق الحضاري والإنساني.

تتزامن هذه الطبعة ونشوب الحرب الحضارية الثانية، التي ستوقع عملياً على بداية نهاية الهيمنة الأحادية. ويعد هذا نتيجة طبيعية لتبني منطق القوة بدل المنطق التحاوري مع الشعوب والأمم، التي عانت في ظل ما يسمى بالنظام الدولي الجديد من اختلال هذا الأخير، وكمنهجيته وسعيه للحفاظ على مآربه نظير امتصاص دماء الضعفاء. هؤلاء الذين أذيقوا ويلات الحروب العسكرية الدولية والأهلية والإقليمية، وكذا الحروب الاقتصادية والمحاصرة والتفاوتات المجتمعية الصارخة، وغياب الديمقراطية وحقوق الإنسان... وانتشار "الذقراطية".

لوحة الغلاف... مرة أخرى

أحمد بن يسف

اقول مرة أخرى . لأنها المرة الثانية التي اقوم بكتابة حول ما قدمته في لوحة لغلاف الكتاب ، خاضعا لموضوعه او بالاحرى انها قراءة تشكليه في محتوياته تحت عنوان " الحرب الحضارية الاولى مستقبل الماضي وماضي المستقبل ". فلا بأس بان اذكر القراء الاعزاء لهذا الكتاب ان تجربتي الاولى من هذا النوع كانت على صفحات سلسلة شراع الشهرية في عددها الثاني والعشرين " المقاومة الريفية للاستاذ والباحث محمد خرشيش والتجربة الحالية تخضع لنفس المنهاج منهاج المقاومة والدفاع عن القيم والكرامة الانسانية واحتجاجا على خلفيات ومخلفات حرب الخليج على الشعب العراقي بالاضافة الى العلاقة الحميمة التي تجمعني بالصادق المهدي المنجرة ووحدة الرؤية في شتى المواضيع والتقدير والاحترام التي اكنه لمواقفه وافكاره النيرة. ان مفكرا من طينة الدكتور المهدي المنجرة يصعب على فنان تشكيلي ترجمة اعماله وافكاره الى لغة التصوير او التشكيل ولكن مهما كانت مثل هذه الصعوبة داخل كل اللمسات التي تكون لوحة الغلاف فهي انفعالات باطنية تعكس جوهر الموضوع منبعثة من نفس المنبع والتجاوب رغم اختلاف لغة التعبير. إن لوحة غلاف الكتاب " الحرب الحضارية الاولى مستقبل الماضي وماضي المستقبل " ، مركبة وموزعة على قسمين: يفرقهما خط او فضاء افقي يفصل بين الارض والسماء ، بين الحياة والموت. بين المعتدى والمعتدى عليه . ففي القسم الاسفل " الارض " وما عليها من حياة. واطلال وسلام ، وثقافة مقصودة مستهدفة بضربات جوية بالقنابل والغازات من القسم الاعلى بطائرة حربية على شكل حمامة مرسومة بكل حرية ، و التصرف في التقنية لخلق انسجام بين القسم الأعلى و الأسفل بخطوط و اشكال و ألوان تربطهما بالحدث و المدلول الادبي و الفلسفي و الواقعي للموضوع .

وفي نفس الوقت تعطى للوحة الايقاع و الاتزان و الانسجام بين ما يحصل بين القسمين - إن هذه الخطوط و الاشكال و الالوان مطروحة بكل حرية مع اختيار النماذج المستعملة لبناء هذا العمل سواء من باب الفلسفة أو الموضوع أو التركيب. لا تخضع لقانون التقنية الكلاسيكية . ففي عالم الخلق و الابداع ، لا بد من معرفة التقنية و تجاوزها أحيانا فاهتمامي الاول في العمل الفني، هو النتيجة الايجابية للوحة قبل الخضوع لقوانين التقنية و الاكاديمية ، قد تكون في بعض الاحيان تجسيد الحس و الفكر و التقيد بها وتكون لها مردودية سلبية على العمل، مع العلم ان معرفتها تمنح للمبدع حرية التعبير ، وهذا سيكون في رأي بعض القراء تناقضاً . نعم انه تناقض ايجابي في هذا الميدان و لا يوجد اي فن من الفنون بدون جدل حاد داخلي مشحون بكثير من الشك ، فعلى سبيل المثال إن هذه اللمسات و الاشكال المذكورة لها سيكولوجياتها ، و تنتهي بريشة حمامة طبيعية اصلية ملصقة على أجنحة الحمامة، هذه الحمامة التي يقول فيها وعليها الصديق و الاعلامي خالد مشبال " هذا الطائر الوديع الذي يرمز للمحبة و السلام دواء بن يسف الناجع لكل الحالات المستعصية التي يشخصها في موضوعات رسمة ". في موضوع لوحة غلاف هذا الكتاب ان الحمامة لها وظيفة و دلالات اخرى تختلف و تتناقض مع شعارها و رمزها المعروف و المؤلف، فاللوحة لها عدة قراءات، الغاية ، الوسيلة و المادة المستعملة ، و الوظيفة، و ربط هذا كله بالمكان و الزمان و الحدث المطروح. ان هذه اللوحة مرسومة بتقنية مختلطة، ألوان مائية شفافة و ثقيلة و كولاج collage متصرف في هذه التقنيات ، منطلق من الكتاب و الحدث الذي ما زال يعاني منه الشعب ... و الشعوب، إذا كان هذا المحرك الاساسي منبعثا من الانفعالات الباطنية التي تكسر كل المفاهيم التقنية الكلاسيكية ، و تحمل المبدع إلى عالم التقنية الطبيعية و الشخصية. إن لغة التشكيل هي في الحقيقة صعبة التحليل و التنظير و خصوصا لما يسند الأمر لصاحب العمل نفسه. فالألوان و درجتها و الخطوط و الرسوم و التراكيب و التوازن بينهما يحمل تعابيرا و رموزا و أحاسيسا تحدث المغالطة الشعورية، و اختلاف الرؤية و الاحاسيس إلى نفس المنظور . مع العلم ان المتلقي ينطلق بفكرة ثابتة بأن الصورة أو اللوحة لا بد أن تروي قصة أو تطرح موضوعا ، وإذا كان هذا أحد محتويات اللوحة إلا أنه لم يكن وظيفة الفن الوحيد. ففلسفة اللوحة ومكوناتها الجمالية عديدة، ومركبة وينحصر أو يتسع أفقها حسب حاسية المتلقي أو المشاهد. وكم مرة يحس الفنان بعجز عن إعطاء شروحات على ما قدمه، ويرر عمله وطريقته لرسم الأشياء بأنه " يحس أو يشعر بها هكذا " مرة كتب لي صديقنا المفكر و الكاتب خوان كويتيسولو " أن الكلمات لا يمكن لها ان تعبر عما تعبره أنت بالألوان ". وفي هذا الشأن قال الفنان الانطباعي الفرنسي كلود منط Claude Monet كل العالم يحب ان يفهم فن الرسم و المهم هو أن يحبه

... و لا غالب إلا الله .

إهداء

أهدي هذا الكتاب لأرواح ضحايا جميع الشعوب، من جميع الأجناس، ومن جميع الثقافات، ومن كل فصيلة وعمر، ومن جميع الأزمنة، الذين سقطوا أو عانوا مآلها أو معنوا من تحرشات وعنف المدنيين والعسكريين، الناتجة عن اللامبالاة والشطط في السلطة لإنتهاك الحريات المدنية، وفرض هيمنة ثقافية واجتماعية قطرية أو دولية، تهدف للحد من التعددية السياسية وتحول دون التنوع الثقافي.

أهديه لذاكرة 350,000 قتيل، من بينهم ما بين 200.000 إلى 250.000 قتيل فعلي، وما بين 100.000 و 150.000 مهددون بالقتل خلال السنة المقبلة، و 700.000 جريح، وأهديه أيضا إلى أزيد من مليون طفل وبالغ، يشكون من معوقات شتى من جراء الإبادة الناتجة عن الحرب العالمية الأولى حقا، والتي واجه فيها بلد واحد يضم 17 مليون نسمة، كتلة مكونة من 37 دولة تضم قرابة 1500 مليون نسمة، ومقاتلة من طرف جحافل الدمار المتجسدة في ثلاث قوى غربية، أعضاء في مجلس «الأمن».

أهدي هذا الكتاب أيضا لمستقبل الذاكرة الجماعية للإنسانية التي لا يمكنها أن تنسى بتاتا، ولجميع المدافعين عن السلام.

المهدي المنجرة

يخصص المؤلف مدخوله من هذا الكتاب
لتشجيع البحث العلمي المستقبلي الخاص
بالمواجهة الحضارية بين الشمال و الجنوب

تقديم عام

يأتي هذا الكتاب مساهمة من الدكتور المهدي المنجرة لتسليط الأضواء على ما جرى ويجري داخل منطقة الخليج والعالم العربي والإسلامي والعالم الثالث خاصة. يتميز هذا الكتاب بتنوع الزوايا التي كتب فيها المؤلف عن هذه الحرب في أبعادها الأربعة: العسكرية والحضارية والسياسية الاقتصادية والاستراتيجية. غير أن الرابط الذي يجمع كل هذه الزوايا هو الرغبة الملحة في استشراف المستقبل استشرافاً علمياً يستند إلى أدق مناهج وآليات البحث المستقبلي، وهو ما يبرر الربط الذي نجده في هذا الكتاب بين حرب الخليج وبين مستقبل العالم الثالث الذي تمثل هذه الحرب في تاريخه تحدياً هيمنياً جديداً.

يتكون هذا المؤلف من أربعة فصول كبرى ومتتابعة: الفصل الأول الذي ينطلق من 2 غشت 1990 إلى حدود 17 يناير 1991، تاريخ اندلاع العدوان على العراق؛ وهي المرحلة التي يسميها الدكتور المهدي المنجرة بمرحلة «عهد ما بعد الاستعمار»؛ وتتضمن مقالات وحوارات أنجزها المؤلف خلال مرحلة ما قبل الحرب، يحلل فيها أبعاد الأزمة وآثارها وأسبابها، ويتنبأ فيها منذ 12 أكتوبر 1990 باحتمية التطور إلى مستوى النزاع المسلح.

الفصل الثاني، ويؤرخ لمرحلة ما بعد 17 يناير، إثر اندلاع العدوان ضد العراق، كانطلاقاً لأول حرب عالمية أولى حقيقية، وكبداية لأول صراع حضاري واضح بين الشمال والجنوب. يحلل الدكتور المنجرة خلال هذا الفصل تطورات الحرب وما انكشف خلالها من ازدواجية لدى الغرب "المصنع / المتوحش"، تتم عن عطش استبدادي وهيمني. ويخصص خلال هذا الفصل جزءاً هاماً من تحليله لكشف تناقضات الغرب بين ما كان يحمله من شعارات وبين ما عبر عنه خلال الحرب، كما يركز هذا الفصل على تحليل أبعاد الحرب باعتبارها بداية لصراع دائم ستحتد درجته ما بين الشمال والجنوب. وفي نهاية هذا الفصل يتناول المؤلف الجانب المتعلق بآفاق هذه الحرب خلال المستقبل القريب والمتوسط على العالم الثالث عامة والعالم العربي والإسلامي خاصة، سواء في علاقته مع نفسه أو مع دول الشمال.

أما الفصل الثالث، فهو عبارة عن مجموعة من دراسات كتبت خلال فترات متباعدة في الفترة ما بين 1957 و 1991، يكشف فيها المؤلف بوحي مستقبلي عن حجم الأخطار المسطرة على دول الجنوب، لتركيز مظاهر التخلف فيه، وكذلك عن مستقبل هذا الجنوب. والذي يظهر تحققه خلال هذه الحرب بالنسبة لجزء كبير من التوقعات التي طرحها الدكتور المنجرة منذ بداية الثمانينات، غير أن أهمية هذا الفصل تمكن في الآفاق التي يحللها لمستقبل العالم الثالث على عتبة عام 2000. وينتهي هذا المؤلف بفصل خاص بالملحقات؛ ملحق خاص بالتاريخ العلمي للكاتب، معزز ببعض الأنشطة التي قام بها الدكتور المهدي المنجرة، وكذا الرسائل المفتوحة التي بعثها.

ويبقى الكتاب مرجعاً لا غنى عنه لفهم الأبعاد العميقة لهذه الحرب، ومرجعاً نظرياً وتطبيقياً في نفس الآن للدراسات المستقبلية.

الحاضر ليس في واقع الأمر غير مستقبل لماضٍ معطى مسبقاً، ويحمل معه كل ما خلفه هذا الأخير، وبالقدر نفسه نجد للماضي مستقبلاً كما نجد للمستقبل ماضيه.

كلمة شكر

نشكر كل المنابر الفكرية والعلمية والإعلامية الوطنية والمغربية والعربية، التي كانت مجالا حرا لمتابعة هذه المعركة التي خاضها العراق، نيابة عن العالم الثالث، ضد أطماع هيمنة الشمال، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وأخص هنا: جريدة العلم، جريدة الاتحاد الاشتراكي، جريدة ليبراسيون، جريدة الخضراء، جريدة الخبر، المساء، السلام، الجزائر أكتوياليتي، الاذاعة الجزائرية، الاذاعة الجامعة بالجزائر، التلفزة التونسية، مجلة حقائق، الموقف، لابريس، البطل، مجلة فوتوريبل الدولية نزع بصحوة، مجلة اليوم السابع، مجلة المستقبل العربي، مجلة تحولات اللبنانية، التلفزة الجزائرية، أوريزون (الجزائر)، لوجون انديبوندن (الجزائر)، إذاعة بغداد، مجلة المستقبل الاسلامي، مجلة العالم بلندن، وإذاعة هيلفرسن الهولندية.

وقد أشرفنا على إعداد فصول هذا الكتاب وترجمة بعض نصوصه بتشوار دائم فيما بيننا بعضنا البعض، وباتصال مستمر مع الدكتور المهدي المنجرة، ووجدنا المساعدة والعون عند عدد من الإخوة الزملاء الذين ساهموا بقسط وافر في اكتمال هذا العمل.

تجدر الإشارة هنا الى أننا كنا منشغلين بأعمال الدكتور المهدي المنجرة منذ أكثر من سنتين في إطار ما كنا نبحث فيه «سوسيولوجيا الشمال والجنوب عند الدكتور المنجرة»... غير أن تسارع أحداث أزمة الخليج دفعنا إلى التعجيل بالجزء الأول من مشروع أكبر لأعمال الدكتور المنجرة ولعدد من الدراسات السوسيولوجية حول فكره وأرائه ونوعيته في البحث.

نشكر كل الاخوة الذين ساهموا في إعداد هذا الكتاب، ونخص هنا:

- المصطفى الرزازي: منسق فريق البحث الإنساني التكاملي وصحفي.
- محمد بريش : مهندس وعضو الجمعية المغربية للمستقبلات - عضو فريق البحث.
- مصطفى عياد : أستاذ بجامعة محمد الخامس - عضو فريق البحث.
- عبد الفتاح الفاكهاتي : صحفي.
- يوكو طامورا : عضو مراسلة من اليابان لفريق البحث الانساني التكاملي.
- عمر إيليم الشطي : باحث نفساني (تونس) - عضو فريق البحث.
- جميلة بلوح : باحثة في الفكر الاسلامي - عضو فريق البحث.
- صادق حماد : أنثروبولوجي - عضو فريق البحث.
- حسن أحجيج : باحث في علم الاجتماع.
- العربي الصبان: كاريكاتوريست - (على مساهمته ببعض أعماله الفنية ضمن هذا الكتاب).
- بديعة السائغ : مراسلة مجلة «المسلم المعاصر».
- أحمد إفزارن - صحفي.
- وامنة المريني.

الفصل الأول

2 غشت 1990

أزمة الخليج :

بداية عهد ما بعد الاستعمار

أسبابها وآفاقها المحتومة -

مستقبل الماضي

1 - الحوار العربي الأوربي والانتفاضة الفلسطينية

2- أزمة الخليج: بداية لعهد ما بعد الاستعمار

3 - ستقوم الحرب

4- واقع ومستقبل التخلف العربي على ضوء التحولات العالمية

5- العالم الإسلامي والمستقبل

6- حوار حول أفق الأزمة.

7- في ندوة « النوفل أوبسيرفاتور »

8- عن أزمة الخليج وأزمة التخلف العربي

9- مستقبل الوطن العربي: ثلاث مشاهد

الحوار العربي الأوروبي والانتفاضة الفلسطينية^(*)

التقينا الدكتور المهدي المنجرة للمرة الأولى في مطلع هذا العام في الطائرة التي كانت تقلنا من باريس إلى الدار البيضاء. كان يقضي وقت الرحلة برفقة كمبيوتر صغير، ومن خلاله بدأ يفسر لنا أراءه ومواقفه ونظراته إلى الشؤون العربية والإسلامية، ويعود كل مرة تعوزه الحجة أو الرقم أو الواقعة، إلى آله الصغيرة باحثاً عن نص أو اسم أو تاريخ. يومها حدثنا عن تجربته وعن أسفاره الممتدة على عشرات الآلاف من الكيلومترات وعلى عشرات الدول، ناهيك عن مئات الندوات والمؤتمرات. وتقريباً على كل شركات الطيران أو القسم الأكبر منها ... بعد ذلك تواعدنا على اللقاء في باريس.

تجربة الرجل غنية يصعب حصر آفاقها، ومع ذلك فإن أحداً لم يناقش هذه التجربة ولم يوظف خبرة المنجرة في مشاريع تنموية أو ثقافية أو مستقبلية، والرجل لا يسعى إلى شيء، فهو يكتفي بوظيفته كأستاذ في جامعة محمد الخامس في الرباط، وبمركزه في جمعية المستقبلين في فرنسا. «اليوم السابع» التقت المنجرة في باريس وحاولت أن تقرأ معه مستقبل القضايا التي تهم العالم العربي والإسلامي.

• كيف يمكن تحديد ميدان علم المستقبلات وما الفرق بين هذا العلم والتنجيم وبين هذا العلم

والكمبيوتر؟ أين يقع هذا العلم بين الحدين المذكورين؟

هنالك خطأ شائع في استعمال عبارة علم. فالدراسات المستقبلية بدأت في الحقيقة بطريقة شبه علمية أو محاولة تبني على أساس علمي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. وأول دراسة نشأت في 45-46، وقام بها معهد مشهور في كاليفورنيا، هو «راند كوربوريشن» (هيكلي شؤني أبيض طهشؤ)، وبطلب من وزارة الدفاع الأمريكية، كانت تريد أن تعرف ما هي التوقعات في تطور العلوم البحتة خلال العشرين سنة المقبلة، وماذا سيجد في ميدان الفيزياء، في الرياضيات والبيولوجيا إلى غير ذلك. وقامت «الراند كوربوريشن» بهذه الدراسة. وبعد عشرين سنة تبين أن أكثر من مئة بالمئة من التوقعات قد تحققت، وهذا كان أول درس. أما في الدراسات المستقبلية فكل ما يمكن للإنسان أن يتوقعه هو أقل مما يحدث لسبب واحد وهو ما يسمى بالتسارع التاريخي. فالدراسات المستقبلية هي قبل كل شيء طريقة تفكير، والفرق بينها وبين

التفكير اليومي هو أن هذا الأخير تفكير خطي، كأن نقول مثلاً في الاقتصاد أن المعدل في السنوات العشر الماضية في الانتاج الزراعي كان كذا وكذا، ونبني توقعنا عما سيحدث في السنوات العشر المقبلة على أساس ما حدث في العشر سنوات الماضية، كأن التطور وكأن الحياة والمجتمع والاقتصاد شيء خطي يسير بطريقة معينة. والدراسات المستقبلية بالعكس تحاول أن تتوقع ما هي التغيرات الجذرية التي بدأت الآن والتي يمكن أن تتكون في المستقبل، وماذا سيكون تأثيرها على هذا التطور. ولهذا ليس هنالك حل واحد في الدراسات المستقبلية بل نوع من التعددية، ونقول في هذه الدراسات أنه من الممكن بعد عشر سنوات أن نصل إلى كذا، لكن هذا يتطلب أن ابتداء من اليوم يجب أن نعمل كذا إذا ما توفرت الشروط وعملنا كذا وكذا يمكن أن نصل إلى سيناريو به يمكن أن تساعد هذه الدراسات على اختيارات على الأمد الطويل، لكن بعلاقة مباشرة مع الواقع كما هو وحتى مع الماضي.

• يعني ذلك أن كل وزارة بحاجة لباحث في الدراسات المستقبلية.

أقول لك إن أول من اهتم بالدراسات المستقبلية هي وزارة الدفاع في أمريكا. بعد ذلك، وإلى حد رأينا أن الدراسات المستقبلية والدراسات الاستراتيجية جزء منها موجودة بنسبة 40-45 بالمئة في الميدان العسكري وخصوصاً عند الدول الكبرى. و 30-40 في المئة هو عند الشركات المتعددة الجنسية. وليس صدفة أن جون كينيدي في أوائل الستينات وجد تفوقاً في الاتحاد السوفياتي على أمريكا في ميدان الفضاء، فأخذ قراراً سياسياً لا علاقة له بالواقع الحقيقي ولا بدارسة علمية، وقال أن أمريكا ستصل إلى القمر بعد عشر سنوات. وعندها صار هذا قراراً سياسياً، وهو يشكل أولوية لأمريكا. بعد ذلك تحدث إلى المختصين والتكنولوجيين وبحثوا الامكانيات وقالوا له إذا كنت تريد أن تصل إلى القمر بعد عشرين سنة فإن هذا ممكن بالميزانية الحالية أما في عشر سنوات فهذا يتطلب أن نعمل كذا وكذا. وهكذا تحقق مشروع «أبولو» في المدة المعينة والميزانية المعينة وبخطة معينة.

وإذا قلنا في العالم العربي نريد عريسات، فإننا نشترى آلة بدون بحث علمي وخطة سياسية لاستعمال واستغلال هذه الآلة، إلا أحياناً للبرامج المحدودة. أعتقد أن القمر يجب أن يكون ضمن خطة سياسية وإرادة معينة وهدف واضح وإلا فقد دوره الاستراتيجي.

وعلياً أن نعرف أن الوضع اليوم تغير بصورة جذرية، وكل إنتاج العشرة آلاف سنة الماضية يمكن أن ينتج مثله في السنوات السبع القادمة. وفي كل ٩٠ ثانية هناك مقال علمي ينشر في مكان في العالم. وأن كل سنة هناك تقريباً ٩٠٠ ألف كتاب جديد. هذا التراكم للمعرفة أدى إلى ديناميكية جديدة تسمى بالتسارع

التاريخي وأنت ملزم بأن تفكر مستقبلا في التغيرات قبل أن تحدث. وإذا انتظرتها كي تحدث فإنك أصبحت جزءا من العالم الذي حكم عليه أن يبقى في التبعية أي أن يظل تابعا لمن فكروا بالتغيرات قبله. في كل شركة من الشركات المتعددة الجنسية إدارة خاصة بالدراسات المستقبلية، وأولها شركة سوني التي عينت سنة 1970 مديرا عاما يفكر فقط مع إدارته في التطورات التي ستشهدتها السوق سنة 2000 يعني 30 سنة إلى الأمام.

• هل أنت مع قيام منتدى دراسات للتخطيط للعالم العربي؟

الدراسات المستقبلية محتاجة إلى تعددية ليس في التفكير المستقبلي فحسب، ولكن في المجالات التي يدرس فيها المستقبل. والحمد لله هناك اهتمام في العالم العربي منذ عشر سنوات بدراسات جدية لكن حتى الآن هذه المبادرات قاصرة على أشخاص وجماعات يشتغلون في جامعات في العالم العربي ومؤسسات مثل مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت الآن، وبالخصوص بالتعاون على المستوى الدولي مثلا : مشروع المستقبلات العربية البديلة الذي قام به منتدى العالم الثالث في القاهرة مع جامعة الأمم المتحدة. وهناك على الأقل ثلاث دراسات تهم مستقبل العالم العربي كلها قام بها عرب، وموكت بطريقة غير حكومية بمعظمها. ولكن مع الأسف أن هذه الدراسات (30 ألف صفحة) لم تجد حتى الآن أي مسؤول في أي حكومة أو أي وزارة لديه فكرة عنها، وإذا أخذت مسؤولين في السوق المشتركة في بروكسيل وفي «الكي دورسيه» والكرملين واليابان ستجد أن هذه الدراسات حلت ودرست واستخلصت منها أهم الإحصائيات، ومن ناحية معرفية.

ولكن داخل بلادنا أنا أتحدى أن تكون هذه الدراسة في أي وزارة وأتحدى أي مسؤول أن يكون قد رآها، هذا هو الفرق. يوجد اهتمام من المفكرين وأحيانا لدى بعض المشتغلين في القطاع الخاص وإذا كان لهم اتصال بالشركات المتعددة الجنسية يتأثرون بذلك. لكن استقلال الدراسات المستقبلية فيما يخص العالم العربي غير موجود. ونجد شيئا أخطر من ذلك عند بعض الدول العربية فقد رأوا أن هذه الدراسات المستقبلية صارت موضة وصاروا يشترون المصانع والطائرات يريدون شراء دراسات حول مستقبل بلادهم، وهناك 2-3 بلدان عربية عملت دراسات حول العام 2000 ومن خلال عقد تشتريها كما تشتري مصنعا كاملا التجهيز. هكذا نرى أن مستقبلا مرهون لمؤسسة معينة كالبنك الدولي مثلا. نقول للبنك والمؤسسات مشابهة تعالوا قولوا لنا كيف ستكون حالة بلادنا عام 2000.

مستقبلا ليس بأيدينا وما ضينا ليس بأيدينا أيضا. فنحن يلزمنا حسب التقديرات 60 سنة لدراسة ماضينا. في هذا الوقت الغرب لا ينتظرنا، فقد درس مستقبلا ولديه توقعات حولنا ويتصرف على هذا

الأساس. نحن بدون ماضٍ وبدون حاضر ومستقبلنا مرهون، وهذه قضية خطيرة للغاية.

الانتفاضة

• كيف يمكن النظر إلى الانتفاضة الفلسطينية من وجهة نظر مستقبلية؟

يصعب تحليل الانتفاضة الآن، وربما بعد عشرين سنة، أنا وجدت في الدراسات المستقبلية ما يسمى بمستقبل الماضي، فحتى الماضي له مستقبل يمكن تسييره حسب تطورات أخرى ومفاهيم أخرى. وأظن أنها من أهم البدايات للتغير الجذري الذي سيعيشه العالم العربي ونخطئ إذا حللنا الانتفاضة التي تعيشها فلسطين كحركة محلية خاصة بالظروف المحلية والفلسطينية، أظن أن في الانتفاضة الفلسطينية هنالك انتفاضات شابة في فلسطين والعالم العربي، خصوصا إذا عرفنا أن 50 بالمئة سكان العالم العربي هم شبان أعمارهم تبلغ 20 سنة وأقل. وهذا من العناصر التي يجب أن نبني عليها ليس مستقبل فلسطين فقط، وإنما مستقبل العالم العربي بل حتى العالم الثالث.

وأنا أركز منذ زمن على عاملين. الأول هو التغيرات في فلسطين والثاني في إفريقيا الجنوبية، لأنه لا يوجد في العالم مثل هاتين الدولتين اللتين خطط لهما من قبل آخرين وصاروا رمزين لمصالح معينة ولنوع من تحالف من طرف الغرب بالخصوص.

العلاقات العربية الإفريقية

• كيف تنظر إلى مستقبل العلاقات العربية - الإفريقية من وجهة نظر مستقبلية؟

أحتج على تعبير «العلاقات العربية - الإفريقية» لأن العرب بما فيهم الأفارقة ينسون أن 75 من العرب هم أفارقة، وأن إفريقيا تبلغ مساحتها 30 مليون كلم². والمشروع الحضاري الغربي حاول دائما أن يفرق بين العرب والأفارقة وبين إفريقيا السوداء وإفريقيا البيضاء، وجنوب الصحراء وشمال الصحراء. وفي فرنسا هنالك وزارة خاصة تهتم بشؤون جنوب الصحراء. والبنك الدولي يتحدث بشكل مقصود عن هذا النوع. وعندما أذهب إلى جوهانسبورغ، وقد زرتها مرارا في طريقي إلى مناطق أخرى وكنت أبقى في المطار ولا أعتبر نفسي أنني أبيض، ونفس هؤلاء الذين يعتبرون الفرق العنصري يعتبرون أن الأفارقة من مصر ومن ليبيا من لون آخر. يجب أن نفهم جميعا أن ليس هنالك تناقض بين العروبة وبين ما هو إفريقي. وأن نفهم أيضا أهمية العنصر البربري كجزء من الحضارة الإسلامية.

وهنالك خطة استراتيجية استعمارية لإثارة النزاعات بين الفريقين، ثم يجب ألا ننسى أن الحكام الموجودين في إفريقيا هم حكام غير مرغوبين من طرف شعوبهم لذا يصعب علينا أن نفهم أو نحلل علاقات

مبنية على حكومات لا تمثل الشعوب.

والمشروع الافريقي الحقيقي كان مشروع تعاون عربي افريقي واحد، أما مشروع الفرنكفونية فقد قسم ما بين الأفارقة وفصل ما بين العرب الناطقين بالفرنسية وغير الفرنسية حتى وصلنا إلى مهزلة أن مصر التي تضم 55-56 مليون وليس فيها 5 آلاف ينطقون بالفرنسية صارت مصنفة فرنكفونية وفيهم بطرس غالي وهو صديق وأقول له من الأخطاء التاريخية هو وجود مصر في الفرنكفونية. وصارت هذه المجموعة العربية الإسلامية بين الناطقين باللغة الفرنسية الحقيقيين. إذا أخذنا فرنسا 55 مليون وكندا وبلجيكا ترى أن البقية هي الأكثرية والأكثرية هي مسلمة - عربية. أما العلاقات العربية - الإفريقية فأنا مقتنع بأنني لا يمكن أن أتجاوز مع نفسي حولها.

وأنا أعتبر أنه لا توجد سياسة افريقية للعالم العربي. وما دامت أوروبا موجودة في كل علاقة افريقية - عربية فلا مستقبل لهذه العلاقات وهو أمر عندي يقين فيه.

... ديون افريقيا

• ومشكلة ديون افريقيا؟

أقول من البداية أن هذه المشكلة ثانوية. ليست هنالك ديون. افريقيا من أغنى مناطق العالم بالنسبة لعدد سكانها. أقول لك نقلا عن تقرير قدم لميتران كتبه ايف برتوليه سنة ١٩٨١ عن المساعدات الفنية وعن التعاون مع افريقيا، وهذا التقرير موجود ومطبوع في *Documentation française* يؤكد أن كل فرنك تعطيه فرنسا مساعدة لافريقيا يأتيها منه 5-6 فرنك من ناحية التجارة. وإذا رأينا أن هذه الديون هي أكثر من 40 بالمئة منها كجزء من رشوة وأنها موجودة كحسابات في بنوك أوروبا وأمريكا أن هذه الأموال التي أعطيت كديون دفعت لشراء مواد من الغرب وعندما نرى أن نيويورك تايمز تكتب في مقال افتتاحي وتقول أنه في أقل من سنة أن 80 بالمئة من كل الدولارات التي دفعها البنك الدولي إلى العالم الثالث رجعت إلى الاقتصاد الأمريكي ولما نفهم ونرى أن هذه الأموال ثمنها ثلاث أضعاف بالنسبة للحقيقة نرى إنه من ناحية اقتصادية عملية ليس هنالك ديون، بل نوع من الرشوة والفساد. هنالك أشياء شجعت أنظمة معينة. واستغلال الغرب لهذه الديون ليس لأسباب اقتصادية، أن وسيلة لأن تبقى فئة معينة في الحكم لأنها مديونة وتبقى المصالح مشتركة، لأن المديون يقول أنه من الضروري أن نرد الدين ولكن كلما رددنا الدين ادفع لحسابي الخاص خارج البلاد. هذه كوميديا على مستوى دولي.

وهناك مثال أخير. فمئذ أسبوعين أوقفت كل أمريكا اللاتينية دفع ديونها وكان موقفها ناجح ولا

يمكن إلا أن ينجح مثل هذا الموقف في مكان آخر. لكن لكي تدافع عن نفسك وتكون لك مصداقية مع هذه الدول يجب أن تكون جديا. وكيف تكون جديا عندما تجلس معهم إلى طاولة واحدة مع أناس تتفاوض معهم حول القروض وهم يعرفونك وهم الذين شجعوك لتكون صاحب مليارات في الخارج لحسابك الخاص.

أوروبا والعرب

• والعلاقات العربية - الأوروبية؟

لا أومن بها. فقد شاركت في عدة ندوات واتضح لي أنه لمستقبل لها إذا انطلقت من الأسس التي تخطط لها أوروبا. ومن بين هذه الأسس اعتبار العالم العربي مجرد سوق. وأنا لا أؤمن الأوروبيين على ذلك، فهذا من حقهم كما من حقهم أن يبنوا اقتصادهم على منطق البحث عن أسواق وهم لديهم تحديات كبرى مع أمريكا الشمالية واليابان. ولو كنت أوروبا لا تبعت نفس الخطة دفاعا عن مصالحها. ولبادرت لاستغلال كل نقطة ضعف في مواجهتي. فإذا كانت أمريكا واليابان تمثلان قوة عظمى في مواجهتي فإنني أذهب إلى الدول الضعيفة، ولا يوجد الآن أكثر ضعفا من العالم العربي وأفريقيا. لذا فأنا أتوجه للعرب وأعمل لديهم «معهد للعالم العربي» في باريس وأتكم عنهم بطريقة إيجابية لكن أعاملهم داخل بلادي بطريقة سلبية وأحارب دينهم وأشترك في حرب صليبية ضدهم وأستخدم الاعلام لتشويه صورتهم. أنا ما يهمني في الحوار هو المقاصد، والمقاصد معروفة من الطرف الأوروبي أما الطرف العربي فإن مفاوضاته لا يتمتعون بأية مصداقية ويبحثون عن مساندة لدعم بقائهم في الحكم.

وهنا يصعب علينا أن نتهم أوروبا قبل أن نتهم أنفسنا ونقوم بنقد ذاتي. وعندما نتكلم أوروبا فإنها تفعل ذلك بصوت واحد، وعندما نتكلم نحن، نتكلم بـ 120 صوت، بالرغم من أننا عشرون دولة، لكن في دولنا أصوات متعددة تأتي من كل مكان. وهذا غير معقول. ونحن نتفاوض «معهم على إيه». هم يحتاجون إلى سوق ونحن إلى ماذا؟ هل لنا سياسة تكنولوجية؟ هل لنا سياسة اقتصادية على مدى خمس سنوات؟ هل لنا أي شيء؟

الغزو الإعلامي الأجنبي

• والضخ الإعلامي الذي يتعرض له العالم العربي؟

أنا أخشى أن يوجد في ميدان الاعلام ضعف كبير في ما يخص مستقبل العالم العربي من جهتين : الجهة الأولى وهو أن أهم تحول صار في الحضارة الإنسانية هو أن هذه الحضارة تنتقل من مجتمع مبني على الانتاج والبضائع الصناعية إلى حضارة ومجتمع مبني على المعرفة وعلى الاعلام بمفهومه المعاصر

وليس على المواد الطبيعية واليد العاملة بل على الفكر والإنتاج الفكري الذي أصبح أكبر رأسمال. وفي هذه الظروف ماذا نرى؟ نرى أن في العالم العربي ليست هنالك في أي بلد خطة أو استراتيجية أو سياسة إعلامية معاصرة تعمل باهتمام بحثاً عن هذه المعلومات. هناك بعض محاولات ومراكز توثيق وطنية بالخصوص في الخليج لكنها غير كافية.

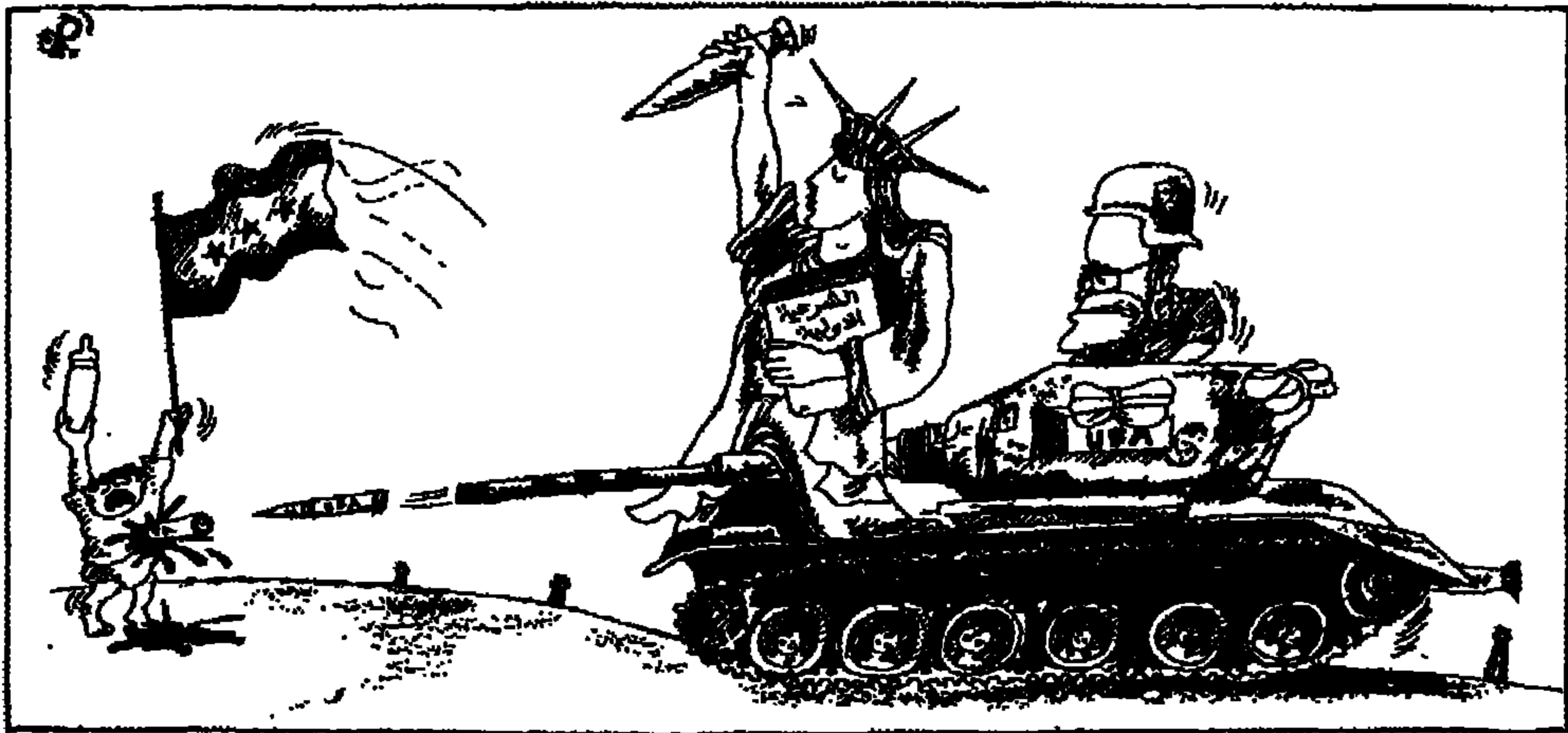
أما الغزو الإعلامي فإنه من المفيد الحديث عنه انطلاقاً من المثال الأوروبي. فقبل ستة أشهر ترأس فرانسوا ميتران اجتماعاً لمسؤولين في الإعلام في أوروبا وتوصلوا إلى قرار بالتصدي للهيمنة الثقافية الأمريكية - اليابانية. وصدرت اقتراحات تقول بتشجيع الانتاج المحلي فاحتج الأمريكيون على ذلك. واحتجوا مرة أخرى عندما وضع الأوروبيون «نظاماً» للبرامج المتلفزة غير المنتجة في أوروبا. واستخدم الأمريكيون في احتجاجهم ذريعة «حرية تنقل الأفكار».

إذا أوروبا القوية والتي تمثل 40 في المئة من التجارة العالمية تبحث عن مواجهة الهيمنة الأمريكية - اليابانية فما بالك بنا نحن الضعفاء نتعرض لغزو إعلامي من كل طرف وناحية. لكن يجب ألا نخطط بين مواجهة الغزو الإعلامي وبين حرية الصحف وتعددية الآراء. فهذه مسألة ضرورية جداً في المواجهة نفسها.

حاوره في باريس فيصل جلول

(5 يوليو 1990)

اليوم السابع 26 نوفمبر 1990



أزمة الخليج:

بداية لعهد ما بعد الاستعمار (x)

شهر آب (أغسطس) 1990 سيدخل التاريخ كبداية لولادة عصر «ما بعد الكولونيالية». هذا العصر الذي هو نتاج تحرر مزيف من الاستعمار تعيه بعمق في يومنا الحاضر شعوب الجنوب من جهة، وهو عصر يخشى فيه الشمال من التحولات الجزرية التي لن يتأخر هذا الوعي عن فرزها من جهة أخرى. هذا الخوف من «اللا استقرار» يُفسّر تدعيم التحالف الطبيعي بين المحررين المزيفين (بفتح الفاء) والمحررين المزيفين بكسر الراء). فبعد التشاؤم حيال العالم الثالث، وبعد التشاؤم حيال الإسلام وحول إفريقيا، جاء دور التشاؤم حول العرب والبتروول.

إن نشر القوة العسكرية للولايات المتحدة وحلفائها القدماء والجدد الأوروبيين والغربيين لا سابق له في تاريخ الانسانية. فهو من بدايته وحتى الآن أكبر بكثير من انتشار هذه القوات في فيتنام، ولا يمكن مقارنته مع الحرب العالمية الثانية نظرا للتطور التكنولوجي ولدقة وتعقيد السلاح النووي.

إضافة الى ذلك، يتم هذا الانتشار في وقت يعيش فيه العالم في ظل هيمنة جديدة ناشئة. إن النظام العالمي يتجه نحو قطب واحد بعد تفتت الامبراطورية السوفياتية، وحيث ينصب بلد واحد نفسه شرطيا على المعمورة دون أن يكون هناك من يجروء، بمصادقية، على معارضته. فالقوة العظمى الثانية في العالم قبلت للتو بالدور الهامشي الذي اعطته إياها امريكا من أجل الحفاظ على بقائها.

وتترافق مع هذا الانتشار العسكري، حرب نفسية لا مثيل لها أيضا في مجلدات التاريخ. وهي مصحوبة بهجمة إعلامية هذيانة بالغة الدلالة. هنا يظهر غورينغ اليوم كأحد الهواة المبتدئين في مواجهة الاساتذة الكبار الجدد في علوم الاتصال والاعلام. وعلى باحثي العالم الثالث إعطاء الأولوية لتحليل هذه المادة (الاعلامية) الشديدة الغنى، والضرورية في فهم التطور المستقبلي في العلاقات ما بين الشمال والجنوب.

لماذا يتم كل ذلك الآن؟ أمن أجل نجدة بلد لا يتعدى سكانه الأصليون ٦٠٠ ألف نسمة، بلد انتهكت «سيادته» من قبل جاره الذي بولغ في تقدير قوته للإساءة إليه ولأجل خلق دهان يخدم أغراضا محددة سلفا؟ أو الدفاع عن المبادئ «الديمقراطية» لغرب لا يشكل احترامه لهذه المبادئ، خارج حدوده سوى تقليدا مضحكا - مبلعيا. ممن يسخر هؤلاء والى متى سيواصلون ذلك؟ يكفي أن نقرأ التصريحات الرسمية

للسلطات الأمريكية والغربية وكذلك ما تقوله صحافتهم حتى نفهم بأن الأمر مختلف تماما عما (يروجون). لقد جرى انتهاك القانون الدولي، وهذا الانتهاك لا لبس فيه ولا يمكن تبريره، لكنه انتهاك لا يختلف عن انتهاكات سابقة بما فيها انتهاكات إسرائيل التي أدانتها بشكل قاطع المجموعة الدولية، والتي بقيت دون تنفيذ عملي حتى يومنا هذا. إذا لماذا يعتمد ردّ لا يتناسب مع حجم الخرق الحاصل؟

إن ما يحصل في الشرق لا يتعلق بالعرب وحدهم. إنه التعبير النموذجي لاستراتيجية دفاعية (غربية) ترفض التغيير. ويجب ألا ينخدع أحد (بما يجري). فالعرب الآن ليسوا إلا حقل الاختبار الأول (فئران مخبرية Cobayes في مخطط يستهدف إدامة الغلبة العسكرية والسياسية والاقتصادية للعالم الغربي، وهيمنة القيم الثقافية اليهودية - المسيحية خشية من «اللا استقرار» ومن تغيير «النظام القائم» في الشرق الأوسط وفي أمكنة أخرى. هنالك مصالح غربية يجب صيانتها، و الضمانة المؤكدة هي هيمنة السلام الأمريكي. ومهما قيل، وبالرغم من التنوع في الصياغات الدبلوماسية، فإن كل البلدان الغربية لا يمكنها إلا أن تلتحق بالولايات المتحدة مع الحفاظ على استقلال ذاتي شكلي لا يخدع أحدا.

ولا يمكن تحليل الأحداث الجارية الآن أمام أعيننا، في منطقة الخليج، إلا في إطار عريض لتصور علاقات القوة بين الشمال والجنوب، مع الأخذ بعين الاعتبار أهمية التاريخ والرهانات (المعقودة) على المستقبل. لقد سمحت أزمة الخليج بأن يقذف إلى الوراء باحتجاج عدد من الحركات الديمقراطية في إفريقيا حيث قام البابا للتو بمباركة كاتدرالية وسط انتشار قوات أمنية كانت بالأمس تقاتل في الشارع المدافعين عن الحريات المدنية. هذه الكاتدرالية كلفت مبلغ 200 مليون دولار، وهي كلفة تتعدى الدخل الوطني الكامل لحوالي 300 ألف مواطن في ساحل العاج، هذا البلد الذي يسكنه أقل من 700 ألف كاثوليكي، وفي مدينة تسكنها أكثرية ساحقة إسلامية. كل ذلك تم بواسطة المال «الشخصي» لرئيس دولة يمثل «الاستقرار» العزيز على الغرب وبحضور شخصيات من بينها وزير الشؤون الخارجية لنظام جنوب إفريقيا.

ولقد سمحت أزمة الخليج للغرب بأن تحرف الأنظار عما يفعله دكتاتوريو باكستان ونيبال العسكريين، هذا إذا ما أردنا أن نتوقف عند هذين البلدين فقط في آسيا، لضرب الإرادة (الشعبية) السياسية التي تم التعبير عنها بواسطة الانتخابات. وقد أنجبت هذه الأزمة حكومات مهددة في أنحاء عدة من العالم الثالث، وتعيش على الفساد وتقاتل النهوض الديمقراطي لمئات الملايين من سكان جريمتهم الوحيدة هي تطلعهم إلى الحرية والتسامح واحترام القانون.

ولقد أصبح، منذ بداية هذا العقد، سيناريو القطيعة بين الشمال والجنوب لا محيد عنه، إذا انطلقنا من فكرة رفض الشمال لأدنى تصحيح في النظام الدولي الذي تسوده اللا عدالة والتوزيع اللامتكافئ (للثروة) بصورة فاضحة.

لا غنى عن العودة الى الاشكالية (القائمة) في علاقات الشمال - الجنوب قبل الذهاب بعيدا في محاولة فهم حرب الخليج، وهذه الاشكالية تختصر في خمس نقاط:

1 - أزمة تواصل ثقافي بسبب نزعة (الانغلاق الاثني) *ethnocentrisme* التي تميز الشمال وتمنعه من فهم أنساق أخرى من القيم المختلفة عن قيمه وأخذها بعين الاعتبار. وبكلمة واحدة، (بسبب): الغطرسة الثقافية.

2 - رفض الشمال لضرورة إعادة توزيع السلطة والمصادر (المادية) في العالم في خدمة عدالة اجتماعية وحد أدنى من الأخلاق، ولكي لا يواصل 20 بالمئة من سكان العالم الاستفادة بصورة غير صحيحة من 80 بالمئة من الممتلكات المادية للكرة الأرضية. ولعل ذلك ما يفسر الدفاع عن الوضع الراهن للنظام العالمي بأي ثمن.

3 - فشل أنماط التنمية في بلدان العالم الثالث المستندة الى تقليد أعمى. وما يسمى بـ «المساعدات» التي لم تؤد مفاعيلها الرئيسية إلا إلى تعميق الهوة بين الأغنياء والفقراء داخل وخارج هذه البلدان. وأنماط التنمية هذه ترفع الى السلطة في الجنوب، وبمساعدة شمالية «مستنيرة»، قيادات متسلطة وفاسدة وخدمة ومستلبة ثقافيا واجتماعيا بالنسبة لشعوبها. وهذا ما يفسر «هنا» التخلف الذي طبع عصر النيوكولونيالية لأكثر من جيل.

4 - قلة اهتمام حكومات بلدان الجنوب بالمشاركة الديمقراطية واحترام حقوق الانسان، والطاقات الانسانية، والبحث العلمي كعناصر أساسية في كل سياسة تنموية.

5 - التواطؤ الواعي أو اللا واعي لقسم كبير من «أنتلجنسيا» العالم الثالث التي انضوت تحت لواء السلطات الوطنية في بلادها أو السلطات المتعددة الجنسيات، أو أخطأت بممارسة الرقابة الذاتية وقلة الشجاعة.

منذ سنوات، يدين رجال ونساء من العالم الثالث، لا عدالة النظام الدولي والنقص في المشاركة (في الحكم) والديمقراطية في بلدانهم. وكانت القوى العظمى تجابه كل ما من شأنه أن يعدل الوضع القائم، وتساند حكومات في الجنوب لا تحظى بدعم شعوبها.

وهذه القوى العظمى نفسها عرقلت في السبعينات القاعدة الديمقراطية لشرعية الأمم المتحدة: دولة عضو = صوت واحد. واعترضت على إنشاء «نظام اقتصادي عالمي جديد»، ورفضت اتخاذ الاجراءات اللازمة لتطبيق القرارات التي اتخذتها منظمات الأمم المتحدة والمتعلقة بفلسطين، والتمييز العنصري وإزالة الاستعمار.. الخ. وقد لجأت الولايات المتحدة الى الضغط على ميزانيات هذه المنظمات الدولية من خلال

رفضها دفع مخصصاتها الكافية لخلق الأمم المتحدة، أو انسحبت من منظمات دولية لا تستجيب لطلباتها كما وقع في حالة «اليونسكو».

من هي البلدان التي بدأت إرهاب الدولة والتي انتهكت أكثر من غيرها القانون الدولي، عبر تنظيم انقلاب عسكري ضد مصدق عام 1953، وخطف طائرة أحمد بن بله في تشرين الأول (أكتوبر) 1956، وإنزال قناة السويس بعد أسبوع من ذلك، واحتلال بلدان أمريكية لاتينية وقصف منزل رئيس دولة، أو مراكز أبحاث، والقيام بعلميات كوماندوس خارج حدودها والقيام بعمليات تصفية جسدية ضد رجال سياسة ومتقنين في الجنوب؟ ومن استخدم باضطراب حق «الفيتو» ضد إرادة المجموعة الدولية كاملة؟ من هم أولئك الذين أعلنوا بافتخار وبصوت عال بأن قوانينهم الوطنية لا يمكن أن تتحدد بالقانون الدولي؟

هي نفسها الدول العظمى التي تبارك اليوم ولادة «نظام دولي جديد» وهي نفسها التي تبارك عمل الأمم المتحدة التي كانت حتى أمس القريب بالنسبة إليها، مجرد شيء لا معنى له. إننا نعيش اليوم في عالم يُثقف الذاكرة الجماعية ويحيد عنها عندما يتعلق الأمر بالغرب، ويعتمد فقدان الذاكرة والصمت عندما يتصل الأمر بما تبقى من الإنسانية. والشعوب غير الغربية عليها أن تنسى قرون الكولونيالية والاستغلال وسوء معاملة شعوب بكاملها باسم «مهمة التحضر» التي يحملها الرجل الأبيض. هذه الشعوب عليها أن تقبل حالة العالم كما هي وألا تمس أي شيء يمكن أن يؤثر على نمط حياة بلدان الغرب.

بأي حق يمكن لهذه القوى العظمى نفسها اليوم أن تعطي دروسا في حسن سلوك العالم؟ أية مصداقية تعطى لكلماتها عندما نتحدث عن القانون والتضامن العالمي وعن احترام الانسان؟ هذا النفاق هو في أساس انتقال الجنوب من الكولونيالية الى ما بعد الكولونيالية الذي عشناه خلال السنوات الثلاثين الماضية، وهو نفاق يتم بالتواطؤ مع قيادات العالم الثالث الذين مازالوا يُدَعَمُونَ حتى هذه اللحظة، التي يبدو فيها أن غضب شعوبهم قد بلغ الذروة.

وبفضل حكومة الولايات المتحدة والتفهم الكبير لحلفائها المخلصين الأوروبيين تم تجاوز مرحلة جديدة اليوم. فنحن تركنا عصر الكولونيالية الجديدة، لندخل في عصر «ما بعد الكولونيالية». في هذا الأفق يجب فهم ما يجري في الخليج واستخلاص النتائج المقلقة التي لم تنحصر في المجال العربي وحده، ولكنها ستحدد نوع العلاقات الدولية في نهاية هذا القرن. لذا فإن التحدي الأول الذي يواجهه العالم الثالث في هذا السياق يتعلق بإدراكه لهذه الإشكالية الجديدة.

ومن أجل ذلك يجب أن يحصر التحليل (للأحداث) في مجال أو زمن ما، واختصاره الى مشكلة

منطقة أو رجل. لقد عشت فترة الكولونيالية الغربية ومازلت أذكر القصف النووي لليابان، وعشت الظلم الذي لحق بالشعب الفلسطيني، وكذلك شجاعة مصدق الذي أمم النفط في إيران في العام 1951. وجرى تنظيم انقلاب عسكري ضده في عام 1953. ثم تنحية محمد الخامس ملك المغرب في السنة نفسها والعدوان الفرنسي - البريطاني على السويس في العام 1956، والمؤامرة على الكونغو في عام 1960، والوحشية التي مورست ضد شعب الهند الصينية والجرائم والتعذيب ضد الشعب الجزائري، والنتائج الكارثية التي ترتبت عن التمييز العنصري في افريقيا الجنوبية، ووحشية القوات الاسرائيلية ضد أطفال الانتفاضة، والانتهاكات الدائمة لسيادة دول امريكا اللاتينية والتدخلات الاجنبية ضد حركات الاصلاح والديمقراطية فيها.

إن معاشتي الطويلة لهذه الأحداث، جعلتني أصل الى نتيجة مفادها أن أزمة العالم الثالث هي قبل أي شيء أزمة غياب الذاكرة الجماعية، ونتيجة لغياب الرؤية التي لا تعرف كيف تنطلق من الصفر. لذا أرى أن النضال من أجل الحرية وبناء المستقبل يمر باسترداد الماضي.

لقد جابهت طيلة حياتي الظلم وكل ما من شأنه أن يتعرض للكرامة الانسانية، وعليه فإن ضميري مرتاح. وإذا كنت أنتفض اليوم ضد ما يحصل في الشرق الاوسط فإنني أفعل ذلك بوصفي مهتما بمصير وبقاء الجنس البشري، وليس دفاعا عن عبادة الشخصية أو بحثا عن أبطال.

لقد راقبت الأحداث بتأن خلال ستة أسابيع قبل أن أتناول قلما وأكتب. وقد ساعدني سلوك الدول الغربية على تجاوز تحفظات ناتجة عن اختيار بين الدفاع عن مبادئ خلقية وإنسانية واحتمال أن يتماهى ذلك مع دعم شخص مثار احتجاج.

وأنا أعبر اليوم عن رأيي، ليس دفاعا عن رجل في السلطة، ولكن ضد انتهاك شعب بكامله - الشعب العربي - وضد تدنيس الأماكن المقدسة لأكثر من مليار مسلم في العالم ونسبة العرب بينهم لا تتعدى الـ ٢٠ بالمئة.

لقد هالني سكوت عدد كبير من «المثقفين» أو «المعارضين» في العالم الثالث عامة والعالم الإسلامي والعربي بصورة خاصة. أين هي الخطابات العظيمة لحركة عدم الانحياز؟ أين المدافعون عن التعاون في إطار جنوب - جنوب؟ الـ 77؟ أين هي مؤسسة المنظمات غير الحكومية المتصلة بالعالم الثالث؟ لماذا هذا الصمت؟ إنه لمن الطبيعي أن يتصرف الغرب «على ذوقه» في مواجهة مثل هذه الرقابة الذاتية لنخب شكلها هو نفسه استعدادا لمثل هذه الأيام.

لكن، كيف يمكن فهم موقف غالبية المفكرين والفنانين الغربيين الذين يكتبون ويوقعون عرائض ضد أقل تفريط عندهم (في الغرب). ولكنهم اليوم يقفون الى جانب الطرف الامريكي - الاسرائيلي أو يصمتون ببساطة؟ إنني أستنتج ذلك بحزن.

إن الكراهية للعرب وللإسلام تغذي الحرب النفسية والإعلامية التي تجري تحت أبصارنا، وهي لا سابقة لها في مجالات العلاقات بين الشعوب، وتعبّر عن عداء ناتج عن عقد قديمة من بينها خسارة الجزائر وضرب الاتجاه الغربي في إيران، والمنحى التجديدي للإسلام.

وحملة التشويه الاعلامي تلك، برهنت عن تضامن كامل بين وسائل الاعلام الغربية وحكوماتها. والمفردات المستخدمة في هذه الحملة تستعيد كل مفاهيم القانون الكبرى، ومفاهيم العدالة والتضامن العالمي والوحدة الوطنية والشرف، لكن في سياق غطرسة ثقافية وانغلاق إثني-مركزي لا مثيل له حتى يومنا هذا. حتى جريدة «لوموند» التي تتجنب التبسيط عادة وتذكر الحقائق المضادة، لم تقاوم، والتحقت بهذه اللعبة الجديدة. فقد كتبت بدون أي تدقيق في افتتاحيتها المؤرخة في 7 آب (اغسطس) 1990 تقول: «إن عزلة العراق لم تكن يوما كبيرة كما هي اليوم خصوصا في العالم العربي».

ونحن نريد أن نعرف عن أي عالم عربي نتحدث الصحيفة؟ فالأخبار بوصفها سلاحا، لم تستعمل أبدا من قبل بمثل هذه الدعاية الوضيعة والديماغوجية والحرب.

إن اللعبة التي تدور الآن في الشرق الأوسط منظمة بمهارة، إنها سمفونية جنائزية يقودها قائد أوركسترا كبير هو الولايات المتحدة عازف الكمان الأول، وبريطانيا العظمى العازف الثاني وفرنسا ومجموعة من الموسيقيين في تحالف جديد، دون أن ننسى دور أطفال الكورس الذي تؤديه بعض الدول العربية.

إن تقويم الأدوار مدروس جيدا ويتمهل منذ الأيام الأولى لشهر آب (اغسطس)، وفق تدرج تصاعدي ابتداء من المقاطعة الى الحصار ووصولاً الى الخاتمة، التي ستترجم على الأرجح، بالتضحية بألاف الأبرياء عندما يقرر قائد الأوركسترا اللحظة المناسبة، حينذاك تنسجم أوتار الاتحاد السوفياتي، وهو البلد ذو التقاليد الموسيقية العريقة، كلية مع المجموعة. ويبدو أن هذا الأمر لن يتأخر منذ أن قالت السيدة بربارة بوش للصحافيين بأن الاتحاد السوفياتي يجب أن يعتبر كجزء من مجموعة أمم العالم الحر.

وتفيد المعلومات الرسمية المتداولة أن وزير الخارجية الامريكية قد حصل على تعهد من العربية السعودية والامارات العربية والحكومة الكويتية في المنفى، بدفع أكثر من 12 مليار دولار دون حساب الفواتير التي دفعت من قبل وخلال الأسابيع الماضية، وذلك لتغطية تكاليف الحضور الأمريكي في الخليج. وحسب تأكيدات بيكر نفسه فإن عملية «درع الصحراء» ستكلف 6 مليارات دولار حتى نهاية السنة الجارية. ويذكر أن جمهورية المانيا الاتحادية توصلت الى اتفاق مع الاتحاد السوفياتي يقضي بسحب 350 ألف جندي من أراضيها مقابل 8 مليارات دولار. وهذا يعني أن الدول العربية الخليجية تدفع فدية أكبر بمرتين لتغطية تكاليف 150 ألف جندي أمريكي على أراضيها. وهي فدية تعادل ثلاث مرات مجموعة المساعدات

الاقتصادية التي قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية لدول العالم الثالث خلال السنة الضريبية 1990. هذا مظهر واحد وليس الأقل أهمية من مظاهر مرحلة ما بعد الكولونيالية.

إن الأجوبة التي تفرض نفسها ضد مرحلة ما بعد الكولونيالية تكمن في الدفاع عن الديمقراطية وحقوق الإنسان والنضال ضد الجهل والفساد وتشجيع البحث العلمي والخلق الحر من كل استلاب ثقافي والثقة بالنفس والثقة بعدالة عليا تفرض على كل منا أن يساهم بنضال سيكون طويلا وقاسياً. لكن الفوز في المعركة الأخيرة ضد شكل متطور من الكولونيالية سيكون بمثابة تحرر أربعة أخماس الإنسانية من قمع لن يدوم أكثر من العقد الحالي. لقد شاعت الصدفه وحدها أن تكون بداية الاحتلال العسكري للخليج متوافقة مع يوم تقديم تقرير لجنة الجنوب التي يرأسها الرئيس نيريري حول تعاون الجنوب - الجنوب. وهذا التقرير دفنته حيا وسائل الاعلام الغربية وهو الآن دخل طي النسيان.

وبالمناسبة، نقول إن الوطن العربي هو تلك المنطقة من العالم التي يضعف فيها نموذج تعاون الجنوب - الجنوب، ويسودها سوء توزيع غير مقبول للثروات، إذ أن دول الخليج الستة تمثل 10 بالمئة من الشعب العربي، لكن إنتاجها الوطني من النفط يتجاوز 40 بالمئة من الإنتاج القومي لمجموع العالم العربي. وموجودات هذه الدول في الغرب ترتفع الى 700 مليار دولار وتفوق بـ 3 مرات عائدات 90 بالمئة من العرب. وتجدر الإشارة إلى أن الدين العام للعالم العربي هو 230 مليار دولار، أي ما يعادل ثلث ودائع دول الخليج. هذه المفارقة ليست سوى مشكلة جنوب - جنوب خلقها الشمال لكي يواصل استثماره للعالم الثالث. عندما يدرك الجنوب بأن الشمال لا يرغب في فهمه، فحينذاك سيفهم الشمال بأن لا خيار له سوى العيش بسلام مع الأغلبية الواسعة من شعوب الإنسانية. ولكي يتم ذلك يجب على الشمال أن يتحرر من الخوف الذي ولد فترة ما بعد الكولونيالية. ويانتظار ذلك يجب الا نبقى فاغري الأفواه.

(12 شتنبير 1990)

هوامش

- La crise du Golf, Prélude à l'affrontement Nord-Sud? Les débuts du "Post-colonialisme" FUTURIBLES, Paris, N° 147, Octobre(1990).

- "العلم"، الرباط، 1990/09/17

- "ALGERIE ACTUALITE", 20/09/1990.

- "REALITES", Tunis, 20/09/1990.

- "اليوم السابع" 1990/10/01

- "LIBERATION", Casablanca, 20/ 10 / 1990.

ستقوم الحرب^(x)

• الإذاعة الدولية لفرنسا :

أريد أن أسألكم، أولا، عن كل من الجماهير العربية والرأي السياسي العام، إنهما يظهران لي كأنهما يؤيدان الى حد بعيد موقف العراق (من أزمة الخليج)، إلى أي عامل تردون هذا التأييد؟

– الدكتور المنجرة :

إن سؤالكم هذا وقع في الصميم. وأرى أنه، قبل النظر الى المعطيات الراهنة والى ما هو جار بالشرق الأوسط انطلاقا من تاريخ 2 غشت المنصرم، ينبغي للمرء، أولا، أن يتجشم قراءة شمولية لمجموع وضعية العالم العربي. إنها منطقة لا حرمة فيها لسيادة القانون. ليس هناك دولة عربية واحدة تحترم فيها هذه السيادة كامل الاحترام على المستوى الوطني... ويجب على المرء أن يأخذ بعين الاعتبار هذه الظاهرة قبل أن يخوض في الحديث عن : احترام سيادة القانون الدولي... إن جماهير العالم العربي، عانت وتعاني، الكثير في حياتها اليومية من: خروقات سافرة لحقوق الانسان الأساسية، ومن غياب للحريات المدنية... فماذا تختبر اليوم هذه الجماهير؟

إنها تعانين بالمكشوف كيف أن المعسكر الغربي يقدم كامل الدعم سياسيا واقتصاديا وعسكريا، لعدد من الحكومات العربية التي كانت وماتزال من أكبر المعتدين على الحقوق المبدئية الأساسية، على المستوى الوطني... إن هذه الجماهير تلمس الآن قدرا كبيرا من المفارقة «والعهارة السياسية» بين:

السرعة التي انقذف بها الآن المعسكر الغربي إلى الدفاع عن الشرعية الدولية، والتلكؤ والتماطل والتبلد التي مارسها إزاء خروقات إسرائيل للشرعية الدولية في الأراضي العربية الفلسطينية المحتلة.

– الإذاعة الدولية لفرنسا : عودة الى قضية الخليج الآنية، هل تتوقعون نشوب مواجهة عسكرية؟

– الدكتور المنجرة : نعم، ذلك انه لم يحدث، منذ الحرب العالمية الثانية، أن شاهدنا تمظهرات قوة وإطباق، وحضور انتشار جهد عسكري-منظمة من جانب الولايات المتحدة الامريكية خاصة- مثل ما نشاهد الآن بالمنطقة... إن تحولا كبيرا في نظام توزع القوى الدولي وقع الآن بعد أن تقوضت البنية ثنائية القطب

(سوفييت - أمريكيان)، وبعد أن ولد هذا التقوض نوعا من الفراغ القوي.

أرى أن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى إلى استغلال هذه الفرصة، وإلى استغلال الأزمة الاقتصادية التي يجتازها حاليا الاتحاد السوفياتي، وأنها مقدمة على أن تحتل، سياسيا وعسكريا، جزءا استراتيجيا هاما من العالم يرقد تحته احتياطي نفط هائل الحجم. ولا ينبغي أن ننسى ونحن نتحدث عن أهمية النفط، أن الولايات المتحدة الأمريكية تستهلك من النفط نسبة 25٪ من مجموع حجم الانتاج العالمي، في حين أن حجم سكانها لا يتجاوز نسبة 5٪ من حجم مجموع سكان العالم (أي أن: «الفرد الاحصائي» الأمريكي يستهلك 5 أضعاف ما يستهلكه «الفرد الاحصائي» لبقية العالم). كما لا ينبغي أن ننسى أن امريكا تستورد نسبة 50٪ من مجموع النفط الذي تستهلكه.

... أعتقد أن القوات العسكرية المحتشدة بالخليج - بقطع النظر عما تقوم به العراق - لن يتم استخدامها في رقعة واحدة معينة... لا أعرف متى ستدور رحى الحرب، ولا الصورة التي ستلبسها هذه الرحى؛ ولا ما إذا كانت ستدور بطريق مباشر، أو بطريق غير مباشر - بنريعة ما، عبر إسرائيل مثلا؛ ولكنني لن أفسد أبدا إذا ما دارت هذه الرحى... وأمل أن أكون خاطئ التقدير.

إضافة الى ذلك نعلم جميعا أن الوضع الاقتصادي الراهن للولايات المتحدة الأمريكية ليس مما يبتهج له؛ وأن أحداث الخليج زادت سوء. ثمة انحسار وجزر بينان. ولا ريب أن مسألة تنشيط وديئمة صناعة الأسلحة هو أمر من شأنه أن يخفف كثيرا من شدة وطأة ذلك الجزر والانحسار.

ويجب علينا أن نستظهر أيضا أن الولايات المتحدة الأمريكية صنعت، السنوات القليلة المنصرمة، أسلحة متطورة جديدة؛ وأن هذه الأسلحة الجديدة لم تتح لها بعد فرصة ميدانية تُختبر فيها باللمس مزاياها وفعاليتها - وذلك مخافة للأمريكان من أن يطلع السوفييت على أسرار تكنولوجية كبيرة (في حال وقع الاختبار عندئذ).. أما الآن، وقد انطوى عهد الحرب الباردة بين العظميين، فقد زالت تلك المحاذير (وانفتح الميدان لاختبار الأسلحة المتطورة الجديدة).

ثم إن بلدان الخليج، والعربية السعودية بالخصوص، قامت خلال ال 15 سنة المنصرمة، باستثمار مآت ملايين الدولارات! في ميدان حيازة أسلحة... وهذا يعني أن هناك الآن حاجة (ملحة) إلى اشتعال نيران حرب كبيرة - مثلما حصل أخيرا بين العراق وإيران؛ وذلك حتى تُستخدم هذه الكميات الضخمة من الأسلحة وتفسد وتتلغ وتبيد، تاركة مكانا فارغا صالحا لاستقبال أجيال جديدة من أسلحة فائقة التطور التكنولوجي، قادمة في المستقبل القريب.

وإني لأسف لهذه الرؤية الشخصية، التي تفرض نفسها علي؛ ولكن لا حيلة لي معها؛ فهي نتيجة

التحليل الوحيد الذي يمكن للمرء أن يقوم به أمام طبيعة الوضعية الراهنة القائمة.

• الإذاعة الدولية لفرنسا : هل يعني هذا أن النزاع التنافسي «شرق / غرب» (الذي زال الآن) عوّضه، بصورة ما، نزاع طرفاه هما : الشمال، والجنوب؟

– الدكتور المنجرة : هذا هو بالضبط ما استخلصته من قريب، وهو ما عرضته في مقال نُشر هذا الشهر بباريس بمجلة «فوتورييل» (التي تعنى بعلوم المستقبليات)... إنه شكل جديد من أشكال النزاع «شمال / جنوب» دخلنا معه في عصر دعوته بعصر «ما بعد الاستعمارية».

عاشنا عصر الاستعمار إلى حدود سنوات الستينات، ثم عاشنا عصر «الاستعمار الجديد» الذي قامت فيه القوات الاستعمارية بتنصيب وطنيين محليين على رؤوس السلطة (في البلدان «المحمية» السابقة) تابعين في تصرفاتهم لتعليمات تلك القوى... أما في عصر ما بعد الاستعمار (الذي دخلناه الآن) فإن الأمور صارت أكثر وضوحا وتفتحا ومباشرة: فالغرب، في هذه المرة يحتل أراض جنوبية، ليس بواسطة الحرب والاكراه (ولا بواسطة الخديعة والتجارة) بل يحتلها بمساعدة حكومات أهلها ذاتها و«بطلب» من هذه الحكومات؛ بل الأدهى من ذلك هو أنه يحتلها على نفقة أهلها أنفسهم.

إن الولايات المتحدة الأمريكية «تدبرت أمرها» الآن، فحصلت في ظرف أسابيع قليلة، على مبلغ 20 مليار دولار، معظمها (80٪) من موجودات الدول العربية للخليج. إنه أمر (ريح) لم نشهد له مثيلا في تاريخ العلاقات الدولية... وعصر ما بعد الاستعمار هذا سيكون زمن شدة على دول الجنوب، وأتوقع أن يطول عمر هذا العصر إلى نهاية القرن الحالي على الأقل.

عندما يُعَمَّر المرء النظر، على الأمد الطويل - كما يفعل العبد لله المتخصص في الدراسات المستقبلية - يجد أن ما يجري الآن يشكل نهاية لعهد وبداية لعهد جديد أقدر أنه لن يدوم طويلا، بحكم كونه يحمل بذور انهياره في ذاته. لا يمكن للمرء أن يتصور نظام سلام يحقق لفائدة نسبة 20٪ من بني آدم تمثل أقلية تنتفع وحدها بنسبة 80٪ من مجموع خيرات وموارد العالم، على حساب رفاه وكرامة السواد الأعظم من سكان العالم... هذا هو بيت القصيد. إنه أمر أهم بكثير من أهمية الأحداث التي تجري حاليا بمنطقة الخليج؛ وهو يتعلق أكثر بضرورة إقامة نظام توزيع قوي وثروات مادية أكثر إنسية وإنصافا - في إطار دولي نزيه، ليس كإطار الراهن الهش الذي لا يمكن لوجوده أن يستمر في ظل الأوضاع القائمة

• الإذاعة الدولية لفرنسا : لنعد إلى النظر على الأمد القصير... ما هي المضاعفات التي يمكن أن تلحق باقتصادات ومجتمعات بلدان الشرق الأوسط في حال نشوب مواجهة عسكرية؟

الدكتور المنجرة : إن اقتصادات ومجتمعات العالم العربي واقعة في نكبة من أمرها من زمان. فإذا

كانت نسبة 4٪ فقط من سكان هذا العالم تتمتع بعائدات نفط وفيرة، فإن النسبة الكبرى الباقية تعيش على مسك الرمق... ولا ينبغي أن ننسى أن مجموع الناتج القومي الخام لكتلة البلدان العربية لا يبلغ نصف الناتج القومي الخام لفرنسا... العالم العربي ساحة فقر بها رُقع فيها نخبة وافرة الغنى. ومعظم موجودات هؤلاء الأثرياء المعدودين مودعة في المؤسسات المالية للمعسكر الغربي (700 مليار دولار - أي ما يقارب حجم الناتج القومي الخام لفرنسا).

إن معدل الدخل السنوي الفردي، في العالم العربي، لا يتجاوز مبلغ 1,500 دولار. فلا ينبغي للمرء أن ينبهر بالأرقام الاحصائية لكل من: اتحاد الامارات العربية، والكويت، وقطر، والسعودية.

وبصورة إجمالية فإن الجماهير العربية ليس لديها ما يمكن أن تخسره من حيث موجوداتها الاقتصادية. أما الذين يمكن أن يخسروا شيئاً فهم أولئك الذين انصبت الاموال عليهم كما تنصب الأمطار، فتعاملوا بها رشوة وإفساداً، وتحالفوا بها مع أطراف غربية ذات مصالح اقتصادية محضة... لهذا تجدني غير متخوف كثيراً من المضاعفات الاقتصادية التي قد تصيب الجماهير العربية جراء نشوب مواجهة عسكرية. بل إنني أتوقع أن تسفر هذه المواجهة، في آخر مراحلها، عن «نظام عربي دولي» جديد يُعاد فيه توزيع القدرات والثروات، وتُحترم فيه كل من أساليب الحكم الديمقراطي، وحقوق الانسان الأساسية احتراماً أكبر. وبكل الإعتبارات فإن العالم العربي أصبح بعدُ على غير ما اعتاد أن يكون عليه... وعودا إلى سؤالكم الأول «يظهر أن الجماهير العربية تدعم العراق، إلى أي شيء تُرجعون ذلك؟» - فبفضل احتلال الامريكان والقوات الغربية الحليفة للعربية السعودية وبلدان عربية خليجية أخرى نلمس اليوم قطيعة حقيقية تامة بين الحكومات العربية القابضة على السلطة، وجماهيرها. هذه الحكومات فقدت الآن مصداقيتها، والوسيلة الوحيدة لأن تستعيد هذه المصداقية هي وسيلة لا علاقة لها بمسألة الحرب.

وأرى أن العلاج لحالة اهتزاز الحكومات العربية هذه يكمن في ثلاثة أمور: أولها : بناء مسلسل ديمقراطي أصيل؛ وثانيها: احترام سيادة القانون؛ وثالثها: احترام الحريات المدنية... إن إهمال هذا الثلاثي هو السبب الأساسي لوجود الوضعية المأساوية الراهنة.

الحرب ضد الاقطاعية والاستبدادية هي الحرب التي ينبغي للعالم الغربي أن يخوضها إلى جانب الجماهير العربية، إن هو كان يريد، حقاً، مساعدة العالم العربي - وبلدان الجنوب على العموم - . وأضعف الإيمان هو أن يترك الغربيون العالم الثالث يخوض وحده وغاه؛ وأن يمسكوا عن دعم الحكام المحليين البائسين مواطنيهم بالقهر والاضطهاد... أما الساعة فإن أزمة الخليج تُرينا، باللموس - وبالأسف! - أن : الغربيين فضلوا كفة مصالحهم المادية العاجلة؛ وأنهم غير مكترئين بتاتا، لمسألة إحلال

الديمقراطية، هذا النظام السياسي العادل الذي تنشده جماهير العالم الثالث بكل قواها. في كل قارات الدنيا... إن الغربيين يغمضون أعينهم عن الذي يجري حالياً بكل من : كوت ديفوار، والغابون؛ والسنغال؛ وباكستان؛ وأمثالها...

• - الإذاعة الدولية لفرنسا: متى ترون أن الحظر والحصار الاقتصادي سيوجعان العراق وشعبه؟ وما هي حظوظ ذلك في إرغام الرئيس صدام حسين على الانسحاب من تراب الكويت؟
- الدكتور المنجرة : أعتقد أن الحظر ألحق الضرر بالشعب العراقي من أول يوم له. ولكن هذا الأمر ليس هو المهم في مجموع القضية.

وينبغي لنا أن نفصح أبعاد الرهانات والأطماع القائمة. إن الأمر لا ينحصر في مسألة الدفاع عن رقعة تراب الكويت الصغيرة ذات النسمات المعدودة (مات آلاف فقط). إننا نتتبع بالملاحظة وجود عدد من الخطط والحركات تستهدف احتلال منطقة الخليج برمتها - إنها الخطط التي يتابع تحليلها وتفحصها منذ 15 سنة خلت دارسو استراتيجيا وعلوم مستقبلات - . لذلك، ويقطع النظر عما جرى، وما إذا كانت الكويت مستقلة أو محتلة (وأنا أرفض أية عملية احتلال، فإن الوهانات القائمة هي من الضخامة في تقدير كل من الولايات المتحدة الأمريكية والغربيين بحيث لا تمثل مسألة الحظر سوى خطوة أولى مهيأة لتبرير إجراءات أخرى هي جزء من عملية تصعيد جيدة الحبكة تقود إلى تدخل عسكري سافر.

• الإذاعة الدولية لفرنسا : بلدان المغرب العربي شرعت في بناء مجموعة اقتصادية، أو هي حاولت بناء مثل هذه المجموعة. هل ترون احتمال نشوء مجموعة اقتصادية في الشرق الأوسط؟
- الدكتور المهدي المنجرة : إن مسلسل الدمج الراهن، على مستوى منطقة المغرب العربي، هو نفسه جد محدود - وأنا لا أظنه بالغ مداه، باعتبار الكيفية التي يتم بها إنجازه حالياً... فقبل أن يتأتى لأي طرف بناء مجموعة اقتصادية يجب على هذا الطرف أن يتوفر على أداة هامة - وهي أداة يفتقر إليها، للأسف!، العالم العربي بما فيه المنطقة المغاربية؛ ويمكن أن تصبح في المتناول خلال الفترة القادمة لما بعد أزمة الخليج... إنها: التوفر على تصور موحد لما يجب أن يكون عليه «المجتمع الجديد الصالح». إن هذا التصور مفقود لدينا... وعلم الاقتصاد الجديد يلقننا أن: لا تجمع جهويا يقل سكانه عن 150 مليون نسمة قادر علي ولوج القرن الواحد والعشرين ولوجاً مشرفاً.

في أثناء هذه المرحلة الفاصلة يظل العالم العربي مبلقنا في وقت يتحد فيه شطرا ألمانيا وتوشك فيه المجموعة الاقتصادية الأوروبية على تحقيق الاندماج الكامل... وفي هذا الوقت بالذات يتبين أن الأقطاب الغربيين البالغى التشدد فيما يخص مصالحهم العاجلة الضيقة يسعون لمنع أي شكل من أشكال تجمع

عربي يكون من شأنه تغيير صورة الوضع القائم.

ولا أتوقع أن يتم أي دمج اقتصادي - في الشق المغربي، أو في الشق المشارقي من العالم العربي .. اللهم إلا إذا سبقه مسلسل ديمقراطية خالص، وأعني بذلك أن يعطى للشعوب ذات العلاقة حق الكلام الحر الذي يعبر عن واقع الاحساس.

إن الثلاثين سنة الأخيرة المنصرمة - اللاحقة لفترة تصفية النظام الاستعماري - حُرِّفَتْ عن مجراها الطبيعي؛ فبدل أن تستخدم لإقرار نظام ديمقراطية، في بلدان العالم الثالث، استخدمت في تدعيم سلطة أنظمة وحكومات تسوس مواطنيها بعكس ما يقتضيه الشأن الديمقراطي.

تلك هي الأزمة الحقيقية المطبقة على علاقات الشمال والجنوب؛ والذي يجري الآن في الخليج ليس سوى حبة من سبحة جديدة ستليها حبات وحبات..

نص مقابلة صحفية أجرتها الإذاعة الدولية لفرنسا:

17 شتنبر 1990

العلم"، الرباط - 1 أكتوبر 1990

واقع ومستقبل التخلف العربي على ضوء التحولات العالمية^(*)

إن أول دراسة مستقبلية شملت العالم العربي قامت بها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية في باريس وكلفت أكثر من ستة ملايين دولار وقد خرجت هذه الدراسة بنماذج وسيناريوهات خاصة بالقرن الواحد والعشرين بما فيها ما يخص العالم العربي. وقد تمت هذه الدراسة بدون أية مشاركة عربية مما دعاني الى توجيه النقد لهذه الدراسة، سواء في نادي روما وعلى المستوى الدولي من الناحية السياسية، حيث أنهم أرادوا أن يرهنوا مستقبلنا بدون التشارو معنا وبدون أية مشاركة عربية. وهذا نظرا لأن الدراسات المستقبلية تعد بناء على رؤية.. وقد بدأنا في العالم العربي أجزاء بعض الدراسات المستقبلية منذ العقد الماضي وانتهينا الى أهميتها إلا أنها لم تصل الى ما نرجوه... وقد أدى غياب الدراسات المستقبلية في الفترة الماضية إلى تعاملنا مع الأحداث كرد فعل في حين أن العالم الغربي يعد الاحتمالات المختلفة لكيفية... التعرف تجاه الكوارث الطبيعية لتجنب أثارها المدمرة اقتصاديا وبشريا واجتماعيا... في حين أن العالم العربي يتغلب على المشاكل بتأجيلها الى المستقبل حيث لا تتوفر إلا آمنيات على الأداء الاقتصادي في المستقبل مثل توقع زيادة عدد السياح برقم معين أو تطور الخدمات الصحية بتوفير عدد محدد من الأسر بدون أن تكون هذه التوقعات مبنية على اختيارات ودراسات.

وفي المشاكل التي نواجهها في القطاع الاقتصادي وبصفة خاصة المديونية أصبح صندوق النقد الدولي هو المركز الرئيسي الذي يقرر حل مشكلاتنا.. إذ أن الصندوق عندما يتم التفاوض معه فإنه لا يطلب تنفيذ بعض الإجراءات خلال عام واحد... وإنما هو يطلب تنفيذ اختيارات استراتيجية من المفروض أن تناقش على مستوى شعبي وبرلماني ومن طرف الحكومات.. وأصبح الوضع يتمثل في هيمنة الصندوق حتى على مستقبل العالم العربي.

وما نراه أن مستقبلنا مرهون مع مؤسسات التمويل الدولية وحتى على مستوى المساعدات الثنائية مغادة ما تطلب الدول المانحة شروطا محدودة تمثل العناصر التي تؤثر على مستقبلنا... فلو كان لدينا دراسات للمستقبل وتوقعات كان يمكن أن يفيدا ذلك في المفاوضات مع الصندوق وغيره.

الصندوق.. والمستقبل

هل معنى ذلك أن قصور التعامل مع الصندوق الدولي يرجع الى عدم توفر دراسات مستقبلية ؟ قال : هناك عناصر داخلية وعناصر خارجية وفيما يتعلق بالأخيرة لا يمكنه أن ينسى الفجوة التي تتزايد بين الشمال والجنوب حيث أن أي حكومة من العالم الثالث تجد نفسها في مأزق لأن النظام الاقتصادي الدولي ليس فيه أية عدالة.. لكن لنا مسؤولية من الناحية الداخلية فعندما ننتقد صندوق النقد فإن النقد لا يوجه اليه فقط وإنما الخطأ من ناحيتنا أيضا... فليس هناك دراسات حكومية مستقبلية كما لا تتوافر ثقة بالنفس كافية لمواجهة الحاضر والمستقبل...

وباليت المشكلة تتبلور فقط في عدم الاهتمام بالمستقبل، حيث أن الحكومات العربية تذهب للتفاوض مع مؤسسات التمويل الدولية بدون ثقة كافية بالنفس بالاستمرار مما يمنعها من أي تصور مستقبلي. وتجري السوق الأوروبية المشتركة حاليا دراسة مستقبلية هامة هي التنبؤ بالعلوم التكنولوجية الحديثة وقد أنفقت مبالغ طائلة بهدف التنبؤ بمستقبل الاسلاميات وغيرها من العلوم وقد وصلوا الى المراحل النهائية في هذه الدراسة وبدأوا في دراسة تصورات عالمية فيما يخص آسيا وإفريقيا والعالم وأمريكا اللاتينية.

القطري... والقومي

قاطعت الدكتور مهدي المنجرة وسألته : هل الدراسات المستقبلية في العالم العربي مقصورة على تلك الدراسات الثلاث الشهيرة على المستوى القومي العربي أم أن هناك ثمة اهتماما بتلك الدراسات على المستوى القطري ؟

قال الدكتور مهدي : في المغرب أسست عام 1979 الجمعية المغربية للدراسات المستقبلية ولها منشوراتها وتضم حوالي 400 عضو من المفكرين والمسؤولين في القطاع العام والقطاع الخاص.. وفي الأسبوع المقبل سوف أذهب الى الجزائر لتنظيم ندوة تدريبية لحوالي 200 من المديرين وقد تأسست في الجزائر منذ أربعة شهور جمعية مماثلة للدراسات المستقبلية...

وفي القريب سوف تنشأ جمعية مستقبلية في تونس وفي خلال زيارتي لمصر هناك تشاور بهذا الموضوع خاصة وأن مصر تمتلك خبرات عظيمة وطاقات بشرية كبيرة وأنا متفائل ببناء على اتصالاتي بأنه سوف تؤسس جمعية مصرية للدراسات المستقبلية... وفي الكويت هناك محاولات... وليس هناك تناقض بين العمل على المستوى القطري والمستوى القومي بل هناك تكامل... وعندما يصبح على سبيل المثال هناك جمعية لكل دولة في المغرب العربي فسوف نكون اتحادا للدراسات المستقبلية على مستوى المغربي

العربي... ولا يمكن للحكومات أن تقوم بهذا العمل لأن لها دورا آخر.

وبمناسبة قيام مجالس التعاون على المستوى العربي أرى أن ذلك لا يشكل أي تناقض بل بالعكس..

فجوة الدراسات المستقبلية

قلت للدكتور المنجرة : ما هي حجم الفجوة التي تفصلنا عن العالم الغربي في مجال الدراسات

المستقبلية ؟

قال : الفجوة قائمة منذ فترة، ولفهم ذلك يجب أن نذكر كيف بدأت الدراسات المستقبلية في العالم.

إن أول دراسة مستقبلية بدأت في عام 1946 قامت بها مؤسسة «راند كوربوريشن» الأمريكية حيث

وقع البنتاجون عقدا مع هذه المؤسسة لوضع تصورات لمدة عشرين عاما قادمة حول التطورات في مجال

الفيزياء والكيمياء فقدمت راند كوربوريشن سيناريوهات للمستقبل وحددت التوقعات.. والواقع أن هذه

الدراسة كانت توقعاتها جيدة إلا أنها كانت أقل من الحقيقة فما تصورته الدراسة حدث في الواقع ولكن

بشكل أكبر.

ويلزم أن نفهم أن ثلثي مجهود الدراسات المستقبلية يحتكره القطاع العسكري في الدول الكبرى

وقطاع الشركات متعددة الجنسية.. وأتذكر في عام 1970 أن عينت شركة سوني اليابانية مديرا متفرغا

للدسات المستقبلية وكان ممنوعا عليه أن يساهم أو يشارك في أي أعمال تمس الحاضر وكان لديه فريق

عمل.. والشركة الأخرى هي شركة شل التي أعدت سيناريوهات لعام 2000 وخطت لأعمالها بمفهوم

مستقبلي وأيضا شركة «أكسون» في الولايات المتحدة.

وأقول أن ما بين 90-97٪ من الأبحاث والدراسات المستقبلية تتركز في الدول الصناعية وأكثر من

ثلثي هذه الدراسات في الميدان العسكري.

... وفي منطقتنا تهتم إسرائيل بهذا المجال وقد اتضح ذلك في مشكلة أوغندا وفي واقعة الهجوم

الإسرائيلي على المفاعل النووي العراقي من خلال دراسة الاحتمالات والبدائل المتعددة.

وأية دولة تصل الى مستوى علمي معين فهي ملزمة بالاهتمام بالدراسات المستقبلية

وبالسيناريوهات.

وفي العالم العربي قطعنا مرحلة ويمكن أن نقول أننا وصلنا الى مرحلة اكتفاء ذاتي في الدراسات

المستقبلية... لكن على أي مستوى؟ المستوى الفكري والجامعات والأشخاص ومراكز غير حكومية. ولكن

للأسف على مستوى صناعة القرار ليس هناك أي اهتمام بهذا المجال حيث أن صناعة القرار في المنطقة

العربية تتم على المدى القصير... والخطر هي عدم إدراك أهمية قراءة المستقبل في المجال السياسي.

متغيرات دولية

س - من المعروف أن النظام الدولي أخذ في التغير ونحن على مشارف أوروبا 1992 هل تعتقد أن المنطقة العربية متنبهة لهذه المتغيرات الضخمة في العالم؟

إن أول استنتاج خرجت به الدراسات المستقبلية وهناك اتفاق في العالم عليه، أنه ليس هناك أي مستقبل أو إمكانية لأي مجموعة اقتصادية يقل عددها عما بين 150 إلى 200 مليون نسمة، أن تدخل القرن الواحد والعشرين بأي أمل، لأن التطورات الدولية تشير إلى أننا ننتقل من مجتمع مبني على الانتاجية إلى حضارة أخرى تسمى مجتمع المعرفة. فالنموذج التنموي الذي عرفه العالم بعد الثورة الصناعية هو أن التنمية مبنية على عنصرين أساسيين هما المواد الخام ورأس المال.. وكان المهم هو الانتاج.

أما المجتمع المعرفي والذي يشكل لب الحضارة الجديدة التي تسمى مجتمع ما بعد الصناعة فهو مبني على المعرفة والإعلام... بمعنى أن الموارد البشرية أصبحت هي الأساس... ورأس المال له دور مهم إلا أن المعلومات والمعرفة أصبحت هي الأساس... فإذا توافرت الطاقة البشرية والمعرفة فإن القيمة المضافة للمال سوف تصبح أكبر.. أما إذا توافرت المواد الخام ورأس المال فقط، فليس من الممكن لمجتمع ما أن يصنع بهما شيئاً في عالم اليوم... لهذا فإن التطور الذي تم أحدث انقلاباً كبيراً في العالم الثالث... والعالم العربي طبعاً جزء من العالم الثالث.

وهناك متغيرات ثلاثة ينبغي أن نضعها في الاعتبار ونحن ندخل القرن الواحد والعشرين الأول : ديموغرافي : وهو العنصر الذي يخشاه الشمال.. وغير ممكن محاربة الزيادة السكانية بدون محاربة الفقر.. فعندما ترتفع معدلات التنمية تنخفض نسب الزيادة السكانية وغير ممكن أن نقلب الآية كما أن الشمال يمثل حالياً حوالي 20% من سكان العالم وهذا الرسم سوف ينخفض في عام 2015 إلى 15% وفي عام 2050 فإن وزن الشمال على الكرة الأرضية سينخفض إلى 12% ديموغرافياً.. والوضع الآن أن 20% من البشرية تستغل أكثر من 80% من الشؤون المادية والمصرفية والمالية في العالم... كما أن الشمال يحتكر الآن حوالي 90% من المصارف الدولية... وفي ميدان البحث العلمي 90% ومن غير الممكن أن تستمر 20% من سكان الكرة الأرضية في استغلال كل ذلك في المستقبل.. ومن المنتظر خلال العشرين سنة القادمة أن ينخفض الانتاج الصناعي لعالم الشمال. العنصر الثاني : ليس التغير الديموغرافي الكمي بل الكيفي.. ففي بداية القرن الواحد والعشرين سيكون عدد سكان المدن أكبر من عدد سكان الريف لأول مرة في تاريخ البشرية... وهذا عنصر مهم لأن الوعي السياسي والتغييرات تتم بسرعة أكبر في المدن من القرى وهذا التغيير في العالم

مهم جدا من الناحية الكيفية الديموغرافية.. وسوف نجد أنه من بين العشرين مدينة التي يزيد عدد سكانها على 10 ملايين نسمة 16 مدينة من العالم الثالث... فمثلا القاهرة حاليا حوالي 12 مليون نسمة وفي سنة 2010 سوف تصل الى 25 نسمة، وميكسيكو وصلت الى 20 مليون نسمة.. وهذه لها وزن من ناحية دور التغير الاجتماعي بسبب تراكم السكان.

عنصر آخر : في بداية القرن الواحد والعشرين سوف يشكل عدد الحاصلين على درجات الدكتوراه في العالم الثالث 50% من العدد الاجمالي العالمي.. ولأول مرة بعد 300 أو 400 سنة سوف ينتهي الاحتكار المعرفي لأن 50% من الحاصلين على الدكتوراه سوف يكونون من العالم الثالث. وفي العام الماضي كانت آخر التقارير التي وصلت الى الرئيس ريجان تفيد أن 55% من الداخلين في سوق العمل من الحاصلين على الدكتوراه من أصول غير أمريكية.

العنصر الثالث : من أكبر المشاكل التي سنواجهها هي ما يعرف بالاتصال الثقافي وأول نموذج منه هو الصراع الذي نراه الآن ما بين اليابان والولايات المتحدة الأمريكية وما بين اليابان وأوروبا الغربية.. وما أقصد بالصراع الحضاري أن تخوفات الغرب هي تخوفات من العنصر الديموغرافي وعنصر القيم حيث نرى التخوف في أوروبا من الإسلام كحضارة واليابان وهو ما أصبح يعرف في فرنسا باسم نيوفوبيا " New- phobie .. حيث نقرأ في جريدة فرنسية جادة هي «اللوموند» تحليلا مطولا لما يعرف بـ «نيوفوبيا» ولكي أبلور ذلك أكثر أقول أنه عندما أستقبل الرئيس الفرنسي ميتران رئيس وزراء اليابان منذ شهرين تحدث عن الشؤون الاقتصادية والسوق الأوروبية المشتركة والسيارات والفيديو، وعندما خرج ميتران للصحفيين قال أن المشكلة ليست اقتصادية ولكنها مشكلة ثقافية..

وأهم دراسة مستقبلية في تاريخ البشرية هي الدراسة التي قام بها في اليابان ما يسمى بـ «نيرا» وهو المعهد الياباني للبحوث المتقدمة، وقد دامت الدراسة سبع سنوات تناولت دراسة التطورات المتوقعة في ميادين تكنولوجية : ماذا سيكون في الالكترونيات وماذا سيكون في المعلوماتية، وماذا سيكون في العلوم الخاصة بالفضاء.

وخرجوا بتقرير مهم تحت اسم، "أجنحة اليابان خلال عقد التسعينات". وقد شارك في هذه الدراسة جميع الشركات اليابانية الكبرى وجميع الجامعات. وقد جاء في الدراسة : أن الهيمنة الأمريكية الحضارية على العالم قد انتهت وأننا دخلنا في عالم آخر مبني على تعدد الحضارات ويزيد التقرير فيقول : إن الحضارة الغربية ماتزال لها منافعها، وهذا لا ينكر لكن لا يمكن أن نقول أن معاصرة اليابان تعني التغريب، فما حدث في اليابان ليس هو عملية تغريب وإنما هي عملية تطور ثقافي ياباني...

فليست اليابان حضارة تقليد وإنما سر اليابان يكمن في أنهم محوا الأمية قبل نهاية القرن الماضي كما أنهم اعتمدوا على حضارتهم وقيمهم وكانوا في بداية القرن يترجمون الى اليابانية كل ما يصدر في لغات أخرى.. إذن محافظتهم على قيمهم دفعتهم الى أنهم عندما يحصلون على تكنولوجيات أخرى كانوا يسيطرون عليها وعندما يتفهمونها يضيفون اليها قيمة مضافة هي اليابانية.. وهذا هو الابتكار الياباني..

وأخر كتاب صدر باليابانية في هذا الموضوع كان يحمل عنوان :

«اليابان يمكن أن تقول لا للولايات المتحدة» كتبه المدير العام ورئيس شركة سوني اليابانية ويبرهن فيه علميا أن بإمكان اليابان أن توقف الميدان الأمني في الولايات المتحدة جهازها للدفاع لأن الرادار الأمريكي يحتاج الى تكنولوجيا يابانية.

إن المتغيرات الثلاث التي يلزم أن نراها في المستقبل في اتصال الشمال والجنوب هي العنصر الديموغرافي بعنصره الكمي والكيفي.

ثانيا : التغير الذي سيحدث على صعيد النظام الدولي أن عدد المتخرجين والحاصلين على درجات الدكتوراه في العالم الثالث سيكون أكثر من الشمال.

وثالثا : العنصر الحضاري الثقافي القيمي. وهذه المتغيرات الثلاثة هي التي ستؤثر على كل التغيرات في العلاقات بين الشمال - الجنوب.

ما هو موقع العالم العربي من هذه المتغيرات ؟

- موقع العالم العربي خطير جدا لأن العالم العربي من الناحية الحضارية له حضارة وله قيم.. فهل سيلتزم بهذه الحضارة. وهل سيبذل المجهود الكافي في البحث العلمي وفي استغلال لغته وفي محاربة الأمية وفي الاهتمام بالطاقة البشرية كعنصر أساسي هذا هو التحدي الأول.

أما التحدي الثاني فهو في ميدان العلم والتكنولوجيا بمفهومه المعاصر.. فهل سنظل دولا نستورد التكنولوجيا ونشتري المصانع بنظام تسليم المفتاح وهل سنفتنم بدرجة كافية فرصة وجود الطاقة البشرية مثل وجود 750 ألف مهندس في العالم العربي منهم 250 ألف خارج العالم العربي أم لا لكن مشكلتنا أيضا أنه لا بد من أن نعلم وزننا الاقتصادي، إذ أن الدخل القومي بـ 22 دولة عربية لا يساوي مجموع الدخل القومي لكل من بلجيكا وهولنده.

والعالم العربي غني بعدة مواد ولكنه على المستوى الدولي له وزن ضعيف اقتصاديا في عالم اضطرب فيه الأوروبيون للدخول في اندماج اقتصادي من أجل البقاء وأقول أن التحدي في العالم العربي الذي به 200 مليون يتمثل في أنه لا أمل لدولة عربية أن تدخل القرن الواحد والعشرين إلا بنوع من الاندماج الاقتصادي

يضم مجموعة لا تقل عن 150 مليون نسمة أو 200 نسمة لأن هناك ما يسمى باقتصاديات الحجم، ومن غير الممكن الدخول في ميادين الفضاء والمعلوماتية أو الكمبيوتر إلا إذا كان هناك سوق كافية.. وينبغي على المسؤولين العرب أن يتفهموا أن الوحدة العربية ليست مشكلة عاطفية ولا استراتيجية ولا سياسية وإنما أصبحت أكثر من ذلك مسألة بقاء..

العام والخاص

س - ما هو موضوع الدراسات المستقبلية العربية تجاه القضايا الاقتصادية العربية المصيرية مثل عملية بيع العام والخاص !

قال : الدراسات المستقبلية لها الآن حوالي 40 سنة ولها قيم ومنهجية واختيارات.. وعنصر أساسي في المنهجية المستقبلية هي تحديد عناصر المقارنة.. وما نلاحظه مثلا أن الحوار حول تقنية القطاع العام والقطاع الخاص أننا ننقل الأفكار مباشرة بدون دراسة البيئة التي تتطور فيها هذه الأفكار. فالنقاش في فرنسا أو إنجلترا أو الولايات المتحدة حول ماهية القطاع العام ومسؤولياته، والقطاع الخاص ومسؤولياته يختلف عما هو عليه في العالم العربي لأنه في العالم العربي هناك مشاكل تتعلق بكيفية تسيير وإدارة القطاع العام.. ولا ينبغي أن ننقل مفاهيم من بيئة تختلف عن بيئتنا وأنا لا أتحدث عن الناحية الحضارية وإنما عن الواقع الاقتصادي والمالي والسياسي.. ففي فرنسا مثلا عندما تغيرت الحكومة وانتقل بنك "سوسيتيه جنرال" من القطاع العام إلى القطاع الخاص فقد تم ذلك وفق شروط محددة بعد مناقشة في البرلمان ودراسات.. استشارات.. الصحف تتحدث في الموضوع.. والتعرف على كيفية توزيع أسهم هذا البنك.. ومؤسسات تراقب العملية أنها مسؤولة تنجم عن العملية الديمقراطية.. بالإضافة إلى توافر القدرة الشرائية لدى الشعب الفرنسي.. فإذا أخذنا تطبيق تلك التجربة في العالم العربي فمن لديه القدرة على الشراء.. الفئة الوحيدة التي لديها القدرة على شراء القطاع العام هي فئة محدودة بالإضافة إلى المشتريين من الخارج حيث ستأتي بعض رؤوس الأموال الخارجية لشراء هذه المؤسسات بالإضافة إلى حل مقايضة المديونية الخارجية من خلال بيع شركات القطاع العام أنا أرفض التحدث عن بيع القطاع العام إلى القطاع الخاص بمنظور دول أخرى تتوافر لديها شروط أساسية منها : الديمقراطية والتوزيع العادل للدخل القومي.. ولهذا ينبغي أن نناقش قضايا القطاع العام والقطاع الخاص بمنظورنا، حيث أن إدارة كل من القطاع العام والقطاع الخاص تواجههما مشاكل عديدة..

فمثلا القطاع الخاص في الغرب ينفق على البحث العلمي ما بين 6 و8 في المائة من أرباح هذه الشركات سنويا.. وتنفق نفس النسبة على تدريب وتأهيل موظفيها وعمالها.. من هنا نجد قيمة مضافة تأتي

من التدريب والتكوين والبحث..

والعالم كله يتبع أسلوب الابتكار، وحيث لا يمكن أن نفسر مفهوم النجاح الياباني إلا إذا فهمنا دور الابتكار ودور الطاقة البشرية ودور البحث العلمي.. وأنا أتساءل أين هي تلك الشركة العربية من القطاع الخاص التي تنفق 1% من أرباحها السنوية على البحث العلمي؟..

إنني نريد أن نقلد أشياء ولكن نتجاهل الأساس القائم على البحث العلمي..

وأكثر من ذلك نجد أن القطاع العام والخاص العربي يمول البحث العلمي في دول أخرى بشراء الأسلحة بنسبة 30% فما ندفعه يذهب الى البحث العلمي في مجال الأسلحة.. هذا في الوقت الذي تتوفر لنا طاقات عملية كبيرة، إذ يتوافر في العالم العربي 500 ألف مهندس داخل العالم العربي و250 ألف مهندس خارج العالم العربي. والولايات المتحدة نفسها لا يتوفر بها رقم المليون مهندس؛ لكن كيف نستغلها.. أعتقد أن سبب ذلك وجود تبعية اقتصادية وتخلف فكري وانتشار الأمية حيث تصل الأمية الى 60% وفقاً لإحصاءات اليونسكو في الوقت الذي بلغت النسبة في إفريقيا جنوب الصحراء 56% فكيف يمكن بهذا الوزن أن نتحدث عن أفكار ونماذج خارجية عن منطقتنا؟

حوار أجراه

جمال زايد

الأهرام الاقتصادية 1990-06-25

العالم الإسلامي والمستقبل (*)

• يهتم الدكتور المهدي المنجرة بالدراسات المستقبلية، ويدعو إلى ذلك بحماس كبير .. فهل يرى

أن إحاطتنا تسمح لنا باستشراف المستقبل؟

- اسمح لي أن أبدأ بالهزل، والهزل هنا -تدي. لما سئل أربور انسلان هذا السؤال كان جوابه بسيطاً جداً. قال إن أمني هو أن أقضي بقية حياتي هناك. الحاضر في الحقيقة لا وجود له. هو شيء ظرفي. الماضي موجود، الاهتمام بالدراسات المستقبلية يمس حتى الماضي وخصوصاً في مناطقنا. نحن في ماضينا كنا مستعمرين، وما ضينا له مستقبل. نحن ننادي اليوم بالبحث العلمي وإيجابياته، أن على يقين أن المسلمين بعد نحو عشرين أو ثلاثين سنة ستكون لهم مفاهيم أخرى لهذا التاريخ. حتى هذا التاريخ له مستقبل. فنظراً لظروف الاستعمار وتأثير المستشرقين و«المثقفين» المرتزقة في البلاد الإسلامية الذي يخدمون في إطار الحملة ضد العالم الإسلامي، حملنا كثيراً من الأخطاء والتقويمات غير السليمة. إن لهذا الماضي مستقبلاً سوف نستفيد منه. وما دام للماضي مستقبل، فإن لدراسة المستقبل أولوية وفوائد جمة.

إن ما يسمى بالحاضر في أزمة اليوم هو نتيجة عدم اهتمامنا بالمستقبل في السنوات الماضية. فالحاضر ليس سوى نتيجة لما أعددنا في فترة محددة. وإذا أردنا أن نغير المستقبل فيجب أن نغير العمل اليوم بالذات. إن العناية بالمستقبل ليست أمراً جديداً. فقد حفلت اللغة العربية بلفظ يحمل هذا المعنى، كثيراً ما استعمله الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي كلمة «الاستبصار». كان النبي قبل أن يبدأ عمله كل يوم يتصور الأشياء ويخطط ويستبصر. وبعد هذا الاستبصار يتوكل على الله ويمد له الله يد المساعدة. فالتوكل على الله يأتي بعد الاستبصار. وبتعبير بسيط أقول إن أزمنا في العالم الإسلامي اليوم سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو أخلاقية هي بالأساس أزمة استبصار. فليس هناك استبصار عند المسؤولين. ليست هناك رؤية. الرؤية الوحيدة الموجودة باليومية هي كيفية البقاء في الحكم والمحافظة عليه بما فيه من وزراء ومسؤولين.

أعطيك مثلاً ثانياً. ما هو مفهوم من إصلاح تربوي. هل هناك ما هو أهم في أزمنا من المسألة التربوية؟ لكن من هو الاختصاصي الحقيقي في التربية الذي يمكن أن يتوقع ما قد يجد على مدى السنوات المقبلة؟ كيف يمكن أن يقع إصلاح التعليم الابتدائي إذا لم يصاحبه إصلاح في التعليم الثانوي؟ وكيف يمكن أن يتم ذلك إذا لم نكون على مستوى الجامعة الأساتذة الأكفاء؟ نأخذ مثلاً آخر في الصيدلة. فأي مشروع في نواء جديد تسبقه على الأقل خمس سنوات أو ست للبحث العلمي، وخمس سنوات للتجربة، وخمس سنوات أخرى يباع بطريقة أو بأخرى، وتصحبه تحاليل حول تأثيرته ومفعوله. فالعمل الصيدلي يحتاج إلى بحث يمتد لخمس عشرة سنة تقريباً.

نأخذ مثلاً سياسياً. عندما تخوف الرئيس الأمريكي كيندي في بداية الستينات من تقدم بحوث الفضاء السوفياتية بعد سبوتنيك، أخذ قراراً سياسياً وقال للعالم: بعد عشر سنوات سنكون في القمر. وبعد أن اتخذ هذا القرار السياسي طلب من الخبراء والعلماء والإداريين والاقتصاديين أن يقدموا له تخطيطاً لإنجاز هذه الفكرة خلال عشر سنوات، وبدأوا العمل منذ أن اتخذ القرار. وفعلوا فقد وصلت الولايات المتحدة إلى القمر بعد عشر سنوات في مشروع أبولو. نحلل هذا. لقد صارت هناك إرادة سياسية. وبالنسبة للدراسات المستقبلية، فإن لنا من الوسائل المادية والبشرية والعلمية التي تسمح لنا بتصور المستقبل وبذل الجهود الممكنة لتحقيقه. وإذا لم تتوفر لدينا كل الوسائل، فلنأخذ جزءاً منها. لكن عدم الاستبصار وغياب الإعداد على أمد طويل للأشياء، يؤدي بنا إلى الأزمة.

وهناك الآن تسارع التاريخ. وما أقوله هو استنتاج علماء وباحثين وليس استنتاجاً شخصياً. فما بين هذا الظرف الذي اتحدث فيه إليك إلى آخر هذا القرن، فإن الانتاج العلمي الحضاري خلال العشر سنوات المقبلة فقط سيساوي ما حققته الإنسانية منذ عشر آلاف سنة. وهو التاريخ الحضاري للإنسانية. فكيف يمكن في هذا المواقع المتحرك أن ينتظر الإنسان. إن الدراسات المستقبلية مسألة تسيير وليس هناك إلا نوعان من التسيير. التسيير بالأهداف. وإذا أردت مقارنة بالعلوم الإسلامية فهي المقاصد. فإذا فهمت مقاصد الدين الاسلامي مثلاً، فإن ما تفعله يصبح مجرد وسائل. في ميدان الدراسات المستقبلية هناك تسيير الاقتصاد. فأما تسيير بناء على المقاصد وأهداف على مدى طويل، أو تسيير مبني على الكوارث، أي تنتظر حتى تحصل الكارثة لتحاول أن تواجهها. وكلما تأخر الإنسان في الاستعداد لمواجهة المشاكل، صعب عليه حلها. أما إذا توقع الإنسان حدوث المشكل واستعد له، فتسهل عليه معالجته. والتسيير في بلدان العالم الثالث كله تسيير كوارث. دائماً ننتظر حصول الكارثة لنستنتج منها. لقد أعطانا الله الامكانيات.

أعطانا العقل والعلم والقدرة على التحليل.

• لكن هل نحن مستوعبون للحاضر حتى نحسن التخطيط للمستقبل؟

الدراسات المستقبلية تبني على المستقبل أولا. لنأخذ مثال كينيدي والصعود إلى القمر. فلما قال أن بلاده ستصل إلى القمر بعد عشر سنوات كان متحمدا. لم تكن له من المعلومات الكافية لتحليل الحاضر والامكانيات العلمية المتاحة. لقد اتخذ قرارا سياسيا. ولكن الحاضر كله أصبح يخدم هذا المستقبل. وهذا حل وسط. أولا نبدأ ونتمنى ونقول ما هو المستقبل الذي نريد؟ بكل حرية وبدون ضغط من الحاضر. وعندما يصير هذا القرار رؤية نرجع إلى الحاضر لنحله بجدية ونحدد وضعنا فيه. فإذا كان تحليل الحاضر جديا فإننا نعرف نقطة الانطلاق. كيف يمكن أن تحقق هدفا قبل معرفة المسافة التي نفصلك عنه والعراقيل التي قد تعترضك في الطريق؟ لكن المهم في الدراسات المستقبلية والذي يجب أن نركز عليه هو أن هناك فرقا بين أن أتوقع مستقبلا أريده وأرجع إلى الواقع لأغيره ابتداء من اليوم، ويجب أن أغير البرنامج التعليمي، ويجب أن أدفع أكثر في البحث العلمي ويجب أن أكون أكثر مصداقية في التسيير، وأن تكون لنا سياسة ثقافية حضارية. ننظر ما هي الشروط التي يجب أن تتوفر لتحقيق هدف معين.

إن هناك فرقا كبيرا بين الغيب والمستقبل. الغيب شيء خاص بالقدرة الإلهية. أما المستقبل، فقد أعطانا الله القدرة لتغير أمورنا بأيدينا (سنريهم آياتنا في الآفاق). أنا أفهم الآفاق نظرة مستقبلية. النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ينظر إلى الوراء. كان هدفه دائما إلى المستقبل. هناك غلط يقع فيه بعض الناس، وأنا أسميه جريمة، وهو استعمال المستقبل للتهرب من مسؤولية الحاضر. هناك بلدان إسلامية رأيت فيها مشاكل في الصحة، وعوض أن تواجه هذه المشاكل ونخطط للمستقبل، نسمع وزير صحة يقول إنه في سن ألفين سيكون لدينا وكذا. وهو لم يخطط لهذا ولم يفهم ما هي المشاكل التي يجب أن يتغلب عليها، لكنه يستغل هذا المستقبل لأغراض ديماغوجية وسياسية ليهدي الناس. ليس هذا مفهوم الدراسات المستقبلية. هذه خيانة لعلوم المستقبل، وخيانة للشعوب. نتحدث عن السياحة وعدد المدارس والمستشفيات وغيرها سنة ألفين. طيب أعطني الوسائل والتخطيط، أعطيني المؤشرات التي بنيت عليها إحصاءك، أعطيني الميزانية التي خصصتها لذلك.

• لو تنتقل إلى موضوع آخر من اهتمامات د. مهدي المنجرة وهو موضوع حقوق الإنسان والمنظمات المهمة بها، فقد برزت خلال السنوات الأخيرة عدة منظمات وجمعيات للعناية بحقوق الإنسان العربي. وبغض النظر عن الهدف المعلن ومشروعيته هل ترى بروز هذه المنظمات أمرا طبيعيا في حياتنا

العربية؟ أم هو نقل لشيء موجود في الغرب؟ كيف ترى علاقة هذه المنظمات بواقعنا العربي وكذلك بالجهات الغربية؟

إن مبادئ الإسلام قد جاءت بهذه الحقوق قبل غيرها بقرون. إن مفهوم الحرية وكرامة الإنسان وحقوقه وحقوق المرأة والحق في الإبداع والابتكار هي نقطة الانطلاق الحقيقية لمفاهيم الإسلام. فليس هناك شيء أخذناه من الخارج. فقد سادت هذه المفاهيم في عهود الإسلام الزاهرة. لكن تدهور المجتمع الإسلامي وطغيان روح الاستبداد في العالم الإسلامي لعدة قرون جعل كثيرين ينسون هذه المبادئ. والغرب عاش مشاكل أخرى في ظروف مخالفة ووجد لها حلولاً وأرى أن الحرية وحقوق الإنسان أمر ضروري.

إن الله عندما خلق الإنسان خلق معه كرامة. وهي من أعز الأشياء عند الله، بغض النظر عن لون الإنسان ودينه وموطنه. فمفاهيم حقوق الإنسان عالمية، لكن تطبيقها له علاقة بالقيم. القالب الحضاري يستغل مفهوم حقوق الإنسان ليس للدفاع عن الإنسان، ولكن لاستغلال هذه المفاهيم، وهذه الفلسفة تدفع إلى أشياء لا علاقة لها بحقوق الإنسان. هناك «المنظمة العربية لحقوق الإنسان» وهي منظمة غير حكومية ولا توجد لها فروع إلا في عدد قليل من الدول العربية. لكن بعض هذه المنظمات سواء بطريقة مقصودة أو غير مقصودة، أصبح لديها مركب نقص أمام الغرب. وأصبح لديها تقليد أعمى. وأنا لا أقبل التقليد الأعمى في أي شيء. حتى القرد يقلد بسرعة، ونحن عندما نقلد، نقلد بتأخير كبير. لقد مارست هذا الموضوع ووجدت فيه صعوبات كثيرة. أخذ مثلاً بلدي المغرب، حيث كنت رئيساً مؤسساً لـ «المنظمة المغربية لحقوق الإنسان»، وهي منظمة لا تنتمي لحزب أو سلطة، لكننا نجد أحزاباً سياسية معارضة تجد في حقوق الإنسان مدخلاً لأغراض سياسية وانتخابية.

والصعوبة في بلداننا أننا نجد دائماً الأحزاب السياسية أو السلطات الحاكمة تحاول أن تستولي على هذا الميدان. وهذا هو الخطر الأول. ثانياً نجد ضغطاً يمارس علينا من الغرب حتى في ميدان حقوق الإنسان. هذه الهيمنة الغربية تستغل كل وسيلة وتحدث الخلافات والتشتت. أنا منذ صغري مناضل في سبيل حقوق الإنسان. وفي سنة 1958 كنت ممثلاً للمغرب لدى الأمم المتحدة ومن الذين وافقوا على الاتفاقية الدولية الخاصة بحقوق الإنسان. ولكنني وجدت ضغوطاً تمارس علي لدرجة أن الرابطة الفرنسية لحقوق الإنسان أو شيئاً يسمى «الاتحاد العالمي لحقوق الإنسان»، وليس له في الحقيقة أي شيء عالمي ولا مصداقية، ولم يقو على إدانة الممارسات الصهيونية، يصل الأمر بهذا «الاتحاد العالمي» لأن يصدر تعليمات لمنظمة حقوق الإنسان في المغرب العربي ويقول: إذا أردتم أن نتعامل معكم فيجب أن يتخلى مهدي المنجرة

عن منصب كذا . ومعلوم أن مهدي المنجرة سبق له أن دافع عن هذه المؤسسة وتحمل من أجلها ضغوطات. ثم يتحقق هذا الأمر الصادر من باريس وتقبل به منظمة حقوق الانسان المغربية، والرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان، والرابطة التونسية لحقوق الإنسان التي تجلس في هذا الاتحاد (الاتحاد العالمي) في نيابة الرئاسة مع نائب ثان هو رئيس الرابطة الإسرائيلية لحقوق الإنسان.

وهكذا ترى الهيمنة مع مرتزقة مثقفين، وبمساندة أحزاب تسمى معارضة. فماذا بقي من حقوق الإنسان، ومن مصداقية. وهذه أزمنا في حقوق الإنسان. إنها ليست على مستوى المفاهيم، ولا يجوز أن تجزأ كرامة الإنسان. فالله الذي خلق البشرية كلها لم يجزئها. لكنه مركب النقص لدى المثقفين عندنا، الذين لا يشهدون بشيء إلا إذا شهد لهم به من مصادر أخرى خارجة عنا جميعا.

الرباط - حسن صالح
"العالم" (لندن) السبت ٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٠

حوار حول أفق الأزمة^(x)

• كيف تنظر إلى العرب غدا أو إلى مستقبلهم، خاصة بعد التغيرات العالمية وأزمة الخليج؟
هناك أساس للتفاؤل على الأمد الطويل، أي بين ١٠ و ١٥ سنة حسب مفهوم الدراسات المستقبلية. لكن وفي الوقت نفسه هناك عناصر موضوعية للتشاؤم على الأمد القصير، وأظن أن العالم العربي دخل في مرحلة تشمل على الأقل السنوات الخمس المقبلة، مرحلة صعبة جدا من كل النواحي. وستشهد تطورات هي نتيجة ما جرى في العالم العربي خلال العقد الأخير. إنها مرحلة صعبة جدا سنرى خلالها انقطاعات أساسية في ما يخص النموذج التنموي ومفهوم الدولة، وعلاقة المواطن مع حكومته، ومع المؤسسات الوطنية والأحزاب السياسية. وسنرى تحولات كبيرة جدا في ما يخص طموحات الشعوب العربية من أجل الوصول الى مجتمع مدني. بالإضافة إلى مسألة حقوق الإنسان ودولة القانون التي سيكون لها دور كبير. ولعل أكبر أزمة في العالم العربي هي عدم وجود رؤية الأعمال التي قامت بها الدول العربية سواء داخل الجامعة العربية ومؤتمرات القمة أو من خلال برامج التعاون، أو حتى في بعض المؤسسات المختصة والمسؤولة عن التربية والصناعة والسياحة، كما تعاني من البيروقراطية، ومن تقليد أعمى لنماذج على المستوى العالمي وفي المنظمات الدولية.

• ما هي الرؤية التي تراها؟

الرؤية يصعب أن تراها العين، والرؤية الحقيقية في المجتمع هي في وجود مشاركة حقيقية. الرؤية ليست نتاج شخص، والوصول إليها يجب أن يكون نتيجة طموحات الشعوب العربية، وحتى الآن لم تتمكن هذه الشعوب من التعبير عن طموحاتها وأحلامها والحلول التي تتصورها لمواجهة التحديات الكبرى. بالطبع هناك عنصر ذاتي داخلي، أسباب داخلية خاصة بالمنطقة وهناك أيضا أسباب خارجية، وأظن أن الأسباب الداخلية أكثر أهمية من الأسباب الخارجية. إذ أنه من دون ديمقراطية لا يمكن أن نتطور أو أن نواجه مشكلاتنا الاقتصادية والاجتماعية. هناك أيضا أزمة أخلاق، أي أزمة مصداقية في ما يخص المسؤولين وتعاملهم مع الاقتصاد الوطني، وتحويلهم مبالغ ضخمة إلى الخارج، وعدم الاهتمام برأي المواطنين

• ما هي الأسباب الفعلية التي تدعوك إلى التفاؤل؟

- تفاؤلي ينطلق من إيماني بالإنسان وبقدرة الأشخاص والمجتمع على تغيير أوضاعهم جدياً. ونرى الآن ومنذ بداية أزمة الخليج تحركاً أساسياً على مستوى الشعوب العربية، التي غالباً ما تتخذ مواقف مضادة لتلك التي تتخذها الحكومات العربية في هذه المنطقة.

• يستهل المثقف ورجل الفكر أو الباحث عملية إعطاء «وصفة» الديمقراطية لحل كل مشكلاتنا،

بالإضافة إلى انتقاد الغرب. لكن عندما نتكلم عن الديمقراطية نستخدمها بمفهومها الغربي. برأيك هل من خصوصية للديموقراطية العربية وما هي؟

- الديمقراطية الغربية هي نتاج تطورات داخل المجتمع الغربي. ونتاج قيم أساسية خاصة بما يسمى الحضارة اليهودية - المسيحية.

وأنا من المعجبين بالتجربة الديمقراطية الغربية، لكن علينا أن نفهم أولاً أنه من غير الممكن نقلها بطريقة عمياء واصطناعية من دون توفر الأسس الضرورية لها. الديمقراطية بمفهومها العالمي، هي نوع من المشاركة، وإعطاء الفرد حق الدفاع عن حقوقه أمام ما يسمى بدولة القانون.

وأظن أننا نعيش الآن في العالم العربي بعض التحولات الأساسية. منها بالطبع ما يحدث في الجزائر. ف لأول مرة في العالم الثالث وفي العالم العربي - باستثناء الانتخابات الأخيرة في الأردن - تجري انتخابات نزيهة.

فهل هذه الحرية ناتجة عن إرادة سياسية للحكومة، أم أنها، وهو الأقرب إلى الحقيقة، نتيجة وجود نوع من الفراغ في الإرادة السياسية. إن الحكم في الجزائر ليس في إمكانه اليوم أن يعارض الحرية في التعبير في الشارع وفي البرامج الإذاعية والجمعيات التي تنشأ يوماً بعد يوم. إنني أرى في التجربة الجزائرية بداية تحرك عربي. وقد لا نكون بعيدين عن انطلاق حركات تحررية من قيم محلية لها علاقة بالحياة اليومية والأشياء التي يؤمن بها الناس داخل مجتمعهم، وأظن أن العنف الذي عشناه في العالم العربي كان نتيجة تكامل العوامل الخارجية والداخلية. فالخارج ساند هذا النموذج التنموي وبرامج المساعدة الفنية والقروض من المؤسسات المالية الدولية، ويمكن أن نقول أن ما بين 30 أو 40 في المائة مما يسمى بمساعدة الدول العربية خلال الـ 20 سنة الأخيرة، هو نوع من الرشوة وذهب إلى حسابات في الخارج. فأين التنمية التربوية في عالم عربي تصل نسبة الأمية فيه إلى 57 في المائة. ونعرف الآية القرآنية «اقرأ باسم ربك». أنا أقول بكل صراحة أنه ليس من حاكم مسلم في المنطقة العربية كلها، لو كان مسلماً لطبق أول آية في القرآن.

لكن هذا الجهل يستغل الآن داخليا ومن الخارج، وخصوصا الغرب، ومن ضمنه الاتحاد السوفياتي الذي هو جزء من الحضارة اليهودية - المسيحية. والمطلوب واحد: حدوث تغير داخل المنطقة.

• عندما نتكلم عن الغرب، نتكلم عن المسيحية - اليهودية، مع العلم أن الثقافة المسيحية هي جزء أساسي من التراث العربي؟

- عندما أتكلم عن الثقافة المسيحية - اليهودية أتكلم عنها بكل احترام، لأنني كمسلم أولا أعرف أن الإسلام يعترف بالأديان التي جاءت من قبله. وهي اليهودية والمسيحية. إذن ليس هناك مشكلة. أنا أتكلم عن الحضارة اليهودية - المسيحية بما حركته. فما حصل في أوروبا الشرقية مؤخرا، جاء بخلفية القيم اليهودية - المسيحية. من جهة أخرى، ففي منطقة الشرق الأوسط نلاحظ أشياء كثيرة مشتركة بين المسيحية والحضارة اليهودية - المسيحية الغربية.

وهناك مسيحيون عرب ليس لديهم أي صعوبة في التفاهم مع الحضارة العربية، بينما العنصر اليهودي يمكن أن يتكيف مع هذه القيم، وإذا أردنا التحليل الحقيقي لقضية فلسطين لوجدنا أنها ليست سياسية ولا عسكرية ولا اقتصادية. إنها قضية حضارية في الدرجة الأولى. ففي الوقت الذي تشكل الحضارة المسيحية المحلية في الشرق الأوسط جزءا لا يتجزأ من الذاتية الحضارية العربية، نرى في المقابل، أن العنصر الأوربي اليهودي جاء ليضغط على هذا العنصر اليهودي الشرق الأوسطي أو المغربي لكي يفرض نوعا آخر من القيم. وعندما أتكلم عن هذه القيم أقصد القيم الإسلامية واليهودية - المسيحية، لا أقصد المقدسات والأشياء التي تتصل بعلاقة الشخص مع الله، بل قصدت ترجمة هذه المفاهيم في المعاملة اليومية مع بيئة معينة.

تغيير في الأذهان

• هل تعتقد أن التغيير أو التحولات القادمة في المنطقة العربية هي نوع من الانقلاب السياسي، أن العامل الثقافي قد يسبق العامل السياسي هذه المرة؟

- إن جزءا من هذه الانقلابات التي بدأنا نعيشها وسنعيشها في المستقبل هو رد فعل على فشل بعض الحركات السياسية في الماضي. إن هذه الحركات كانت بفعل نخبة معينة وهذه النخبة نفسها كانت نفسها نتاج الحضارة الغربية. الآن التغيير أصبح في الأذهان أولا. ودور المثقفين اليوم لم يعد الدور الذي كان في الماضي، لأن مصداقية جزء كبير منهم سقطت في التجربة، ومن المآخذ الأساسية على المثقفين الخوف، أي عدم شجاعة في الدفاع عن المبادئ الأساسية التي كانوا يكتبون عنها لم يطبقوها على أنفسهم.

الآن هناك أجيال تكونت داخل الجامعات العربية من عائلات فقيرة تحمل مفاهيم أخرى غير تلك التي كانت سائدة حتى وقت قريب، وهذا سيؤدي الى نوع من «الديمقراطية» المنطلقة من قيم محلية تجاوزت مركب النقص الذي كنا نعيشه ونراه عند الحكام وعند المثقفين إزاء بعض القيم الغربية.

الانقلاب الكبير

- هل تتوقع حدوث انقلابات على مستوى السلطة، أم حصول تراكم ثقافي يؤدي إلى ضغط وتفجير

مدني؟

- نحن على عتبة القرن الواحد والعشرين، الانقلاب الكبير في هذا القرن، سيتمثل في الانتقال من مجتمع مبني على الانتاجية والصناعة والمواد الخام والرأسمال، إلى مجتمع المعرفة وهو الذي تعيش فيه اليابان وجزء من الولايات المتحدة وإلى حد ما أوروبا الغربية. أهم شيء في هذا المجتمع ناحية الاقتصاد والتطور هي الموارد البشرية والمعلومات والمعرفة. أما رؤوس الأموال والمواد الخام فأصبح لها دور ثانوي؛ بقطع النظر عن الاهتمام مثلا بالنفط أو بعض المواد الخاصة. وأظن أن التطور الذي سيحصل في العالم العربي هو أولا جزء من تطور شمولي داخل العالم بأسره؛ وثانيا، ليس ضروريا أن يحدث الانقلاب الحقيقي في الشارع أو عبر انقلابات سياسية. وأظن أن أكبر تحول سيكون داخل الأذهان.

ومثلما تكلمت عن الأذهان الجديدة في الأجيال الصاعدة في العالم العربي، يمكن الكلام على تحول مماثل داخل الغرب وداخل الدول الشمالية وبرز قيم ومفاهيم جديدة للسلام والتعاون الدولي.

الشيء الآخر هو أن الفارق بين المرحلة التي دخلنا فيها في التسعينات، وبين المراحل الأخرى التاريخية في العالم هو أنه من غير الممكن أن يرجع الإنسان إلى الوراء، أي مرحلة L'irreversibilité وقد يكون سبب تفاؤلي هو أننا لأول مرة في التاريخ المعاصر، في العالم العربي كما في بقية دول العالم قد دخلنا في ما أسميه L'irreversibilité du changement وإن السياسة الغربية كلها، وخصوصا في منطقة الخليج، تركز على نظرية «الستاتيكو» لا أكثر. الاستقرار مفيد لمجتمع متقدم من أجل تحصين مكتسباته خلال قرون. أما كلمة الاستقرار في مناطقنا فشئ خطير، في ظل واقع من الظلم والعنف والرشوة وعدم احترام حقوق الانسان والديمقراطية. إن ما يناسبنا هو عدم الاستقرار، أي تغيير الأوضاع التي تعيشها. «الستاتيكو» هو الهدف الاستراتيجي الأول لدول الشمال في العالم الثالث كله، وما نراه في الخليج وفي المنطقة العربية هو درس من قبل هذا الغرب الى بقية العالم الثالث. لكن أظن كما يقول تشرشل في الحرب العالمية الثانية، إننا دخلنا في بداية النهاية.

3 سيناريوهات

• هل تعتقد أن الصراع بين الشمال والجنوب هو صراع حتمي، أم أن هناك إمكانية للتعايش؟

منذ أكثر من 15 سنة، أي منذ بدأ ما سمي بحوار الشمال والجنوب، وبالضبط في العام 1975، كنت أرى 3 سيناريوهات : السيناريو الأول ما يمكن أن نسميه السيناريو الإصلاحي، أي إدخال بعض التغييرات البسيطة في العلاقات ما بين الشمال والجنوب، لكن من دون تغيير جذري؛ والسيناريو الثاني هو سيناريو الـ Transformation أي التغيير، أي إحداث تغييرات وظيفية داخل الهياكل نفسها وفي العلاقات الدولية والنظام الدولي. وهذا هو المقصود من المحاولة التي جرت في الأمم المتحدة عام 1973 عندما تم اتفاق على ما سمي بـ «النظام العالمي الاقتصادي الجديد». لكن من حاول محاربة هذا السيناريو التغييرى الوظيفي طبعاً، الغرب وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وانكلترا وفرنسا.

ويبقى السيناريو الثالث الذي يسمى «سيناريو المواجهة». وفي تحليلي لأزمة الغرب قلت أننا دخلنا في مرحلة تنفيذ سيناريو المواجهة. ولن يكون هناك رجوع إلى الوراء إلا إذا فهم الغرب أنه على المدى الطويل سينحسر بقطع النظر عن إمكانياته العسكرية والتكنولوجية وغير ذلك، فهناك العنصر الديموغرافي والحضاري، وخصوصاً الإسلامي الذي يخشاه الغرب أكثر من كل شيء، لأن أعداد المسلمين في العالم تزداد بنسب كبيرة بينما المجتمعات الغربية تدخل مرحلة الشيخوخة.

والعنصر الأخير، وهو أنه عندما أتكلم عن الحضارة المبنية على المعرفة، فإنه في نهاية هذا القرن سيكون 55 في المئة من الأدمغة في العالم في مستوى الدكتوراه سيكون أصلهم من العالم الثالث، حتى وإن كان الجزء الكبير من هؤلاء العلماء يعمل في أمريكا وفي ألمانيا وغيرهما. وآخر تقرير وصل إلى مكتب ريفان قبل أن يترك البيت الأبيض، كان يتكلم عن خطورة التغييرات داخل مراكز البحث العلمي والكليات ومدارس الهندسة في الولايات المتحدة، وإن غير الأمريكيين أصبح بإمكانهم الآن السيطرة على العديد من هذه المراكز. إنن يوماً بعد يوم يتغير اللون الأوربي داخل أمريكا، اللغة الأسبانية ستكون خلال 30 أو 40 سنة اللغة الأولى وهي لغة رسمية معترف بها إدارياً في أكثرية الولايات المتحدة. وهناك العنصر الآسيوي والأسباني من أمريكا اللاتينية وأمريكا الوسطى، والعنصر الشرق أوسطى من إيران ومصر ودول عربية عدة، هناك نوع من «دياسبورا» علمية إسبانية في هذه البلدان، وأظن أن الأسلحة الحقيقية في القرن الـ 21 ستكون أسلحة الأدمغة والعلم والتكنولوجيا والمعرفة.

لماذا الإسلام؟

• من هي المنطقة الثانية المرشحة للعب هذا الدور، الشمال أو الجنوب الذي هو إسلام

ومسيحية وبودية؟

- إن أول تهجم على الإسلام بدأ في الحقيقة في الصحف وغيرها بطريقة شديدة ابتداء من العام 1975. لماذا؟ لأن الفاتيكان الذي يمتلك أفضل المؤسسات لدراسة العالم الاسلامي نشر إحصائيات يبين فيها لأول مرة في التاريخ أن عدد المسلمين فاق عدد الكاثوليك. وحسب هذه الإحصائيات فإن عدد الكاثوليك بلغ 850 مليوناً بينما بلغ عدد المسلمين 860 مليوناً. هذا التغير تغيير أساسي. «بورجوابيث» الذي توفي قبل 3 أشهر، وهو رئيس الجمعية العالمية لدراسة الديمغرافية بيّن من خلال توقعاته أن عدد المسلمين كان يمثل تقريباً 12 إلى 14 في المئة من سكان العالم في بداية القرن وفي نهايته سيكون ما بين 22,20 في المئة، وقبل منتصف القرن 21 سيصل إلى ثلث العالم، وفي نهايته سيكون على الأقل نصف سكان الكرة الأرضية مسلمين. ويجب أن نفهم أن الحروب المقبلة ستكون قبل كل شيء حروباً حضارية. وعندما أتكلم عن الحضارة أعني قيم التسامح، ومن حق كل الحضارات أن تعيش وأن تتمتع بكل الحرية، ولهذا أقول أن أكبر تحديات المستقبل هو بناء نظام عالمي جديد حقيقي مبني على احترام الحضارات.

هناك فكرة سائدة في الغرب تدعي أن المسيحية تطورت إلى درجة أنها باتت قادرة على التعايش مع الحضارات الأخرى، بينما هناك نظرة معينة للإسلام وكأنه قائم على نفي الآخر؟

- أظن أن هذا الكلام صحيح وهو سؤال أساسي. الأديان كان لها دور في احترام الإنسان لأنه خليفة الله، سواء كان يهودياً أم مسيحياً أم مسلماً. وأظن أن إي مسلم لم يفهم رسالة الإسلام الحقيقية، وأعرف أننا في الإسلام نقول إن الاختلافات أمر طبيعي وإن الله لو أراد لجعل جميع سكان الأرض مسلمين، ولهذا فأني مسلم لا يعترف بوجود غير المسلمين هو كافر في نظري. لأن الله أراد أن يكون هناك مسلمون وغير مسلمين.

وأظن أن في أحد الجوانب الحقيقية لأزمة الخليج، وجود ما يسمى بالحركة الإسلامية في العالم العربي، وفئات معينة تبرهن أنها نوع من المرتزقة بتمويل من منطقة معينة، وهذه المنطقة برأبي لا تمثل الإسلام الحقيقي، أو إسلام الأفغاني والشيخ محمد عبده وحركة الإسلام المبني على التسامح. ويكفي أن نرى الطريقة التي يطبق فيها الإسلام داخل منطقة الخليج التي لم تحترم الإنسان ولا كرامته ولا أي شيء.

في المقابل هناك تيار آخر داخل هذه الحركة الإسلامية منفتح على العالم معاصر ومبني أيضاً على اجتهاد جديد، أو قراءة جديدة للقرآن، وقراءة جديدة لهذه القيم من دون المساس بالقيم والأركان. ولكن لرؤية جديدة، لإسلام القرن العشرين. الفئة الرجعية لا يمكن أن يكون لها مستقبل في مجتمع مدني وحضارة مبنية على المعرفة والعلم والتفتح. وهي ستبقى كما في الأديان الأخرى لكنها ستفقد المزيد من أهميتها.

من جهة أخرى، هناك هيمنة عربية على الإسلام، وهذه الهيمنة لها أيضاً حد وسنرى تغييرات مهمة

سيستفيد العالم العربي منها في مفهوم جديد شمولي للإسلام والتسامح والتعامل مع الآخر بغض النظر عن إنتمائه العرقي أو الديني. وهذا التفتح سنراه ليس في الإسلام فقط، وقد بدأنا نراه في المسيحية وحتى في اليهودية ولو جزئياً. وهناك فئة دينية يهودية تتفهم أن لا مستقبل لبقاء اليهود إلا إذا تفهموا ضرورة التفاهم والتعاون والتسامح.

نحن جزء من الآخر

• نحن من؟ دينياً، قومياً، ثقافياً؟

نحن جزء من الآخر. لكن يجب أن نعترف أن هناك وجوداً آخر لكي تبقى لي الذاتية الخاصة بي للتعامل مع هذا الآخر وكأنه جزء مني. هذه هي المشاكل الحقيقية التي نعيشها في العالم الآن. فكل شيء يبرهن أننا جزء لا يتجزأ من العالم، ومشكلة البقاء الآن ليست مشكلة شكلية فقط، بل حالة ويجب أن تعمل إلى تفاهم مع الآخر. وأظن أن من أهم الوثائق التي صدرت أخيراً هي دراسة يابانية علمية في سنة 1988، وعنوان جدول أعمال اليابان للقرن الـ 21، فيها مقدمة صغيرة لرئيس المؤسسة اليابانية لتقدم البحث العلمي، يقول فيها: إن العلمنة الحضارية - الأمريكية انتهت واننا دخلنا في عهد تعدد الحضارات. ودخلنا في نظام العالم الجديد. وأظن أن الرؤية اليابانية هي التي لها مستقبل، لأنه من دون التعددية الحضارية الدينية والعرقية لا مجال للتكامل الضروري للبقاء. وهذا في الحقيقة أساس تفاؤلي على الأمد الطويل. ليس بالنسبة للعالم الغربي الذي هو جزء صغير من البشر لا يتعدى 5 أو 4 ٪ من سكان الكرة الأرضية. وما تكلمنا عنه كله عنصر من عناصر دمج التحولات الحقيقية الكبرى.

(25 أكتوبر 1990)

"تحولات" اللبنانية - عدد فبراير 1991



في ندوة «النوفيل أوبسيرفاتور»^(*)

انعقدت بباريس يوم الخميس 25 أكتوبر 1990 ندوة بعنوان : الخليج : الأزمة الأولى بعد الحرب الباردة، من تنظيم مجلة النوفيل أوبسيرفاتور Nowel observateur، وقد استدعي لهذه الندوة الى جانب المشاركين الأجانب عدد من الأسماء العربية : محمد عابد الجابري والمهدي المنجرة من المغرب، محمد أركون ومحمد يزيد وسامي النير من الجزائر، وحمادي الصيد من تونس.

كما تضمنت الندوة ثلاث جلسات :

جلسة الصباح والتي ترأسها السيد جان دانييل مدير المجلة المنظمة، حيث تمحورت حول أصول ومعطيات المشكل، وشارك في هذه الجلسة كل من محمد أركون، وميشيل فوشير، والجنرال كالوا، وبسمة قودماني درويش، وسامي النير، وجان فرانسوا ريفيل، وسميح صابق، ثم نيكولا سرقيس.

أما الجلسة الثانية والتي كان موضوعها : النظام العالمي الجديد والقانون الدولي، والتي ترأسها السيد جورج عياش مدير التحرير لمجلة كوسمو بوليتيك (Cosmopolitique) فقد شارك فيها كل من أورسولا براون والجنرال بويس وهيربي كاسان والمهدي المنجرة وجاك جوليار ثم أوليفي روسباش. أما الجلسة الأخيرة والمتمحورة حول أوروبا والعالم العربي، فقد انسحب جل المشاركين فيها. وكان من المفروض أن يتدخل في هاته الجلسة المسيرة من طرف لوران جوفران، كل من حمادي الصيد ومحمد عابد الجابري وأندري مكايل وماكسيم رودنسون ومحمد يزيد ثم جان إلينستان.

ولقد كان في نيتنا حين استدعينا (جريدة الاتحاد الاشتراكي، وليبراسيون) الى هذه الندوة، أن نقوم بتغطية أشغالها وينقل المداخلات المقدمة خلالها، إلا أننا ومنذ الجلسة الافتتاحية فوجئنا بأحداث وتصرفات وتعديلات على البرنامج المسطر في الندوة، توحى بما لا يدع مجالا للشك بأن الأمر يتعلق بعملية دعائية وبصفقة إعلامية تحركها جهات معينة. وهكذا لم تدم شكوكنا طويلا إذ ما فتئت الأشياء أن انكشفت؛ وإليكُم مسلسل الأحداث.

في الجلسة الصباحية لوحظ إلى جانب المشاركين في هاته الجلسة، سفيرا دولتي الكويت والعربية

السعودية اللذان أقحما تعسفا في منصة الندوة، الشيء الذي أثار استغراب واستياء الحاضرين وخصوصا المثقفين العرب، مما دفع بالدكتور المهدي المنجرة أن يطلب الكلمة في إطار نقطة نظام حيث أوضح أن المشاركين العرب وأنه شخصيا مثقف ويبحث استدعي إلى ندوة الى جانب مثقفين ومختصين وأنه فوجئ بوجود رسميين في المنصة، وبعد أن ندد الأستاذ المنجرة بهذا التصرف، اعتبره في الحقيقة دعاية إعلانية موجهة، هدد بانسحابه من أشغال الندوة إذا استمر تواجد ممثلين رسميين كيفما كان نوعهم، حيث قال على الخصوص، «في بلدي حين يحضر العلماء تفرض أصول اللياقة والاحترام أن يبقى رجل الأعمال أو الوزير أو الثري على مسافة محترمة، وأنه إذا كان هناك دبلوماسيون تم استدعاؤهم كان عليهم أن يمكنوا في القاعة كباقي الحاضرين خاصة وأن وجهات نظر أخرى تم تغييبها».

وقد تميزت هذه الجلسة بمدخلتين هامتين لقيتا تجاوبا متميزا لكل من محمد أركون وسامي النير. في جلسة ما بعد الظهيرة، كان أهم شيء ميز هذه الجلسة هو طبيعة المتدخلين الذين تحاملوا كلهم على الحق العربي باسم الشرعية الدولية والقانون الدولي وأعادوا اجترار أطروحة الاجماع الدولي، باستثناء السيد جاك جوليار الذي أكد بأنه لا حل إلا بالاعتراف بحق الشعب الفلسطيني وتطبيق القانون الدولي على الجميع بما في ذلك، وعلى الخصوص إسرائيل.

وهنا جاء دور الدكتور المهدي المنجرة الذي ألقى كلمة فند فيها أطروحة الاجماع الدولي حيث قال : «عن أي اجماع نتحدثون، عن الدمى القابلة للبيع والتي توجد في الأمم المتحدة والتي تشترونها كل صباح، إنني أقول لكم لو كنتم في مدرج الرباط أو الجزائر أو تونس دون الحديث عن عمان أو غيرها، أن أولئك الطلبة والشبان والباحثين في القانون سوف يقولون لكم حقا إن المستوى الفكري وطاقة التحليل الغربيين قد تدنيا، وهنا تكمن بداية تفهركم.

... أما عن النظام الدولي الجديد «نظامكم الجديد» لو كان لي الوقت لأعطيتكم بعض عناصره، لكن الشيء الأكيد هو أنه أبدا، أبدا لن تكون الأشياء كما كانت عليه في السابق.

أي إجماع هذا الذي نتحدثون عنه، هناك في الخليج 300 ألف جندي أجنبي 90٪ منهم أمريكيون وإنجليز وفرنسيون. نعم، هناك قوات عربية لكنها تمثل أقل من 10٪. أين هو الإجماع هل قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة شيئا في هذا الموضوع؟ هل تداولت مجموعة عدم الانحياز في الأمر؟».

ثم ختم المهدي المنجرة كلمته قائلا : «هناك نوع من التعالي والإزدراء لم يسبق لهما مثيل في تاريخ الإنسانية، إن ثقافتكم المسيحية أصابها العياء ودخلت في مرحلة الخوف، إنكم تخافون من ثلاثة أشياء :
- من الديمغرافية.



— من الاسلام.

— ومن اليابان.

كما أشار في نهاية تدخله الى مسألة الديمقراطية في العالم العربي حيث قال : «إن أولئك الذين يناضلون صباح مساء مخاطرين بأرواحهم يقولون لكم بأن أكبر عرقلة أمام التغيير والديمقراطية وحقوق الانسان في بلداننا واجهناها خلال الثلاثين سنة الماضية هي الحكومات الغربية التي تُصِرُّ على بقاء الدمى تحركها كما تشاء، حتى يتسنى لكم أن تقولوا لنا اليوم الاجماع الدولي والأسرة العالمية». وقد كان تدخل الدكتور المهدي المنجرة بمثابة القنبلة التي فجرت الزيف والنفاق اللذين كان منظمو الندوة يريدون الحفاظ عليه.

وقد خلفت مداخلة الدكتور المهدي المنجرة أصداء جيدة ولاقت تجاوبا كبيرا من طرف أغلبية الحاضرين فرنسيين كانوا أو عرب و أفارقة لأنها اتسمت بالجرأة والدقة والمصارحة. وفي الجلسة الأخيرة كان الحدث الذي كشف القناع عن خلفيات هذه الندوة، حيث فوجئ الجميع مرة أخرى بإقحام عضو الكنيست الإسرائيلي بشكل مباغت ووقع في المحور الأخير، وهنا تدخل السيد محمد يزيد وهو سفير سابق ليعبر عن استيائه واحتجاجه عن أسلوب التدليس والمناورة، هذا وتسائل عن غياب وجهة النظر الفلسطينية، وعن قراره بالانسحاب ومقاطعة الندوة، فبادر الدكتور محمد عابد الجابري الى الانسحاب هو بدوره احتجاجا وتضامنا، وهنا انسحب جزء كبير من الحاضرين والمتدخلين. وعلى إثر هاته الأحداث بادرنا الى تسجيل بعض انطباعات وتعليقات عدد من المثقفين العرب المشاركين في الندوة، نوردتها فيما يلي :

• تصريح الأخ محمد عابد الجابري

• الاتحاد الاشتراكي : الآخ الجابري، ما هو انطباعكم وتعليقكم حول ما حدث خلال هذه الندوة، وكيف تفسرون قراركم بالانسحاب؟

— محمد عابد الجابري : عندما دعينا الى هذه الندوة، أعطيت لنا أسماء عدة مثقفين فرنسيين معروفين، ولم تكن اللائحة تضم من السفراء إلا محمد يزيد الوزير السابق. وقد فوجئنا صباح اليوم بوجود سفراء، وبطبيعة الحال يمكن للإنسان أن يختار بين المشاركة في ندوة فيها رسميون أو عدم المشاركة، فكان هذا أول حادث وقد أشار إليه الدكتور المنجرة صباح اليوم، ثم جاء المشكل الأساسي وهو حضور ما سمي بأحد «المثقفين من إسرائيل»، وبطبيعة الحال هذا في غياب تام للفلسطينيين ليس فقط كسياسيين بل

كمثقفين، فقد كان لابد إذن من طرح المسألة وقد فعل ذلك الأستاذ محمد يزيد، فكان لابد من التضامن لأنه إذا كان من اللازم الانفتاح على جميع الأفكار وعلى جميع التيارات وعلى جميع الجهات، فالجهة الأساسية المعنية هي الجهة الفلسطينية، وهي لم تستدع، كذلك جهات عربية فليس هناك من يمثل وجهة النظر العراقية في حين أنه وجد من يمثل وجهة النظر المصرية مثلاً، لكننا كنا سنستمر في النقاش لو لم يظهر الممثل الاسرائيلي كواحد يتكلم عن مستقبل العلاقات بين العالم العربي وأوروبا، وكأن فلسطين لا تستحق أن يكون لها رأي في الموضوع. فكان لابد من الانسحاب وعدم الاستسلام لمنطق الحرب الباردة على مستوى اللقاءات والندوات والمؤتمرات، كان لابد من وضع الأمور عند حدها.

الاتحاد الاشتراكي : لقد عشت في الحقيقة إلى جانب باقي المشاركين العرب، جزءاً من العدوان الإعلامي اليومي الذي يعانيه المواطنون العرب في الدول الغربية، وخصوصاً فرنسا، بعد اندلاع أزمة الخليج، هل كنتم تقدرين درجة هذا الإرهاب الفكري قبل الآن؟ وماذا تودون قوله للجالية المغربية بفرنسا؟
- محمد عابد الجابري : في الحقيقة عندما قبلت المشاركة في هذه الندوة، واطلعت على الأسماء التي أعطيت لي لاحظت أن الغائب سيكون هو العرب أو الخطاب القومي العربي الوطني التقدمي، فقلت إنه من الواجب أن يحضر هذا الخطاب، وكان في نيتي أن أتكلم باسم هذا التيار. لكن عندما تطورت الأحداث كما شرحنا من قبل، أصبح هذا الخطاب يفرض علينا أن نقاطع ونحتج. بطبيعة الحال، الجالية المغربية من طلبة ومثقفين، هؤلاء الموجودون في فرنسا واقعون تحت حملة إعلامية رهيبة، وهي حملة تمتد حتى إلى العالم العربي نفسه عبر وسائل الإعلام العربية نفسها، التي تنقل بدون وعي أو بوعي، ما تنشره وكالات الأنباء الأوربية وما يذاع من الإذاعات الأوربية، فتعمم هذا الإرهاب الفكري الاعلامي، ومع ذلك يبقى المثقف، يبقى الطالب والعامل أيضاً، إذا تسلم بالروح النقدية، يبقى هو الحكم المدبر لأمره وهو المنقذ لعقله من هذه الحملة المصطنعة.

• تصريح الأخ أحمد المديني

- الندوة على العموم جيدة، من زاوية المشاركين والخبرات الموجودة بها، حيث أن المداخلات التي قدمت تناولت موضوع أزمة الخليج سواء من وجهة النظر الأوربية الغربية التي تتحدث عن منطق معين للقانون الدولي والشرعية الدولية، أو من جانب عربي نصالي، إذا شئت، يطرح هذا الموضوع ذاته بالعلاقة من تكييف القانون الدولي وكيف تستخدمه القوى الغربية لمصالحها الاقتصادية بالدرجة الأولى. إذن، هناك واقع اختلال كشف في هذه الجلسات. وأقول أكثر من هذا، تم فضحه وتبلور أمام الحاضرين الفرنسيين أنه لا يمكن الاستمرار في هذا النوع من التحريف والتشويه للمفاهيم القانونية وللشرعية الدولية.

أما الموقف الثاني لبعدها ظهيرة هذا اليوم، وهو الذي ترتب عن زرع عضو من الكنيست الاسرائيلي بطريقة مباغثة. فإن موقفنا كما لاحظت موقف العرب المشاركين، الأستاذ يزيد، الدكتور الجابري أو الدكتور المنجرة.. هو موقف سليم، ولا يمكن أن نقبل حوارا غير متكافئ، أو حوارا مبيتا ومقصودا. فلماذا لم يتم استدعاء ممثل عن منظمة التحرير الفلسطينية؟ وعلى أية حال فهذا مظهر من مظاهر الصراع والحرب الاعلامية التي يخوضها الغرب ضد حقوقنا.

• تصريح محمد يزيد

- لماذا استدعينا إلى هذا اللقاء؛ وما هي العلاقة بين أوروبا والعالم العربي؟ أعطيت لنا لائحة بأسماء المشاركين، لكننا فوجئنا في آخر لحظة بإقحام عنصر إسرائيلي، بينما تم تغييب الجانب الفلسطيني. إنني أعتبر هذا التصرف مخلا بالاحترام، وتعبيرا عن موقف بعض المثقفين الفرنسيين الذين يعتبروننا كحمقى أو كقاصرين يجب أن لا تُعطى لهم الحقائق إلا بجرعات صغيرة. لقد سبق لي أن كنت في الجمعية العامة للأمم المتحدة وفي مجلس الأمن وفي لقاءات دولية، وكان هناك إسرائيليون يتحدثون ونجيبهم... الخ. ولكن هذا التصرف مخل بالاحترام وينم عن طبع جديد في موقف الغرب : عودة الاستعمار الثقافي والسياسي والعسكري.

• تصريح الدكتور المهدي المنجرة

- إن مفهومنا للقيم يمنع وجود أية تراتبية اتجاه رجال العلم والمعرفة. في بلادنا حين يجلس العالم يبقى الثري والوزير ورجل الأعمال على مسافة محترمة. حين وصلت هذا الصباح واطلعت على لائحة المشاركين لاحظت وجود شخصين لم يكونا ضمن المشاركين، ولكنهما كانا في المنصة، وميزتهم الوحيدة كونهما سفيرين (الكويت والعربية السعودية، ملاحظة التحرير). بطبيعة الحال لا يتعلق الأمر بطبيعة هذين الشخصين أو إنتمائهما، فإن موقعي كان سيكون مماثلا لو تعلق الأمر بسفيري النيبال ونيكارغوا. في لقاء علمي، حتى إذا كان رجال السلك الدبلوماسي مدعويين، فما كان عليهم إلا أن يجلسوا في القاعة مثل جميع الحاضرين إلا إذا كان أحدهم مدعوا طبقا لاختصاصاته، وأن يعلن عن ذلك مسبقا، وهنا من المفروض أن تعطى الكلمة لجميع الجهات النظر، لقد كان هذا هو سبب رد فعلي هذا الصباح.

... في جلسة ما بعد الظهر وجدت نفسي وحيدا في مواجهة سبعة متدخلين يدافعون عن نفس وجهة النظر وهذا من حقهم، ولكن المسألة مسألة وقت، إنني أعتبر هذا عدم نزاهة فكرية ولذلك تخلت عن

مداخلتي المكتوبة التي كانت معتدلة وموزونة لأرد على أطروحاتهم، ذلك أنني لا أحب أن يُتلاعب بي، ولا أريد أن يستعملني هؤلاء ليقولوا لقد حضر معنا العالم الثالثي والعربي فلان، كما أنني لا أحب سياسة المقعد الشاغر، فأنا حاضر ولم يكن لي غير هذا الأسلوب لأنحضر هذا الذي يسمونه النظام العالمي الجديد وغيره من الأكاذيب...وها أنتم ترون ما يحدث اللحظة مع محمد يزيد والجابري وآخرين انظروا كيف أقحموا العنصر الاسرائيلي، وهذا أكبر دليل على ما أقول.

• تصريح سامي النير : رئيس تحرير مجلة الحدث الأوربي

- إذا سمحتم سأعطيك بعض ملاحظاتي : أنا لم أكن حاضرا في جلسة، ولكن لا يمكنني إلا أن أكون متضامنا مع السيد محمد يزيد والسيد الجابري والآخرين. ولو كنت حاضرا وحدث هذا الذي تخبرونني به لاتخذت نفس الموقف.

الاتحاد الاشتراكي -
30 أكتوبر 1990.

عن أزمة الخليج وأزمة التخلف العربي^(*)

• بخصوص أزمة الخليج، تحدث البعض عن «الشرعية الدولية» و«حقوق الإنسان» كبعد رئيسي من أبعاد القضية، هل تشاطرون هذه القراءة؟

– أريد أن أبدأ بتحليل شامل للمسألة، قبل أن أعود إلى «حقوق الإنسان» و«الشرعية الدولية».

أولا أعتبر أن يوم 2 غشت 1990 منعرج في تاريخ الانسانية، لأن هذا اليوم يشير إلى تحول في العلاقات بين الشمال والجنوب.

إن المرحلة التي نعيشها هي مرحلة ما بعد الاستعمار، ولا أحد خرق حقوق الإنسان واعتدى على كرامته وعبث بدولة القانون أكثر من الاستعمار. لقد كان الاستعمار إفرازا من إفرازات الحضارة اليهودية المسيحية في أوربا، ونتيجة من نتائج ما يسمى بالثورة الصناعية التي خلقت الحدود ودفعت إلى احتلال العديد من الدول، وأنا أنكر حين كنت في الولايات المتحدة في أواخر الخمسينات أن الدول الواقعة تحت الاستعمار كانت تطالب بحقوقها فيجيء الرد بأن ميثاق الأمم المتحدة (الفصل 2، الفصل 7) يعتبر مشاكلهم من ضمن الشؤون الداخلية للدول الاستعمارية، ولا ينطبق عليها الميثاق. بعد ذلك وفي فترة الستينات، شاهدنا صعود موجة الاستقلال، لكن الاستعمار ركز في الكثير من الأقطار مسؤولين يحكمون بالنيابة عنه، ويدافعون عن مصالح المستعمر. فقد وصل بنا الأمر اليوم إلى الحد الذي صارت فيه الدولة بنفسها تطلب تدخلا عسكريا مثلما حصل بالنسبة للسعودية.

الآن نرجع إلى حقوق الإنسان واحترام القانون الدولي. لا ننسى أن سنة 1973 شهدت اتخاذ مؤتمر الدول غير المنحازة قرارا وافقت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة، لوضع نظام اقتصادي جديد قائم على العدالة وتوزيع المداخل الطبيعية الخ... وكانت الولايات المتحدة أول من وقف ضد هذا القرار. لذلك فإن أمريكا غير صادقة حين تتكلم اليوم عن حقوق الإنسان وعن القانون. ثم لماذا لم يتكلم أحد عن هذه الحقوق وهذا القانون، حين أوقف البرلمان الكويتي قبل دخول العراق، ووقع الزج بالعديد من الشخصيات الديمقراطية الكويتية في السجون. بل إن البعض، حتى في أمريكا، يتساءل كيف يدافع باسم مبادئ حقوق

الانسان، وباسم القانون، عن دول كالسعودية، لا دستور لها، ولا معنى لاحترام حقوق الانسان فيها، ولا قانون ولا شيء من ذلك.

إنن أقول، إنه حتى داخل البلدان الغربية، فهم الناس أن هذا التدخل الأجنبي في الخليج ليس احتراماً للقانون الدولي، بقدر ما هو بسط لهيمنة جديدة.

• ما هي حسب رأيك الأهداف الحقيقية من وراء هذا التحالف ضد العراق؟

الهدف الحقيقي هو تحقيق مصالح الغرب، وعلى رأس هذه المصالح الاحتفاظ بمنابع النفط ووضع اليد عليها، ولا ننسى أن هذه المنطقة تتوفر على 70٪ من مجموع النفط الموجود، والولايات المتحدة تعتمد الآن بصفة كبيرة على الاحتياطي الخارجي، من جهة أخرى لابد من الإشارة إلى مسألة، كثيراً ما تخفيها وسائل الاعلام، وتتعلق بكون أمريكا عرفت في المدة الأخيرة أسوأ أزمة اقتصادية تعرضت إليها في القرن العشرين، وقد وجدت في أزمة الخليج مخرجاً مناسباً لها، مديونية الولايات المتحدة الأمريكية وصلت إلى أكثر من 430 مليار دولار. وبلغ عجز ميزانية 1989 أكثر من 150 مليار دولار. وكان تعويض هذا العجز يأتي مباشرة من اليابان وألمانيا ومنطقة الخليج. وقبل انطلاق أزمة الخليج كانت ودائعنا لدى الغرب قرابة 750 مليار دولار. وفي نفس الوقت بلغت مديونية المجموعة العربية 250 مليار دولار. أي أن مدخرات دول الخليج المودعة بالخارج كانت أكثر ثلاث مرات من حجم المديونية العربية. ومن المفارقات أن هذه الدول الغنية هي التي خفضت سعر النفط، وهي التي طالبت العراق، وهو مرهق بحرب طويلة، باسترداد ديونها لديه، وتسببت بذلك في اجتياح العراق للكويت، واندلاع الأزمة.

• هل الولايات المتحدة الأمريكية، هي المستفيد الوحيد من هذه الأزمة؟

دول الخليج بادرت بالتنازل عن ديونها لفائدة مصر، وكانت هذه الديون تبلغ 7 مليارات. كذلك فعلت الولايات المتحدة الأمريكية التي تنازلت عن مبلغ مماثل. ونستطيع القول أن مصر حققت خلال مائة يوم من أزمة الخليج منافع مالية تقدر بثلاثين مليار دولار، وقد يتبادر إلى الذهن أنها مسألة مفرحة أن تحقق دولة عربية ذات 60 مليون ساكن هذه المكاسب، ولكن الفرح ينطفئ حين نرى أن الثمن الذي دفعته مصر مقابل هذه «الفائدة»، هو وجود 20 ألف جندي في السعودية، وهكذا فإن كل جندي مصري موجود في مواجهة العراق يدر على مصر مليون وخمسمائة ألف دولار

فلماذا لم نر هذا الكرم في حالة السلم؟

• كيف ترى الأبعاد الحضارية للأزمة ؟

أعتقد أنها أزمة خلقية عالمية يعيشها الشمال والجنوب، وقد برهنت هذه الأزمة على كوننا دخلنا في مرحلة خطيرة وقد تطول، وهي مرحلة هيمنة بلاد معينة، هي الولايات المتحدة الأمريكية بمساعدة الدول الغربية، وستكون هذه الهيمنة اقتصادية وسياسية وعسكرية وثقافية وحضارية. كما أن هذه المرحلة هي مرحلة مواجهة بين الشمال والجنوب وهذا شيء إيجابي جدا.

وهذه المواجهة دليل على أن الشعوب في المنطقة العربية فهمت الأشياء، لقد فهمت أن الدول العربية حين لا تحترم القانون على المستوى الداخلي، لا يمكنها أن تطالب باحترامه على المستوى الدولي أو على مستوى النظام الدولي الجديد.

هذه هي التناقضات وهذا هو النفاق الذي نعيشه، هذه الأزمة العالمية الجديدة برهنت على أن إشكاليتنا هي داخل أنفسنا ويجب أن تأتي الحلول من داخل أنفسنا.

أي أن مبادئ حقوق الإنسان، والديمقراطية والعدالة، يجب أن نعيد بناءها انطلاقا من واقعنا وحضارتنا وحاجياتنا كمجتمعات نامية، وعلينا أن نكف عن استيرادها من الخارج، وعلى هذا الأساس اعتبر أن أزمة الخليج قد تقدمت بنا إلى الأمام بمسافة عشر سنوات على الأقل.

• ما هو تقديرك لاحتمال اللجوء إلى الخيار العسكري، وما هي الانعكاسات المتوقعة لهذا الاحتمال ؟

- قلت في حديث لإذاعة فرنسا الدولية يوم 27 سبتمبر الماضي أن الولايات المتحدة لا ترى خيارا غير الخيار العسكري، والتحركات الأمريكية الأخيرة تبرهن على أن هذا التوقع حقيقي. وإن كنت أتمنى أن أكون خاطئا، وأن الأوضاع ستبرهن على العكس فيما يخص إمكانية اللجوء إلى التدخل العسكري، لأن كل من يدافع عن الحق وعن حقوق الإنسان لا يمكن إلا أن يكون مدافعا عن السلم، فالسلم هي أساس احترام حقوق الإنسان. لكن لا يمكن أن نقول الآن أن المجموعة الغربية التي تتعزز بزعامة أمريكا هي معسكر السلم، لأن هدفها الحقيقي ليس السيطرة على ثروات المنطقة في الخليج أي النفط ولا هو حتى أن تعود الكويت دولة مستقلة، وإنما هنالك دولة متوسطة في المنطقة - واسمها العراق - لها إمكانيات بسيطة لكن لأول مرة تبرز دولة عربية، دولة من العالم الثالث، ليس لها إمكانية لتحارب دولة كبرى، لكن يمكنها أن تلحق بها ضررا، وهذا هو الهدف في الحقيقة، أي هدم هذه الإمكانيات وكسر هذه الطاقة العلمية التكنولوجية الموجودة في العراق لكي يكون درسا، وألا تكون في العالم الثالث أي إمكانية لأية دولة للنهوض في المستقبل.

• أزمة الخليج كان لها إنعكاسات على الطبقة المثقفة في العالم العربي، إذ نلاحظ انقساماً للمثقفين في شأنها، فكيف تفسر الظاهرة وما هو تحليلك لدور المثقف العربي حيالها؟

- ليتني أستطيع أن أتفق معك أنه حدث انقسام، لأنه لما يكون هناك انقسام فذلك لا يعني أن هناك موقفاً أو مواقف (مازحاً) مثل عنوان جريدتكم، وأن هناك مثقفين عربياً تكلموا ضد التدخل الغربي وأن هناك فئة أخرى تكلمت لصالح التدخل الخارجي. أما ما ظهر عند المثقفين بالأساس فهو أبشع من ذلك، إنه السكوت. ولو عدنا لرصد المواقف من 2 أغسطس، وبالأخص في الشهر الأول لرأينا أن عدد هؤلاء المثقفين الذين "ثقفوا" أنفسهم ولم يتكلموا، ولم يدلوا بأي رأي هو الغالبية الساحقة، وأظن أن هذا خطأ أكبر. أما أن تكون هناك اختلافات في الآراء في أي موضوع يخص المثقفين فهذا بالنسبة لي أمر إيجابي، لأن الاختلاف مثلاً نقول هو سنة المجتمع، لكن ليس هو الاختلاف الذي همه قبل كل شيء الحذر أو الخوف الذي دخل على المثقفين أو هذه الرقابة الذاتية التي لا يمكن أن تأتي بأي شيء. ولا يجوز أن نلقى اللوم على الحكومات أو الأنظمة المحلية أو الدولية في هذه القضية، لأن هذه الفئة المثقفة في العالم العربي وفي العالم الثالث وجدت نفسها أمام إشكالية معينة، ولو كانت الشجاعة متوفرة عند كل مثقف عربي للتعبير عن آرائه سواء كانت مع أو ضد وجهة نظر معينة لما انتظر ليتغير قيد أنملة، حتى في إطار الخطوط الكبرى للإصلاح التربوي المعطى عنها أخيراً (إلا ما اتضح لنا من ملامح عقلانية في مادة التربية) الأمر الذي يدعو إلى التأكيد أن الاغتراب الفكري والاستلاب الحضاري يزدادان تغلغلاً وتجزراً في بلادنا، وأن التعلق بالفرنكوفونية تعمق وتمتد في شيء من التحدي، سواء على مستوى الهياكل والندوات، أو على مستوى الممارسة العملية للحياة الثقافية والتربوية والإدارية...

ومن المنطقي أن يكون جوهر الخيار من قبل السلطة على هذا النحو، لأن القضية ليست قضية مشاعر وأحاسيس، بقدر ما هي قضية مرجعية وتصور، فما يزال أهل الحضارة الغازية القوة الفاعلة في استقطاب كل الخيارات والتوجهات الثقافية والتربوية والتكنولوجية لدى الشعوب التي كانوا يحكمونها مباشرة. أما بالنسبة إلى بلادنا فلا ندري لماذا الإيهام بتقمص العروبة تقمّصاً؟ ولماذا الغلو في الحديث عن خدمة الدين الحنيف؟

إن الجواب عن ذلك - في اعتقادنا - هو إدراك السلطة وهياكلها عن معرفة أو تجربة أو إحساس، بأن الشعب التونسي هو شعب عربي مسلم، وأن التراثات الحضارية العربية الإسلامية بكل خاصياتها جزء لا يتجزأ من ذاته، وأن العمق الإسلامي من مكونات جوهره الباطني، فالعروبة والإسلام كيانه المميز

وشخصيته النوعية... لا تستطيع أية قوة غازية أو مغتربة أن تنزعها منه، وقد جريت تلك دهورا بدون طائل... فالجماهير الشعبية الخالصة لا تتردد في العطاء السخي لكل من تتوسم فيه صدق الحماس لذلك الجوهر وحسن الاخلاص في الوفاء له... والذود عنه... وكان شعار «نصرة الدين والقومية» مركب جل الزعامات السابقة في تاريخ بلادنا الحديث، وكان توظيف الدين لأغراض سياسية سبيل معظم الحركات الدينية في الماضي والحاضر.. ولا يشذ عن ذلك مضمون الشعار القائل «رد الاعتبار للدين» أو «الزيتونة» أو «المصالحة مع الهوية». ومهما يكن من أمر فإن البعد الذي ينبغي أن نحيط به في إطار هذه القضية هو الاقرار الواعي أو غير الواعي من قبل السلطة بأن الدين والقومية في المجتمع التونسي محرك فاعل من محركات التاريخ، يكاد لا يختلف كثيرا عن جدلية المادة عند دين ماركس...

وذلك ما يفضي بنا إلى الاستنتاجات التالية :

(1) إن ذلك الوضع الاستلابي الذي تجتهد القوى الفرنكوفونية لتأييده وتطبيعها في المجتمع التونسي لن يكون إلا وضعا انتقاليا، بل غزوا عدوانيا مستهدفا للمقاومة والزوال متى تسنى للقوى الشعبية الوطنية الخالصة قدرة الاجهاز عليه...

(2) إن القوامين على ذلك الغزو والاستلاب من بني جلدتنا تتحدد مواقعهم في التاريخ، بقدر ما يكون لهم من الأثر في تعطيل حركية التصفية الهيكلية للاستعمار...

(3) النظر بعين البساطة لأولئك الذين حاكموا بورقوية تجاه تلك القضية فيما كتبوا من المقالات والتعليق، وفيما ألغوه من المحاضرات والأحاديث... وكأن المسؤولية هي مسؤولية الرئيس وحده، وأن الأمر قد تغير! فالسلطة اليوم تقرّ ذلك العمق في الشعب وتوظفه، ولكنها عاجزة عن تمثله تمثلا يعكس الواقع الجماهيري، لأن الأجهزة التنفيذية والتقنية في سلطة القرار هي المستميتة في الإبقاء على الفرنسية لاعتبارات عديدة... وعلى أساس هذه الفرضية يمكن أن تأخذ النظرة في فعالية التعليم الزيتوني تجاه ذلك الهدف الأسمى أي التصفية الهيكلية للاستعمار وطنيا وقوميا... ثم في الوتيرة التي تمت عليها تصفية تلك النوعية من التعليم وإنعكاساتها على الأجيال التي تخرجت من الزيتونة وعلاقتها بالتالي بالهدف الأسمى المشار إليه أولا وأخيرا.

بين تأصيل الكيان وكرامة الخريجين

إن ما أسدته الزيتونة من الخدمة والعطاء للمعرفة العربية والاسلامية، ومن إشعاع لتلك الحضارة في ربوع المغرب الكبير لا ينازع في عظمته أحد... ثم ما كان للزيتونة من دور في الحفاظ على الكيان الوطني والقومي لا ينازع في مكانته أحد كذلك... ثم ما كان لأبناء الزيتونة من الدور في كل الهياكل التي أطرت معارك التحرير الوطني سياسيا ونقابيا لا يستطيع أن يغض من قيمته أحد أيضا...

وليس لإصرار الحكم الاستعماري على تهميشهم وعلى الاعراض عما يطالبون به من إصلاح جذري للتعليم لديهم من سبب غير الجزم بأنهم نقيض فاعل لحضوره بأي شكل من الأشكال - حسب رأينا - .

حتى إذا جاء الاستقلال السياسي وتهيأت الأسباب لإصلاح تربوي شامل في إطار ما نادى به القوى النقابية (البرنامج الاقتصادي والاجتماعي الصادر عن المؤتمر السادس للاتحاد العام التونسي للشغل «الملحق» - سبتمبر 1956) الذي حواه قانون 4 نوفمبر 1958 في نطاق الخطة العشرية (1958-1968)، وانجزت تلك الخطة فعلا، وتم توحيد التعليم وتونسته، مع خطوات جبارة على درب التعميم. وكانت الشعبة القارة التي انطلق على أساسها توحيد التعليم هي النموذج الذي ناضل من أجل إنجازه أبناء الزيتونة أحقابا من التاريخ... ولكن بعد إنجاز تلك الخطة تبخرت تلك الشعبة القارة (أ)، وبقيت الشعبة التي أكدوا على أنها الانتقالية (ب) أي الشعبة التي تخرج من نوعيتها أهل القرار... (شعبة التعليم الصادقي سابقا) بكل ما تقمصته من مواصفات للفرنكوفونية...!

ولذا الوطن التونسي اليوم، وبعد مضي أكثر من ثلث القرن، على حظ كبير من الاغتراب الحضاري والاستلاب الثقافي...

لاحظنا هذه الحيرة وهذا القلق، فالذي يفسر حيرة الشباب وحيرة الشعوب داخل منطقتنا هو أن ما يسمى بالمتقف لم يلعب دوره الحقيقي، وإنما صار قسم كبير من المثقفين يشكلون عرقلة أمام التغير والتطور، لسبب واحد هو مركب النقص وعدم ثقة في النفس. فالمرجع الأساسي لهؤلاء صار الغرب. لكن والحمد لله بهذه الأزمة بدأت الآن حركة أخرى وبدأ الناس، وبالأخص الشباب ورجل الشارع، يدركون أنه لا يمكن لهم إذا أرادوا مجتمعا مدنيا يحترم حقوق الانسان أن يتركوا الهيمنة لطبقة مثقفة كاملة تحتل هذا المجال. وفي الواقع، مجال حقوق الإنسان هو مجال مشاركة واسعة، ويجب على كل مواطن - بقطع النظر عن مستوى شهاداته - أن يعتبر الآن أن عليه الاعتماد على نفسه كجزء من المجتمع لتغيير هذا المجتمع. ولعل من فضائل هذه الأزمة أننا دخلنا في مرحلة انتهى فيها اعتماد الشعوب على المثقفين، ولا أعنى بهذا أن دور المثقفين انتهى تماما، بل بالعكس دور المثقف صار أكثر أهمية، لكن ليس قبل الانطلاق بالأساس وإنما كمساندة للإنطلاقة الأساسية التي تكون من الشعوب.

• هل هناك مستقبل للعالم الثالث، وبالتخصيص للجنوب، في التحكم والسيطرة على التكنولوجيا ووسائل التقدم؟

ليس هناك مستقبل آخر إلا مستقبل العالم الثالث المرشح لأن يتحكم في المنتجات التقنية. وفي هذا المجال تؤكد التوقعات أن 55 بالمائة من المهندسين والعلماء في مستوى ما بعد الدكتوراه سيكونون

أصيلي العالم الثالث. وهناك أمر آخر يدفعني إلى التفاؤل بمستقبل العالم الثالث - وهو الذي يمثل 80 بالمائة من سكان الكرة الأرضية - وفي مجال السيطرة على التكنولوجيا ان عدد العلماء والمهندسين من العالم الثالث سنة 2000 سيبلغ 380 ألفا، وبعد 50 عاما سيشكل العالم الثالث 85 في المائة من سكان العالم، وأشير في هذا المجال إلى دراسة مهمة كانت موضوعة على مكتب ريغن قبل أن يترك البيت الأبيض - وهي دراسة رسمية حكومية - تحذر من الخطر الماثل على التكنولوجيا الأمريكية من كون 55 بالمائة من الاختصاصيين في التكنولوجيا في المعاهد العليا والادارات والقطاع الخاص هم ممن لم يولدوا في الولايات المتحدة. وهذا جزء من ظاهرة عامة، ففي مدينة كاليفورنيا، وهي المدينة الثانية، أكثرية السكان الحاليين لا علاقة لهم بالسكان الأصليين الذين جاؤوا من أوروبا، بل هم يسمون «بالإسبانيين»، وبعضهم جاء من آسيا، إضافة إلى الزنوج طبعاً. ويتوقع الخبراء أن ما يحصل في كاليفورنيا سيحصل أيضاً في نيويورك المدينة الأولى قبل عام 2005، أي بعد 15 عاماً، كما يتوقعون أن اللغة الأولى التي سيكون لها دور كبير في الولايات المتحدة قبل عام 2030، أي بعد أقل من 40 عاماً، هي اللغة الإسبانية. ومنذ الآن، هناك 30 دولة أمريكية تعتبر فيها الإسبانية لغة إدارية رسمية تستخدم لقضاء شؤون المواطنين.

وفي المستقبل، ستكون الولايات المتحدة من أكبر الدول المتقدمة في العالم الثالث، لأن فيها إمكانيات كبيرة للتطور سيستفيد منها المهندسون والعلماء الآتون من العالم الثالث، ويكفي لإدراك ذلك أن نعلم أنه في العام الحالي سيبلغ عدد المهندسين العرب هناك 700 ألف مهندس، وهذا الرقم هو أكبر من عدد المهندسين في انكلترا أو فرنسا.

• لكن هذه الطاقات غير موظفة لخدمة التنمية في بلدانها الأصلية...

- هذا الأمر ليس همنا الآن، لأن عدم توظيف هذه الطاقات يرجع أولاً إلى انعدام الحريات في بلدانها، وثانياً إلى قلة الاهتمام بالبحث العلمي، والاعتماد على الخارج في التكنولوجيا، وكل العالم يعرف أنه لا وجود لشيء اسمه «نقل التكنولوجيا» لما تشتري دول العالم الثالث الآلات وتشتري معها المعرفة. لكن مثلما يشير إلى ذلك رهان باسكال، سيكون للعالم الثالث - وهو الذي يشكل أكثرية سكان العالم - دور أساسي في المستقبل في الديمقراطية على الصعيد العالمي، خصوصاً إذا أتيحت فرص المشاركة الحقيقية داخل هذا البلدان وفيما بينها.

ومن جهة أخرى، ستكون التحاليل والتصورات القائمة على وجود دول وحدود بين الدول في حكم المنتهية في القرن الـ 21، فحتى أوروبا التي اخترعت فكرة الدولة والحدود صارت مقتنعة الآن بأن هذه المقاييس - التي كان لها دور مهم في القرن 19 وبداية القرن الحالي - صارت اليوم، عرقلة لمستقبل أوروبا.

ولذلك فإن ضرورة التعاون جنوب - جنوب في العالم الثالث وفي إفريقيا والعالم العربي، لم تعد شعاراً عاطفياً لمجموعة لها نفس اللغة والدين والتاريخ، وإنما هي غدت مسألة متصلة بأسباب البقاء والاستمرار، فلا مستقبل لأي مجموعة اقتصادية عدد سكانها يقل عن 100 أو 150 مليون نسمة، لأنها لن تستطيع دخول القرن الـ 21 بكرامة.

وضمن هذه التغيرات الأساسية التي نشاهدها في العالم، تبدو أزمة الخليج كمحاولة لتأجيل هذه التطورات ومحاربة التغيير ليس في العراق وحسب، وإنما في العالم الثالث كله، وخصوصاً لمحاربة الديمقراطية والمجتمع المدني، لأنه منذ 2 عشت الماضي بدأ هذا التغيير الأساسي الذي يمنحنا التفاؤل بالمستقبل والذي كشف الصورة الحقيقية للنظام العالمي الجديد ومقاصده وآلياته، وهي منع العالم الثالث من فرض نمط ديمقراطي من العلاقات على الصعيد الدولي.

أجرت الحوار: سهام بن سدرين
الخميس 15 نوفمبر 1990
"الموقف" (تونس) - الخميس 22 نوفمبر 1990.

مستقبل الوطن العربي^(x)

السناريوهات هي نتائج تطور ما يسمى بعلوم دراسة المستقبل، وبالرغم من كون هذه الدراسات حديثة العهد، باعتبارها لا تتجاوز 30 أو 40 سنة على الأكثر، فإننا اليوم بإمكاننا الحديث عن دراسة ماضي المستقبل، بالرجوع للسبعينات والثمانينات قصد تحليل التوقعات التي وضعت في ذلك الحين ومقارنتها مع الواقع الحالي. وأظن أن هذا التحليل يمكن أن يبرهن على أن هذه الدراسات أصبحت اليوم ذات مصداقية من خلال تحقق حوالي 70٪ مما كان متوقعا، سواء على مستوى التيارات أو التطورات التي كانت منتظرة في الميدان العلمي والتكنولوجي، ولعل ذلك يجعل للدراسات المستقبلية اليوم قوة تزداد يوما عن يوم، في إمكانيات التوقع والاستشراف أو الاستبصار.

وفيما يخصني شخصا وخلال الوقت الذي كان يتحدث فيه الجميع عن حوار الشمال مع الجنوب تبين لي مع أواخر السبعينات أن هذا الطموح لا يمكن تحقيقه في ظل النظام الدولي الموجود في ذلك الوقت والذي لا يزال مسيطرا الآن على الوضعية العامة، ففي أواخر السبعينات توقعت أنه من غير الممكن أن تبقى الأشياء كما هي، وتوقعت حدوث قطائع كما أنه مع بداية التسعينات ستكون هناك مرحلة تمهيدية لتحولات خطيرة وجذرية في العلاقات الدولية وحدث نزاعات خطيرة داخل بلدان العالم الثالث، وبالأخص في محاولات التحرر الجديد مما أسميه بشبه الاستعمار، وتوقعت أننا سنرى أزمات ما بين الغرب وبقية العالم تكون ذات أبعاد ثقافية أكثر منها اقتصادية، وأظن أن الأحداث التي نعيشها اليوم تعتبر تطورات ضمن التوقعات التي كنت أركز عليها دائما خاصة فيما يخص الأزمة الروحية والخلقية، وكنت أرى أن تحولا هاما سيجعل فئة الشباب تقفز عن النموذج المادي الغربي في اتجاه البحث عن بدائل روحية وغير مادية، هذا فيما يخص تاريخ الماضي، وهي طريقة يصعب على الإنسان فيما أن يتكلم عن توقعاته ليقول : هذا ما حدث، ولكن الواقع أن هذه طريقة يمكن لأي شخص متابعتها إذا ما أراد دراسة مصداقية الدراسات المستقبلية. لننتحدث الآن ونحن في العقد الأخير من القرن العشرين واستقبال القرن 21، عن الإشكاليات الكبرى

وعن الأزمات التي نعيشها الآن والتي ستؤثر على المستقبل في مداه القريب والمتوسط والطويل.

يمكن أن أقول أن أكبر أزمة نعيشها الآن وتؤثر على باقي الأزمات هي أننا نعيش أزمة خلقية

Ethique تمس المقاصد والأهداف الإنسانية الجماعية والفردية، وهو أمر ناتج عن غياب رؤية واضحة وعن غياب مشروع مجتمعي، ونرى هذا في دول الجنوب كما نراه في الدول الغربية ولكن الأسباب مختلفة، ففي الغرب نجد غياب الرؤية ناتجا عن تدهور الحضارة الغربية المسيحية اليهودية، أما في الجنوب فهو ناتج عن فشل النموذج التنموي والذي تأكدت عدم صلاحيته للواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، فالأزمة الخلقية الحالية تأتي في وقت صعب يعرف تطورات سريعة في تاريخ البشرية خاصة إذا لاحظنا المنجزات التي تحققت في ميدان التكنولوجيا، فحسب إحصائيات سنة 1990، نجد تقديرا يفيد بأنه خلال كل دقيقة ينشر في العالم أربع مقالات علمية فنية، وهذا يعطي صورة لحجم الانتاج والتقدم التكنولوجي العلمي، لكننا نرى في نفس الوقت فيما يخص القيم والنموذج الاجتماعي والتقدم الحضاري أن هنالك تناقضا وفجوة بين التقدم التكنولوجي والتقدم الاجتماعي.

وإذا أردنا أن نتحدث عن الغرب فلا بد من الوعي بشيء جديد يعرفه الغرب هو الخوف، وهي كلمة تتردد اليوم باستمرار في الكتب والمجلات والتقارير : تخوفات فرنسا، تخوفات الغرب، تخوفات السوق المشتركة.. وهي علامة نفسانية على أن الغرب دخل الى حالة من الاندفاع، مم يتخوف الغرب؟ يتخوف أولا من الديموغرافية لأن الغرب الذي يمثل اليوم 20٪ من سكان العالم يحتكر حوالي 80٪ من المنافع المادية للكرة الأرضية وبعد 30 سنة فقط أي خلال 2030 ستتنخفض هذه النسبة الى 15٪ من سكان العالم تستغل وتهيمن هيمنة شاملة على الاقتصاد العالمي والنظام المالي والتكنولوجي، والسبب الثاني لمصدر الخوف يرتبط بالمستوى الثقافي الحضاري وهو يمس بصفة عامة دول الجنوب وبخاصة الدول ذات الحضارة غير اليهودية أو المسيحية - بإفريقيا وآسيا إذ ليس الأمر متعلقا بالمنطقة الاسلامية فقط التي بلغ عدد سكانها 1200 مليون نسمة من المسلمين (حيث يؤكد كل الديموغرافيين أن عدد المسلمين سيعرف خلال القرن المقبل تزايدا هائلا يجعلهم يمثلون أكثر من 40٪ من سكان العالم). ولكن هنالك اليابان أيضا الذي هو مصدر تخوف ليس فقط لإمكاناته التكنولوجية والاقتصادية ولكن لأنه تطور وتقدم خارج القيم الغربية وبرهن على أن مسألة الحداثة لا علاقة لها مباشرة بالغربة وقيمها، وبالتالي برهنت على أن أي حضارة يمكن أن تتطور وتدخل العصر الحديث يقيمها ولغتها وتاريخها وحضارتها، ولذلك كانت تخوفات الغرب مصدر اندفاعه. ونجد اليوم داخل الغرب نفسه تحولات نابغة عن ظهور يأس وتشكك في الأنظمة الاقتصادية الليبرالية وقيمها التي خطط لها خلال العقد الأخير ريغن وتاتشر وأصبح ولي عهدا اليوم هو الرئيس الأمريكي بوش، وترتفع أصوات بكل دول الغرب الآن ضدا على القيم المادية والتجارب التنموية الفاشلة، ويكفي أن أشير هنا الى المظاهرات الأخيرة لعشرات آلاف الشباب الفرنسيين ومظاهرات أخرى ضد التلوث

أو ضد استعمال الطاقة الذرية وغيرها.

لنعد الآن الى منطقة العالم الثالث، ولنتسائل عن التحديات التي من خلال التعامل معها يمكن أن نتحدث عن السيناريوهات الممكنة خلال العقود المقبلة.

ولما نتحدث عن السيناريوهات نتوقع دائما ثلاث إمكانيات : الأولى هي إذا بقيت الأشياء على ما هي عليه، وهو سيناريو الاستمرار أو الاستقرار، ولا يمكن مثلا أن نفهم ما يحدث في الخليج اليوم من تدخل أمريكي إلا من خلال هدفه للمحافظة على الاستقرار واستمرار الوضعية الحالية بما تحمله من خلفيات، وإذن فكلما سمعنا أننا ندافع عن الاستقرار بالأمم المتحدة أو داخل بلدان العالم الثالث علمنا أن سيناريو الاستقرار - الذي يعمل الغرب على حمايته بدول الجنوب - هو الذي يحرك هذه الرغبة، وتعتبر الولايات المتحدة والمؤسسات المالية أمثال البنك الدولي وصندوق النقد الدولي من الجهات المتزعمة لدعم هذا السيناريو، كنت أقول منذ الثمانينات أنه من غير الممكن تحقيق هذا السيناريو، لأن التغيير أمر طبيعي في الحضارة الإنسانية ولا يمكن تجميد حركة مجتمع بشري أيا كان، ونرى اليوم مجهودات جبارة للغرب بتعاون مع بعض المسؤولين بالعالم الثالث بإفريقيا وآسيا والعالم العربي تهدف الى تركيز هذا السيناريو. ولكن برغم كل المحاولات لا يمكن لهذا السيناريو أن يطول أكثر من خمس سنوات على الأكثر، ثم نرى بعد ذلك تغيرات أساسية في العالم الثالث، وكل من سيدافع عن هذا السيناريو نرى أنه يفشل إما خلال العام المقبل أو خلال العام الذي بعده.

وأتوقع أننا لا يمكن أن نصل سنة 1995 بسيناريو الاستقرار

والسيناريو الثاني يسمى عادة السيناريو الاصلاحى أي أنه سيناريو يحافظ على الاستقرار مع بعض الاصلاحات والتغييرات التدريجية، وأظن أن إمكانية هذا السيناريو قياسا للاول الذي لا اعطيه أكثر من 5٪ كنسبة لإمكانية تحقيقه خلال السنوات الخمس المقبلة، فإن سيناريو الإصلاح يمكنه أن ينجح بنسبة تقدر بـ 30٪ شريطة أن تكون الاصلاحات سريعة وبوعى بالمشاكل الكبرى المتمثلة في الديمقراطية وممارستها بشروطها الكاملة وبناء مجتمع مدني بما فيه احترام حقوق الانسان وحرية الصحافة والتعبير وروح المسامحة والتعددية ثم الاهتمام بمحاربة الأمية كأولوية ثانية، لأن عددا من مشاكلنا سببه الجهل الذي يعم حوالي 60٪ من سكان العالم الثالث، وغير ممكن الدخول للقرن 21 دون التجند ضد هذا العائق، ثم هناك ضرورات أخرى مثل تشجيع البحث العلمي والتكنولوجي، ومن ضرورات نجاح السيناريو الاصلاحى الاهتمام بنوع من التوزيع الجديد للثروات وللإمكانيات الموجودة بالعالم الثالث، ويجب أن نعترف أنه خلال 15 سنة الماضية أي منذ 1975 حيث كان الحديث يدور عن حوار الشمال مع الجنوب إذا أخذنا الفجوة التي

كانت آنذاك ما بين الشمال والجنوب من الناحية الاقتصادية، وقارناها بالفجوة التي كانت بالعالم الثالث ما بين الطبقة الغنية التي تمثل ما بين 10 ٪ و 15 ٪ والطبقة الفقيرة التي تمثل ما بين 40 و 50 ٪ من السكان، نرى أن الفرق ما بين الغني والفقير ازدادت اتساعاً أكثر من الفرق الذي حصل بين الشمال والجنوب، وإذا كنا جديين ولنا مصداقية فقبل أن ننتقد النظام الدولي الموجود يجب أولاً مواجهة التوزيع الحالي وإعادة توزيع الثروات داخل بلداننا، ومحاربة داء لا ندري مدى فعالية سيناريو الإصلاح ضده وهو داء الرشوة، ويجب داخل هذا السيناريو الإصلاحي الوعي بدور المثقفين، الذين أظن أنهم يمثلون جزءاً من مشكلتنا، وهنا لا أعمم حين أتحدث عن حالة شبيهة بالاغتراب الحضاري والثقافي التي يعيشها عدد من مثقفينا - رغم الأسباب الموضوعية والتاريخية لهذه الظاهرة - فنجد طبقة مثقفين غيورين على وطنهم لكنهم في نفس الوقت تجدهم منفصلين عن أنفسهم حضارياً نظراً للتركيب العقلاني والتأثير الذي نتج عن قراءاتهم ودراساتهم وهو الأمر الذي يجعل عدداً من المثقفين يتبنون سيناريو الإصلاح.

ومن المشاكل التي نعيشها اليوم بالعالم الثالث مشكلات يتحمل مسؤولياتها بعض المثقفين الذي كانت لهم مسؤوليات واضحة وحدنا جزءاً منهم يدافع ويتمسك بالحلول الإصلاحية ثم أننا نجد نوعاً من المثقفين من العالم الثالث غيروا بسهولة مبادئهم وأفكارهم وأصبحوا في خدمة الأنظمة والحكام إلى حد يمكنني أن أقول معه أن أكبر خبرة صارت لدى الحكومات في العالم الثالث علم جديد تستطيع عبره كسب عدد من المثقفين الشباب يصبحون من المؤسسة ومن السياسة التي كانوا يحاربونها.

وإذا عدنا إلى المستوى العالمي أظن الأحداث الأخيرة بالخليج تبرهن على أن النظام العالمي يعيش تحولاً كبيراً، ولا يمكن لأي محلل سواء كان من الغرب أو من الجنوب أن يأخذ بجدية ما يسمى الآن من طرف بوش وجماعته بالنظام العالمي الجديد والذي أسميه بمرحلة ما بعد الاستعمار والتي يمكنها أن تطول إلى نهاية هذا القرن ما لم تتجمع ضدها كل الطاقة العربية الوطنية مادامت كل القوى الغربية قد تجمعت في مؤامرة ضد الجنوب، وحتى بعض المؤسسات التي كان لنا أمل أن نبني عليها ونستند عليها في هذا السيناريو الإصلاحي ضاعت في جزء كبير من مصداقيتها، وأنا متألم لأقول أن حياتي كلها كانت في سبيل التعاون الدولي ومنذ 1951 إلى اليوم أحضر كل الاجتماعات السنوية لهيئة الأمم المتحدة، يؤسفني اليوم أن أقول بعد الدراسات والكتب التي نشرتها عن نظام الأمم المتحدة أن ما عمله الغرب الآن من هيمنة خاصة بعد كوميدية مجلس الأمن الأخير، نرى أنه ليس في العالم من الاختصاصيين من لا يعتقد أن مصداقية الأمم المتحدة، قد مست، وأنا أقول بكل مسؤولية أن من الأشياء التي تؤلمني هو أن منصب الأمين العام للأمم المتحدة الذي هو منصب له مسؤولية محددة في ميثاق الأمم المتحدة لم تظهر بشكل واضح وحاسم ولم

تحتزم اختصاصاته أيضا، خاصة بعد القرار الأخير لمجلس الأمن 678 الذي ينطلق من البند 42 للميثاق الذي حرر بطريقة يمكن أن يفهم منها - كما تعطيه دول الغرب وحلفاء أمريكا هذا الفهم، أن يوم 15 يناير المقبل يمكن الولايات المتحدة من التدخل وإشهار الحرب، لأن هناك تفاصيل قانونية تتعلق بكون هذا البند الذي هو البند 42 في ميثاق الأمم المتحدة له علاقة وشروط يجب أن تتوفر كما يحددها البنذان 46 و 47 وبالتالي لا يمكن للولايات المتحدة إشهار الحرب يوم 15 يناير بمنطقة الخليج دون قرار جديد من مجلس الأمن لأن مجلس الأمن هو الذي اتخذ القرار الأول، ويلزمه الاجتماع مرة أخرى ليتفق عن مدى احترام هذه الشروط، وحتى بعد ذلك لا يمكن لأي بلاد ولو كانت عضوا دائما في مجلس الأمن أن تتخذ بانفراد أي قرار دون تحقيق اتفاق بمسطرة مخططة في البند 46 و 47 والذي لم يطبق الى اليوم في تاريخ الأمم المتحدة، حيث هنالك في البند 47 التنصيص على تشكيل لجنة القيادة العليا مخططه مخططه مخططه مخططه التي لها دور في حالة الحرب بإشراف الأمم المتحدة باعتبار هذه اللجنة تكون كمؤسسة تابعة للأمم المتحدة، وأقول أنه من الناحية الشرعية لا يمكن لأي كان إشهار الحرب على أساس القرار الأخير الصادر عن مجلس الأمن، ولي أمل أن يتحرك الأمين العام للأمم المتحدة والذي برهن عن نزاهته وشجاعته في الماضي لحماية ميثاق الأمم المتحدة.

ويمكننا الآن أن نتساءل عن مدى مصداقية الأمم المتحدة ومجلس الأمن بعد الذي حدث ؟ وعلى مستوى القارة الإفريقية نجد منظمة الوحدة الإفريقية قد فشلت فشلا تاما والمسؤولية ترجع لرؤساء الدول الذين احتكروا هذه المنظمة واعتبروها كنناد خاص بهم، دون معالجة المشاكل الكبرى المطروحة في القارة، كما أن هذه المنظمة انطلقت من مبدأ استعماري بخصوص الحفاظ على الحدود التي ورثناها عن الاستعمار ولا يمكن توقع دخول إفريقيا بشكل مشرف للقرن 21 بـ 700 مليون موزعة على 50 دولة، وسنرى إفلاس عدد من دولها وإن كنا في القانون الدولي لا نقول بإفلاس الدول.

أما الجامعة العربية فتعيش هي الأخرى نفس الشيء، إذ بمجرد التدخل الأميركي والهيمنة التي برز بها الرئيس المصري مبارك مع بعض الدول في المنطقة خلال القمة الأخيرة بالقاهرة والطريقة التي تعامل بها خلال نقل مقر الجامعة من تونس الى القاهرة ثم في تعامله مع بعض الدول العربية التي بدأت كاقتراح عام 1942 وكانت أول منظمة إقليمية دولية كل ذلك أصبح يدعو للقول بانتهاء هذه المنظمة، ثم هناك اتحاد المغرب العربي الذي أصبح مؤسسة فارغة لا تقوم إلا بالاجتماعات واللقاءات والتوقيعات دون العمل على الدفع بتعطش الشعوب للوحدة الحقيقية، وما أخشى منه هو أن يصبح هذا لاتحاد عرقلة لوحدة الشعوب الحقيقية، فبما نحلل كل هذه المعطيات نقول ما هي إمكانيات هذا السيناريو الاصلاحى؟ ولا بد هنا من أن

أضيف أن لحوادث 1988 التي حدثت في الجزائر أهمية فائقة وذات تأثير جذري في الأذهان وفي التطور العام للمنطقة الإفريقية وإن كان لها ارتباط بالأوضاع الداخلية بالجزائر بهيمنة الحزب الوحيد وبقوة الضغط وبالساسة الخارجية لبعض المؤسسات مثل سياسة البنك الدولي الذي يعتبر مسؤولاً عن مئات الضحايا الذين ماتوا بسبب الفتنة الناتجة عن اتباع سياسة المؤسسات المالية الأجنبية، وللأسف نجد عددا من المسؤولين يطبقون مقررات البنك الدولي بوفاء وإخلاص لا نجد مثيله عندما يتعلق الأمر ببعض الانجازات الوطنية، وقد أبرزت التجربة الجزائرية تعطش الشعوب للديموقراطية وإلى جانب ذلك هناك تحولات أخرى تشهد القارة الآسيوية، وكما قلت في مناسبات سابقة أن مناخ التحولات التي حدثت بأوروبا الشرقية كان لها دورها في الذي نراه اليوم. لكن هذا لا يجب أن يحجب عنا الدوافع الداخلية للشعوب في مقاومة سيناريو الاستقرار، وأظن أن تحولات متسارعة ستعرفها المنطقة الإفريقية خلال السنوات المقبلة القريبة.

أتأسف لما حدث خلال الأيام القليلة بالمغرب من أحداث عشناها ولازلنا نعيشها اليوم وما خلفته هذه الأحداث من ضحايا نتيجة سياسة مبنية على العنف وانعدام العدالة الاجتماعية وعدم احترام حقيقي للمؤسسات الديمقراطية وحقوق الإنسان، والمحاكمات التي نراها الآن بهذه السرعة وعدم احترام القوانين ودروح القوانين، ليس في المغرب فحسب وإنما أيضا خلال المحاكمات التي تجري اليوم بتونس - ولو أنها تدعي التعددية - نجد أن الحزب الوحيد هو السائد لا في البرلمان ولا في المؤسسات وإلا لما كانت هذه المحاكمات الجارية الآن لمجرد التعبير عن الرأي وحرية العقيدة، وكل هذا يجعلني لا أتوقع للسيناريو الإصلاحية إلا نجاحا لن يتجاوز سبع أو ثمان سنوات.

ونصل الآن إلى السيناريو الثالث، سيناريو التغيير الجذري أو التحولات الكبرى والعميقة، وأظن أن هنالك تكاملا بين السيناريوهات الثلاث، إذ سنعيش أربع أو ثلاث سنوات القادمة في العالم الثالث بسيناريو الاستقرار والاستمرار ولكن سيؤدي عليه الثمن غالبا جدا من الناحية الاجتماعية، وسنرى بعض الدول تتحرر الواحدة تلو الأخرى لتخرج من وضع الاستقرار ويمكن أن نرى في نفس الوقت بعض الإصلاحات التي تقوم بها بعض الدول كحل ليس استمراريا مطلقا ولكن بنوع من التغيير التدريجي وهو ما يتعلق بسيناريو الإصلاح، ولكن لن يمكننا الدخول إلى القرن 21 بدون سيناريو التغيير الجذري، فعلى المدى المتوسط في الدراسات المستقبلية والذي لا يتجاوز عشر سنوات أقول مقتنعا أننا في بداية القرن 21 سندخل بسيناريو التغيير الجذري والحقيقي سواء فيما يتعلق بالأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية أو فيما يتعلق بعلاقة الشمال بالجنوب، وبالنسبة للذين سيعيشون بعد السنوات العشر الأولى من القرن 21 لتصورهم يعيشون تحت الهيمنة الثقافية والحضارية العربية (اليهودية أو

المسيحية)، وسيعرف هذا الجيل تحركا على مستوى تحقيق الحاجات الديمقراطية والعلمية والتكنولوجية والاقتصادية دون هيمنة الغرب، وبالتالي سيتحرر من الفترة الجديدة التي دخلنا فيها وهي فترة ما بعد الاستعمار، وستكون ضمن نتائج السيناريو الثالث الوصول الى حسم المشكلة الفلسطينية التي تعتبر شرط أي تغيير في العالم العربي، وكذا قضية الاستعمار العنصري بجنوب إفريقيا الذي يعتبر الخلاص منها شرطا لأي تغيير في إفريقيا، وتجدر الإشارة هنا الى نهاية الحرب الباردة وبالأخص بعد موافقة باريس الأخيرة التي صار فيها سلام ما بين الشيوعية والرأسمالية يتوقع الجميع أن الصراع الإيديولوجي الجديد سيكون ما بين المسيحية واليهودية من جهة والإسلام من جهة أخرى ، وللأسف هذا توقع ليس منا نحن المسلمين ولكنه توقع المفكرين الإخصائيين، نحن نؤمن بتسامح الإسلام وروح التعاون والاعتراف بالعقائد الأخرى والمعتقدات الأخرى.

ويمكن أن أختتم أنني متشائم بخصوص السنوات الأربع أو الخمس القادمة وأتحفظ بخصوص السيناريو الإصلاحي الذي يمكن أن يمتد الى نهاية هذا العد لأنني لا أثق في إمكانياته لحل المشاكل بفعل الأساليب والعقليات الموجودة في العالم الثالث والتي لا تحترم مفهوم الإنسان كإنسان بعد، ولكني متفائل جدا بخصوص بداية القرن القادم الذي سيحمل معه عبر سيناريو التغيير تحولات جذرية، وهو ليس حلما فقط ولكنه ثقة مبنية على البحث العميق في الواقع وفي التوقعات.

"العلم" - 2 يناير 1991

الفصل الثاني

17 يناير 1991

بداية لأول حرب عالمية حضارية

- 10 - حرب الخليج وسقوط أقنعة الديمقراطية الغربية
- 11 - السلام يمر عبر احترام ميثاق الأمم المتحدة
- 12 - حديث شامل عن أسباب الحرب وتائجها
- 13 - الحرب التي بدأت ولن تنتهي
- 14 - الوجه البشع للنظام العالمي الجديد
- 15 - مسلمو فرنسا وحرب الخليج
- 16 - ماذا بعد أسبوعين من القتال؟
- 17 - سيناريو الكابوس : سيناريو السلام
- 18 - المظاهر الحضارية لحرب الخليج
- 19 - العلاقات المغاربية - الأوروبية
- 20 - تصريح لإذاعة بغداد (24 فبراير 1991)
- 21 - الأسباب الخمسة لحرب الخليج

- 22 - الأبعاد العلمية والتكنولوجية
- 23 - أول حرب عالمية حقيقية
- 24 - رفض أمريكا مبدئي
- 25 - تكلفة الحرب
- 26 - رقم زمني قياسي للثقافة الغربية
- 27 - تشيرنوبيل الخلية
- 28 - انحرافنا قبل انحراف القانون
- 29 - حرب الخليج وأفاقها
- 30 - الفرنكوفونية والهيمنة الفرنسية ما بعد الحرب
- 31 - الذاكرة والنسيان
- 32 - عندما تهجرنا الكفاءات

حرب الخليج وسقوط أقنعة الديمقراطية الغربية^(x)

أصبح للدراسات المستقبلية أهمية قصوى في جميع الميادين والمجالات، نظرا لما أصبح يعرفه التاريخ من تسارع، وللتغيرات المتتالية في مختلف مجتمعات دول العالم الثالث، خاصة بعد فترة الخمسينات والستينات. ولعل سرعة حركة التاريخ من شأنها أن تهدد النشاط الاقتصادي والفكري على حد سواء بوقوع تطورات غير متوقعة، لا تجعلهما قادران على مسايرتها والتكيف معها قبل حدوث الأزمات، وإلى اليوم نجد العالم الثالث لا يزال يعيش على تسيير أزماته دون أن تكون له القدرة والوسائل على استبصار الأزمات قبل حدوثها لمواجهتها وإذا كان للدراسات المستقبلية فضل في رفع هذه الحواجز وتسهيل النظر العلمي إلى المستقبل فإن لها أيضا فضل في رفع هذه الحواجز وتسهيل النظر العلمي إلى المستقبل فإن لها أيضا فضل وعلاقة بمسألة الديمقراطية ليس بمعناها السطحي الذي يعني الذهاب للانتخابات قصد التصويت أو الترشيح وإنما التعبير الحقيقي والحر عن الرأي يجعل رؤية الشعب لوضع حالي أو مستقبلي في اتفاق شامل مع النموذج الاجتماعي الذي يطمح إليه هذا الشعب.

إن العالم العربي والإسلامي بصفة عامة يعيش أزمة كبرى تكمن في عدم وجود رؤيا للمستقبل، مما يجعل مجتمعاته تسير وتنمو على الصدفة وعلى العفوية ويدون نموذج اجتماعي أو تنموي قادر على تغطية 15 أو 20 سنة مقبلة، وهو ما يؤدي عكسيا إلى الاستسلام إلى نماذج التنمية الأجنبية والغربية وبالتالي إلى تقييد حرية الشعوب في تسيير ذاتها والحد من حقوقها الديمقراطية.

الديموقراطية منهاج تربوي ومسيرة طويلة يلزم لاكتمالها شروطا ذاتية وأخرى موضوعية إذ لا يمكننا أن ننسى تجربة الاستعمار وعلى امتداد مائة سنة منذ القرن 19 إن الغرب الذي يريد أن ينصب اليوم نفسه معلما في الديمقراطية وحقوق الإنسان وفي شروط المجتمع المدني لم يكن قبل بضع سنين يؤمن بصلاحيه تطبيقها داخل مجتمعاتنا. وداخل العلاقة التي كانت تربطنا به حين كنا نحن المستعمرين وهو المستعمر، هذا بالإضافة إلى بعض القيم اليهودية المسيحية التي يحاول الغرب فرضها على دول الجنوب دون احترام منه لمبدأ الاختلاف والتعدد سواء تعلق الأمر بحضارات مثل الحضارة العربية الإسلامية أو بالحضارات الإفريقية الآسيوية اليابانية والصينية وغيرهما، أو بحضارات أمريكية لاتينية..

دول الغرب التي تمثل اليوم 20٪ من سكان العالم تستغل أكثر من 80٪ من ثروات العالم و 20٪ من سكان العالم يريدون فرض حضارتهم على حضارات 80٪ من سكان العالم. الغرب لا يمكنه أن يكون ديمقراطيا لهذه الأسباب، ولن يكون ديمقراطيا ما لم يؤمن بالاختلاف والتعدد الحضاريين والثقافيين بدل أن يمارس هيمنته اللغوية والفكرية ويفرضها داخل نماذج ومساعداته المحملة بقيم الفرنكوفونية مثلا أو غيرها، ولا يمكنه أن يكون ديمقراطيا ما لم يتم بعد إعادة توزيع الثروات العالمية توزيعا عادلا وطبيعيا.

لكن الغرب صنع له حلفاء داخل بلداننا من أنظمة ومثقفين لهم مصالح خاصة مع الغرب ويدعمها هذا الغرب من جهته لتكون المنفذ لمخططاته والحامي لمصالحه وأطماعه، كذلك تعمل هذه الأنظمة داخل دول العالم الثالث على تركيز سياسة الجمود وعدم التغيير وقمع كل أصوات الرفض لهيمنة الغرب.

إن الديمقراطية مثل الهواء بالنسبة للإنسان ولذلك ليس الإنسان المحروم من حريته وحقه في التعبير عن الرأي والكرامة، في حاجة الى أن تأتيه فكرة الديمقراطية عبر وسطاء من الخارج حتى يستطيع حينها النهوض للمطالبة بحقه في الديمقراطية، وأتساءل هنا هل كانت حركات التحرر الوطني على اختلافها في الوطن العربي وإفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية في حاجة الى وسيط لتنتفض ضد المستعمر؟ هل كانت الحركة الوطنية بضاعة مستوردة هي الأخرى من الغرب أم أنها ولدت كرد فعل ضد حضارة غربية كانت تريد توسيع هيمنتها على حساب حضارات أخرى ودول أخرى. ولما كنا نطالب الغرب بتطبيق «ديموقراطية» المزعومة كان يرد قائلا : «هي غير صالحة لغير الغرب»؟ إنني أقسم التاريخ المعاصر الى ثلاث مراحل : المرحلة الاستعمارية والتي عشناها الى حدود الخمسينات أو الستينات وهي مرحلة واضحة في طبيعتها إذ يكفي أن تخرج للشارع لتعرف أعدائك.

المرحلة الثانية هي مرحلة شبه الاستعمار وتمتد من بدايات الستينات الى 2 غشت 1990 لأنه برحيل الاستعمار، ترك لنا قبل ذهابه هياكل غير قادرة على مسايرة التطورات المتسارعة مما أثر على تعطيل نمو مجتمعاتنا، وبالأخص ترك لنا طبقة مثقفة بعيدة عن جذور المجتمع وقاعدته العريضة، تسببت في قطع الاتصال الطبيعي الذي كان ما بين الحركات التحريرية الشعبية وبين الشعب، وفي مقابل ذلك نجد عددا كبيرا من هؤلاء المثقفين مشدودين الى تقليد الغرب وترديد قيمه وترويجها بوعي أو بدونه، كما نجد جزءا آخر منهم يجتذب نحو مؤسسة السلطة ليصبح تقنيا لها وعاملا في إدارتها ومخططا لبرامجها ذات الاتجاهات المعاكسة لرغبة أغلبية السكان في التغيير. ولكن تجد رغم كل هذا تعاليا لا مثيل له عند هؤلاء المثقفين يعتبرون فيه أنفسهم النخبة العارفة والطريق المنير الذي بدونه لن تستطيع أغلبية السكان عمل أي شيء لتغيير أوضاعها السيئة وينسى عدد من هؤلاء المثقفين أنهم كانوا يتجولون داخل فنادق وصالونات

الغرب حين كان الشعب الى جانب وطنيه المخلصين يخاطرون بحياتهم داخل القرى والبوادي والمدن لمناهضة الاستعمار.

في مرحلة الاستعمار الجديد صرنا نطبق برامج مفكرة ومعدة بالخارج خاصة تلك التي تسمى «المساعدة الفنية» التي تأتينا من «منظمات دولية» أو من البنك الدولي وغيره من المؤسسات الإمبريالية التي عمقت هوة الفوارق الحاصلة داخل المجتمع كما ركزت مصالح وتحالفات مشتركة بينها وبين فئات قليلة معادية لمصالح الشعوب ولطموحاتها.

أما المرحلة الثالثة فتبتدأ بـ 2 غشت 1990 وهي مرحلة ما بعد الاستعمار فلا يمكن بعد اليوم الحديث عن شبه استعمار بعد 2 غشت رفع عنه كل الحجب ولا بد هنا من أن أنبه الى عدم الانزلاق في أطروحات الإعلام الغربي الذي كلما حدثت مشكلة صنع لها اسما ليختزلها ويخفي أبعادها الحقيقية، فمشكلة الخليج ليست مشكلة صدام حسين وسواء كان صدام أو غيره كان سيحدث ما حدث والعراق كان مستهدفا لما حققه من «عصيان» ضد مبدأ الاستسلام للغرب، فبنى أسس استقلاله عن التبعية للغرب، ولذلك تحرك الغرب كله ضد العراق حتى لا يكون قدوة لدول العالم الثالث.

وأسمي هذه المرحلة ما بعد الاستعمار لأنها حرب انطلقت ولن تنتهي بغض النظر عن كل النتائج المادية، فالحرب القادمة هي حرب ثقافات وحضارات بين الشمال والجنوب ، وهي حرب بين فكرة التسلط والاستبداد الحضاري وبين فكرة الاختلاف والتعدد.

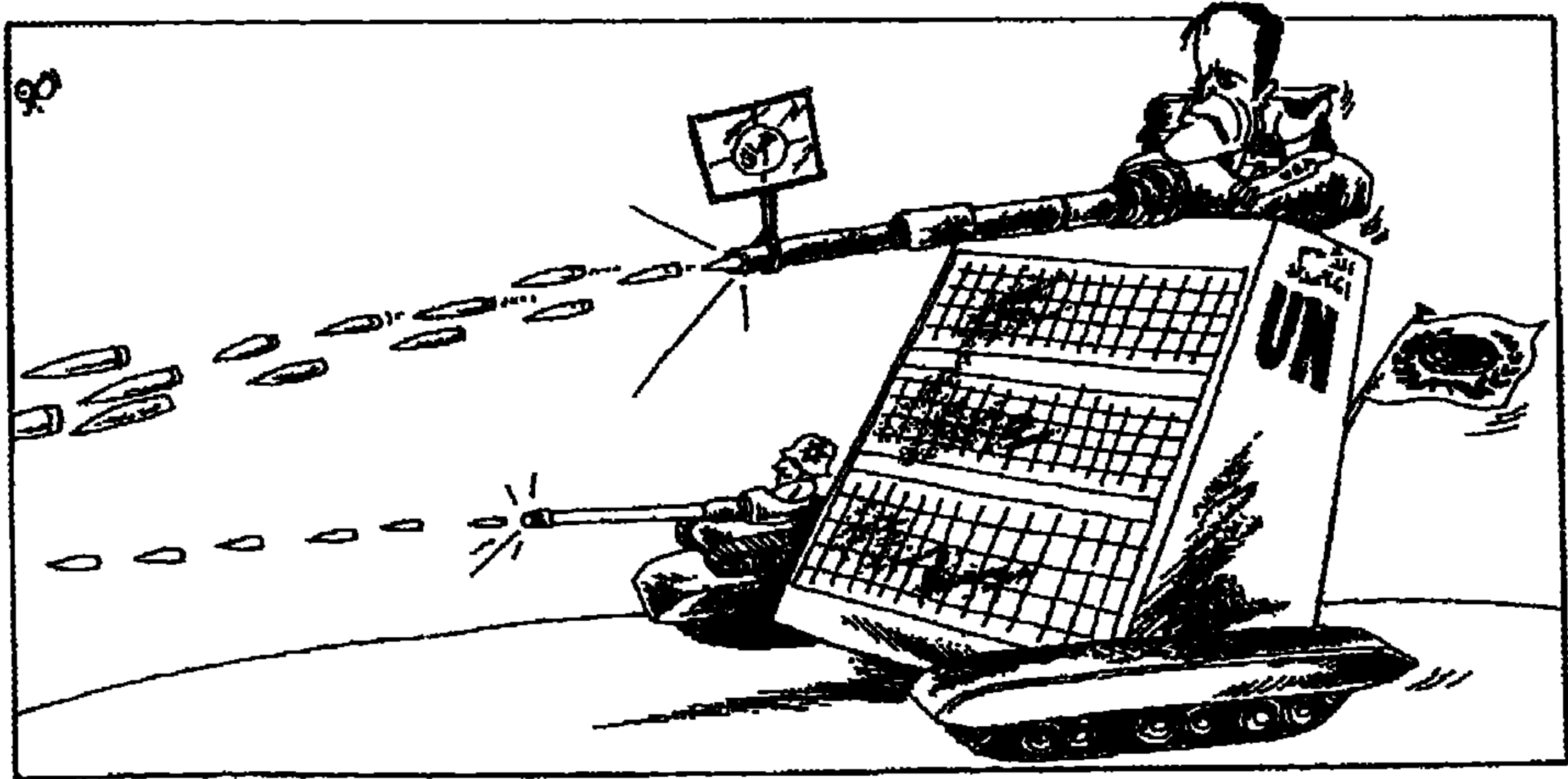
إن الغرب يكرس الان كل وسائله لينسينا ما حدث وليحدثنا عن «ما بعد الحرب» ويحاول أن يوهمنا أن ما حدث هو من صنع فلان أو فلان في حين أن التاريخ تصنعه أحداث متراكمة وتوجهه موجات وتيارات عميقة وكبيرة وشمولية. وخلال شهر غشت عشنا أول تجربة من هذا النوع في تاريخ العلاقات الدولية لما صار فيها من فراغ على مستوى هذه العلاقة على صعيد عالمي واسع.

لقد كان العالم يسير على توازن قوة اشتراكية شيوعية يقودها الاتحاد السوفياتي وقوة ثانية هي الولايات المتحدة الأمريكية وكان بين القوتين اتفاق سري للتحكم في توازن العالم والسيطرة عليه بينما كان العالم الثالث يظن نفسه محظوظا على أساس الانزياح لهذه القوة أو تلك كلما اعترضته مشكلة، لكن بمجرد حدوث تحولات كبرى في أوربا الشرقية نتيجة تحلل إيديولوجي واقتصادي أساسه إرادة في تحقيق تغيرات ديموقراطية. أما الولايات المتحدة الأمريكية فكانت تعاني أزمة تاريخية قيمية، اقتصادية مالية، وحضارية وكانت تبحث عن مشاكل داخلية تغطي الفراغ الدولي وتسحب أنظار رأيها العام عن الأزمات الداخلية الحقيقية - خاصة - وأنها على مشارف انتخابات مقبلة - الى خارج أراضيها. ولم تكن الولايات المتحدة

تستهدف بتدخلها الهيمنة على النفط وحده، بل لدرء مخاطر الغليان الذي بدأت تحبل به دول الجنوب، والذي أصبح يهدد مكانة الولايات المتحدة ومصالحها السياسية والاقتصادية والحضارية. لقد كنا نقول منذ أكثر من ١٥ سنة في دراسة للسيناريوهات المحتملة بالخليج أن هناك احتمال كبير لاحتلال الخليج الذي كان يظهر كمخطط معد قبل الإعلان عن مشروع النظام العالمي الجديد. وجاء النظام العالمي الجديد لحماية مصالح الولايات المتحدة وحلفائها بثلاثة خطط دقيقة هي : سياسة التجزئة ومحاربة الوحدة، سياسة الاستقرار ومحاربة التغيير وهو ما ظهر جليا خلال تدخل جيوش غربية الى جانب حكام الغابون وساحل العاج والسينغال ضد تمرد السكان ومطالبتهم بتحقيق الديمقراطية، أما الخطة الثالثة فهي سياسة التوسع الحضاري وتحقيق الهيمنة اللغوية والحضارية والفكرية للحضارة المسيحية اليهودية ضد كل الثقافات الأخرى. الغرب خائف، ويعيش رعبا عميقا بسبب أخطار يترقبها من الجنوب خلال السنوات المقبلة : خطر الانفجار الديموغرافي الناتج عن تزايد وثيرة النمو السكاني الشبابي داخل دول الجنوب مقابل تراجع مهول في الهرم السكاني لدول الشمال. خطر التغيير الديمقراطي والذي من شأنه تحديد كل مواقع الهيمنة والاستغلال الغربي لدول الجنوب. خطر حضاري من شأنه الحد من هيمنة الحضارة الغربية، خاصة الاسلام بالنسبة للمجتمع الاسلامي العربي. فمنذ 1986-85 بدأت الحملة ضد الإسلام بعد أن كشف معهد بالفاتيكان متخصص في دراسة الإسلام أن عدد الكاثوليكين انخفض لأول مرة في التاريخ أقل من عدد المسلمين (850 مليون مسيحي مقابل 865 مسلم) مع احتمال في اتساع الهوة بانخفاض نسبة المسيحيين وارتفاع نسبة المسلمين.

(x) النص في أصله مأخوذ عن حديث مع إذاعة فرنسا الدولية

(ومع الجزائر خلال الأسبوع الأخير من شهر يناير 1991 (23-27 يناير 1991). R.F.I.



السلام يمر عبر احترام ميثاق الأمم المتحدة (*)

اجتياح الكويت من طرف العراق خرق لإحدى المبادئ المثبتة بميثاق الأمم المتحدة التي هي منظمة من أهم أهدافها حماية السلام. ولكن لا يمكن أن نجيب ونستجيب للميثاق بممارسة خرق آخر له، لأن القرار 678 الصادر عن مجلس الأمن والذي يستند على المادة 42 من ميثاق الأمم المتحدة ليس إشارة مرور لاندلاع النزاعات قبل 15 يناير عند منتصف الليل.

ولتطبيق هذا القرار يجب تطبيق المادتين : 43-46 و 47 من الميثاق والتي تحدد أوجه وشكليات التدخل العسكري للأمم المتحدة. وهي شروط لم تتحقق مما يجعل كل عملية عسكرية قبل 15 يناير تشكل خرقا سافرا للميثاق.

وقد عبر الأمين العام للأمم المتحدة عن ذلك بشكل ضمني يوم 3 يناير كما عبر عن ذلك أيضا رئيس الجمهورية الفرنسية بعد أيام، فلم تتم أية مقارنة ما بين حالة كوريا (1950) أو حالة الكونغو (الزاير 1960). والقوات التي توجد بالخليج لم تبعثها الأمم المتحدة وإنما بطلب أحادي من الدول التي توجد عليها هذه القوات.

ويبقى لمجلس الأمن أن يوضح نواياه في إنقاذ السلام وكذا مصداقية المنظمة الوحيدة والعالمية التي خلقت لحماية السلام، ولعل لأمينها العام سلطات كما هو مسطر في المادة 99 من ميثاق الأمم المتحدة تسمح له بالتدخل لأجل السلام وهناك مجال لتحديد كيف أننا حين نتحدث عن التحالف الدولي. لا نجد في الواقع سوى ثلاثة دول تشكل أغلب القوات المتحالفة هي الولايات المتحدة الأمريكية، إنجلترا وفرنسا والتي تمثل ضمنها القوات أكثر من 80٪ ضمن القوات الأجنبية المستقرة بالخليج و 8,5٪ من القوات الإنجليزية و 2٪ من القوات الفرنسية أي ما يعادل أكثر من 90٪ من قوات الدول «المتحالفة»، وفيما يتعلق بالطائرات الحربية تصل مساهمة هذه الدول الثلاثة إلى 100٪ تقدر بـ 1410 طائرة وحوالي 77٪ من مجموع المدافع وأكثر من 75٪ من البحرية الحربية التي هي في ملك هذه الدول الثلاثة.

ونستثنى غيابا شاملا تقريبا للقوات الأمريكية اللاتينية (دولتان فقط) بمساهمة تقدر بـ 0,05٪ من



البحرية الحربية، وآسيا (دولتان فقط) بـ 1.7٪ من القوات، وإفريقيا بأقل من 1000 جندي وأقل من 0.2٪ من المجموع.

مما يعني أن التحالف ليس دوليا كما يحمل من غطاء وما يشجع على استنتاج ذلك هو استطلاع آراء الرأي العام بعدد من الدول التي تدخل ضمن هذا التحالف والتي أبرزت معارضتها لهذه الحرب، لأن إقرار السلم هو الاتجاه العالمي الممكن لتضامن البشرية ولبقاء النوع البشري.

إن الدعوة للسلام المبنية على احترام ميثاق الأمم المتحدة ضرورة أخلاقية وقانونية ولعل مرجعيتنا في الماضي وبوجه خاص خلال الحرب العالمية الثانية لا يمكنها أن تتخلى عنها لا في الزمان ولا في المكان لأن الإنسانية كانت حينها قادرة على تدمير نفسها.

إن بناء نظام عالمي جديد يمر باحترام القواعد القانونية العالمية المثبتة في ميثاق الأمم المتحدة. وقد أصبح من المستعجل العمل على احترامها إذا ما كنا نطمح لسلام دائم.

مجلة حقائق، عدد 182

28 يناير 1991

جريدة لوموند، 17 يناير 1991، LE MONDE

مع «الخضراء» المغربية : حديث شامل عن أسباب الحرب ونتائجها (*)

• الخضراء : أستاذ المهدي المنجرة.. أنت رجل مستقبلي.. تدرس معطيات الماضي والحاضر لاستقراء ما سيأتي.. ومن هذه الزاوية نعرف أنك من دعاة التغيير على المستوى العالمي.. فأنت تدعو أقطار الشمال الصناعية إلى تغيير عقليتها في تعاملها مع العالم الثالث، ونحن أيضا نعتقد أن التغيير ممكن.. إلا أن الدول الكبرى تمنع الدول الصغرى من التنمية والتطور..

- المنجرة : معك الحق، لكن اسمح لي أن أستعمل عبارة بالدارجة : "حتى يد ما تصفق وحدها". إن مع الدول العظمى دولا صغيرة تتعاون معها، ونحن نعيش الآن ما أسميه بعصر الارتزاق، هناك مرتزقة نجدهم في حكوماتنا وفي جيوشنا وفي مثقفينا.. لقد صار الإنسان يشتري والحكومات تشتري بتعويضات مادية.. وما تراه اليوم في الخليج نموذج لذلك، فحتى التمويل يأتي من مصدر تابع لنا.. فأمريكا، ويجب أن نسمي الأشياء بمسمياتها، لا تمثل سوى 5٪ من عدد سكان العالم، وتتصرف بشكل مباشر وغير مباشر في أكثر من 80٪ من الاحتياطات النفطية العالمية، وهذا شيء مرعب لدرجة أنها تتصرف في الأمم المتحدة، ولي بهذا الخصوص تجربة لأكثر من 40 سنة، وشاركت في نيويورك في المؤتمر السنوي للجمعية العامة للأمم المتحدة.. وفي حياتي كلها ما رأيت كوميديا مثل التي عشتها في الأسبوع الذي كان فيه مشروع القرار 678، لما ترأس (بيكر)، رئيس الدبلوماسية الأمريكية مجلس الأمن، وكانت الاخبار تتحدث يوميا في الصحافة عن الضغط الذي مورس على جميع الدول.. وقد تكلمت عن الارتزاق، حتى أن دولة مثل الإتحاد السوفياتي، وكى لا تستعمل حق الفيتو، تسلمت خلال 28 ساعة قبل التصويت من المملكة العربية السعودية قرضا بقيمة خمسة ملايين دولار.. ولكي نفهم الأرقام : منذ نهاية الحرب الباردة، والتعاون الموجود بين موسكو وواشنطن والغرب، والمجاعة بالإتحاد السوفياتي، والتعاون الأوربي، المبني على نفس القيم اليهودية المسيحية، وإلى حد الآن وحتى بالضغط على ألمانيا واليابان، لم تجمع هذه الكتلة الجديدة لمصلحة الإتحاد السوفياتي ما يقرب من 2 إلى 3 ملايين دولار.. لكن في دقيقة واحدة الضغط الأمريكي على السعودية، لشراء صوت في مجلس الأمن الدولي، أدى إلى قرض بقيمة 5 ملايين دولار.. ولكي نعطي أمثلة أخرى، فحتى المصاريف اليومية لـ 500 أو 600 ألف جندي، وهي مصاريف الأكل والشراب والسكن



مع "الحصراء" المغربية حديث شامل عن أسباب الحرب ونتائجها

والكهرباء والتسلي، تأتي كلها من مدخول هذا النفط العربي.. هذا النفط الذي عوض أن يبقى للأجيال المقبلة يُستغل من طرف الولايات المتحدة والغرب، ويُصرف فيه كأنه ملك لأوروبا وأمريكا.

• الخضراء : هذا تلوث...

- المنجرة (مقاطعا) . هذا تلوث في الأدمغة، ولكن بهذا التشاؤم أنا على يقين، والله هو الوحيد الذي عنده اليقين التام، أن هذه مرحلة انتقالية، وأن الوضعية التي أدت الى الظروف التي نعيشها اليوم، لا يمكن أن تستمر معنا أكثر من أربع أو خمس سنوات.. وأنا مقتنع أن الدخول في القرن ٢١، ولا تفصلنا عنه إلا ٩ سنوات، سنرى معه تغييرات أساسية..

• الخضراء : هذا عام آخر قد مضى.. وعام جديد قد بدأ.. ونريد أن نسمع منك : ماذا تتمنى

لهذا العالم المتحرك؟ وما هو نوع النزاع الذي تتوقعه على المستوى الحضاري العالمي؟

- المنجرة : أمامي الآن مجلة محترمة The Economiste، وبها مقال طويل عن الإسلام والغرب،

يقولون بكل صراحة : بما أن الحرب الباردة قد انتهت والحرب الباردة هي حرب إيديولوجية، ففي المستقبل ليس هناك إلا نزاع يمكن أن يتوقعه الإنسان، وقد بدأ فعلا، وهو النزاع بين الإسلام وما يمكن أن نسميه بالعالم اليهودي المسيحي.. وأظن أن التاريخ الرسمي لهذا هو العهد الأخير والاتفاق الذي تم في باريس بين رؤساء دول أوروبا كلها بحضور الرئيس الأمريكي.. وهذه الاتفاقية وضحت نهاية الحرب الباردة والحرب الإيديولوجية داخل واقع حضارة موحدة لأوروبا الشرقية والغربية ذات نفس القيم، وهي قيم يهودية مسيحية.. عهد هذا النزاع له مؤشرات، وشخصيا أشير لها منذ سنين.. ومنذ ١٩٧٦ وأنا أقول إن الحرب المقبلة ستكون قبل كل شيء حروبا حضارية ثقافية، فيها المصالح الحضارية أكثر مما هي اقتصادية وسياسية.. وما قد دخلنا في هذا العهد، ويجب على كل إنسان في العالم الثالث مسلما كان أو غير مسلم، أن يفهم أن الخطر الموجود الآن هو الهيمنة الحضارية.. والحمد لله هناك مؤشرات جديدة . ومن أحسن الأخبار التي سمعتها خلال الأيام الأخيرة، ولو أنه داخل بلدنا تهجم ضد هذا الخبر في ميديا، وهي إذاعة صهيونية غربية، وهو القرار الذي اتخذ في البرلمان الجزائري فيما يخص العربية كلغة وطنية، ومحاربة الهيمنة الفرنكوفونية التي ليست ثقافية فقط بل، تُحدث مثقفين في الدول المغاربية وتجعل منهم مرتزقة لهذا الغرب.. وأتمنى بمناسبة السنة الجديدة، كمغربي، بالمعنى الكبير والصغير، من جملة ما أتمنى لعام ١٩٩١ أن تقرر الحكومة المغربية رسميا ترك المؤتمر الفرنكوفوني، وأن تقدم تونس على نفس الإجراء، إذا أردنا أن تكون لنا خطة موحدة لكي نحارب المشاكل الكبرى، مثل مشاكل البيئة، وهذه من التمنيات.. وتمنياتي ألا تنتهي سنة ١٩٩١ حتى نرى أن المغرب قد تراجع عن إجراء، أرى أنه كان غلطا، فابتعد عن هذه المجموعة.

الخضراء : مروع هذا الذي نسمع منك أستاذ المنجرة .. فبضع سنوات من الظلام ستكون ضريبة ثقيلة، خاصة وأن العالم جائم على بركان نووي.. فممك أن تستخدم الأسلحة النووية، ونريد أن نسمع رأيك.. فقل لنا بصراحة : هل أنت متفائل من أن الحرب في الخليج لن تقع؟ هل ستقع في نظرك أم لا.

المنجرة : يوم 27 سبتمبر المنصرم، وفي استجواب مع Radio france international وهو استجواب نشرته عدة صحف منها جريدة (العلم)، قلت : إنه غير ممكن ألا تقع الحرب، وألا تستعمل الأسلحة في منطقة الخليج.. الآن أقول إن هناك فرقا بين اليوم 27 سبتمبر، فقد ظهرت عناصر جديدة لم تكن تخطر ببالي، فلم أكن أتصور الخيانة الكبرى للمسؤولين العرب في تعاملهم مع الغرب، وبالأخص مع أمريكا.. ما كنت أتصور أن يصل التعامل إلى الحد الذي وصل إليه، كما قرأنا في الصحف بعد المؤتمر الخليجي الذي انعقد في دولة قطر، والذي برهن عما أسميه بالخيانة للتاريخ، والخيانة أمام العالم العربي، وخيانة للإسلام، وأكثر من هذا : الخيانة الكبرى للعالم الثالث.

ما كنت أتصور أن يصل الحد إلى درجة القرارات التي اتخذت في الدوحة، عاصمة قطر.. وليس ضروريا أن أدخل في التفاصيل، هذا هو العنصر الأول.. العنصر الثاني : ما كنت أتصور، حسب المؤشرات والدراسات التي كانت موجودة أنه سيجيء يوم بعد ثلاثة أشهر فنجد في الخليج 600 ألف جندي أجنبي.. لا أظن أننا إذا جمعنا السكان الحقيقيين لمنطقة الخليج، وأقصد ما يسمى بالمواطن الحقيقي في الكويت وقطر والبحرين والإمارات، سنحصل في المجموع على عدد الجيوش الأجنبية الموجودة في المنطقة.

وعندما أتكلم عن المواطنين أقصد الذين لهم الحق في الانتخابات في الدول التي بها نوع من الانتخابات مثل الكويت.. فهذا الوجود العسكري بهذه الدرجة لم يسبق له مثيل حتى خلال الحرب العالمية الثانية، وهذا هو العنصر الثاني.. العنصر الثالث : ما كنت أتصور كل هذا الانسجام الغربي، بقطع النظر عن بعض التصريحات التي نسمعها من الرئيس الفرنسي من هنا أو هناك.. فهناك اتفاق شامل بين الدول الغربية، وهناك أهداف معينة، وهم متفقون على اللقاء في المنطقة.. والآن المسألة ليست مسألة أن تكون حرب فقط، بل مسألة الدوام، مسألة أن تكون هناك اتفاقيات جديدة بحيث يبقى للغرب وجود في المنطقة، سواء تغيرت الأنظمة الموجودة هناك أو لم تتغير.. فهؤلاء "الناس" راحوا إلى الخليج ليس كسياح لشهرين أو لحرب، بل لنوع من البقاء، وهذا هو الشيء الخطير.. والسؤالا (هل ستكون هناك حرب أم لا؟) كان له أساس يوم 27 ديسمبر، واليوم أقول بكل صراحة إن ما نعيشه الآن هو أن وضعية الإنسان العربي، ليس فقط في الخليج بل في بقية أنحاء العالم، تمس كل إنسان في العالم الثالث.. وهناك مقال في جريدة (

Le monde (منشور يوم 26 ديسمبر، يتحدث عن ردود الفعل في بقية أنحاء العالم الثالث، ويعلن أن جل الناس، سواء في البلدان العربية أو الإسلامية أو غيرها، يحسون أن هذا النوع يمسهم شخصيا.. وأكرر إذن أننا في عصر ما بعد الاستعمار.. وإذا كانت الحرب طبعا ستُذهب ضحايا من الطرفين، لكن أهداف الغرب بسيطة، فقبل النفط هي أهداف حضارية وثقافية، وهي بعد ذلك أهداف اقتصادية، وللهيمنة العالمية يحتاجون طبعا للنفط.. ثالثا : الغرب لا يسمح لأية دولة من العالم الثالث، سواء كانت صغيرة أو متوسطة، أن تكون بإمكانيات علمية تكنولوجية عسكرية باستثناء إسرائيل.. إسرائيل هي الوحيدة التي لها "الحق" في أن تتطور علميا وتستعمل الأسلحة وتحصل على مساعدات ووسائل معاصرة من أحدث ما يوجد، وكذا ملايين الدولارات سنويا، لكن إذا كانت بلاد أخرى كيفما كانت في العالم الثالث، وخاصة إذا كانت عربية أو مسلمة. لن يسمح لها أن تصبح بإمكانيات لأن تتحاور على مستوى الدول الوسطى مثل ما نجد في أوروبا.. فالهدف الثاني في الخليج هو أن تلك البلاد (العراق) التي ضحت وقامت بمجهود في البحث العلمي ووصلت إلى نوع من المستوى يجب أن تكسر، هذا هو الهدف الثاني.. والهدف الثالث هو استعمار جديد لمنطقة معينة. والآن على كل حال اتضحت الأمور بعد 2 غشت، ولا يمكن لهذا الغرب أن يعطي دروسا لأي أحد، لا في الديمقراطية ولا في حقوق الإنسان ولا في أي شيء.. وفي هذا اليوم الذي أتكلم فيه مع (الخضراء)، وهو 27 ديسمبر، نشرت لائحة بعدد الدول التي أعطت الحكومة الأمريكية تعليمات لرعاياها أن يتركوها..

في الوقت الذي تتكلم فيه الولايات المتحدة عن الدفاع عن منطقة عربية وعن هذا النظام العالمي الجديد، نرى أن تعليمات قد أعطيت فيما يخص البلدان العربية فقط، وهذا يخص مواطنيها في موريتانيا والأردن والصومال واليمن والسودان وقطر والامارات والشط الشرقي من السعودية.. إذا كانت أخبار جريدة (زرفقذزم) حقيقية، فإن الرعايا الأمريكيين في المغرب لهم تعليمات لترك البلاد قبل 15 يناير، وهذه علامات هذا التخوف، وهذا برهان من الأمريكان والغرب.. فما هي الاحساسات الحقيقية في العالم العربي وفي العالم الاسلامي وفي العالم الثالث؟ إن ما نعيشه اليوم مسألة مصيرية لها علاقة بالتلوث، والتلوث في أنفسنا وداخل بعض المسيرين في بلداننا، ولكن التلوث مشكلة لها علاقة بالأخلاق.. ولما تنتهي الأخلاق، سواء في الدول الكبرى أو الدول التي تساهم كدول مرتزقة، والتاريخ سيظهر يوما ما الدول التي اشتريت لتحارب أناسا لهم نفس الدين ونفس الحضارة، ومن نفس المنطقة الضعيفة التي هي العالم الثالث، ولكن بقطع النظر عن كل هذا، ممكن أن هذا التحليل هو سبب تفاؤلي لأن ما بقي الآن إلا الانفراج الحقيقي، وبهذا يُعرف المؤمن، وإن الله مع الذين صبروا.

• **الخصراء :** وإنّ، هنا لا بد أن نعود لكلامك.. فلا بد من نظام عالمي جديد.. ولا يتسنى

تحقيق مسألة النظام الجديد إلا بإعادة النظر في هياكل منظمة الأمم المتحدة..

- المنجرة : طبعاً.. في سنة 1973، بالجزائر، كان مؤتمر قمة عدم الانحياز، وكان هناك قرار، القرار نُقل إلى نيويورك وصادقت عليه الأمم المتحدة عام 1974، وهذا القرار اسمه (النظام الدولي الاقتصادي الجديد)، وفيه مطالب بسيطة، وهي مطالب إصلاحية لتغيير التوزيع الغير المتكافئ فيما يخص العلاقات بين الشمال والجنوب.. أما الدول التي حاربت هذا النظام الجديد بمساندة البنك العالمي، فهي الدول الغربية.. والآن، ونحن نتكلم عن نفس النظام الجديد الذي يتكلم عنه الأمريكيون والغربيون، وهو في الحقيقة خرق للقانون.. وإني قد أمضيت حياتي في التعاون الدولي.. وأقول : إن مصداقية الأمم المتحدة ما وصلت يوماً لأسفل مما وصلت إليه الآن، بقطع النظر عن التصويت، لأن التصويت مسألة شكلية، وهي مسألة ارتزاق ونتيجة رشوة داخل مؤسسة عالمية مثل مؤسسة الأمم المتحدة.. ولنأخذ القرار 678 الذي يحدد كأجل يوم 15 يناير، فإذا رجعنا إلى ميثاق الأمم المتحدة نرى أن هذا القرار مبني على البند 42 من ميثاق الأمم المتحدة، لكن هذا البند لا يمكن تطبيق ما فيه إلا إذا رجع الانسان للبندين 46، 47.. ولكي نأخذ الوضعية الحالية، فغير ممكن لأية دولة، سواء أمريكا أو فرنسا أو غيرها أن تقرر يوم 15 يناير لنفسها أن الشروط متوفرة للهجوم.. فضروري أن يجتمع من جديد مجلس الأمن وأن يقرر ويحل الوضعية.. فإذا وجد أن الشروط متوفرة للتدخل، أي نوع من التدخل، لأن القرار يتكلم عن وسيلة لكن بدون تحديد ما إذا كانت وسائل عسكرية أو غير ذلك.. ومع ذلك فهذا لا يكفي، ضروري أن تطرح المسألة، كما هو منصوص في البند 47 أمام لجنة الأركان العامة، وهذا لم يطبق أبدا منذ بداية الأمم المتحدة إلى اليوم.. إذن، حتى الشروط الشرعية القانونية الأساسية لم يتكلم عنها أحد.. وهناك ما هو أكثر، وهذا أقوله بكل مسؤولية، وهو أنه حتى الأمين العام للأمم المتحدة لم يلعب دوره الحقيقي، وهو أن ينهي ويقرأ القانون ويوعي الناس بما هو احترام هذا الميثاق الذي هو مسؤول عن احترامه، لكن، الله أعلم بما حدث.. فالضغط الذي نجده على مؤسسة في حجم الأمم المتحدة، وعلى أمينها العام أدى إلى نوع من السكوت لم يسبق في تاريخ الأمم المتحدة.. وأمامنا في مشاكل الكونغو وغيرها مواقف (يوطانت) وحتى مواقف (فالدهايم).. وعندما كانت المشاكل في شكل جنوب / جنوب، كنزاع العراق وإيران، كان الأمين العام للأمم المتحدة يتحرك بسرعة ويرسل مبعوثين، لكن حتى هذا المجال منعدم.. فقد قررت الأمم المتحدة ألا تسمح له كأمين عام أن يتصرف في مسؤوليته.. إلى هذه الدرجة وصل الضغط.. ولنتنقل من الأمم المتحدة إلى جامعة الدول العربية، فلأسف كان هذا موضوع أطروحتي للدكتوراه.. هنا نرى التعامل والطريقة التي تعامل بها الرئيس المصري خلال مؤتمر القمة الأخير

بالقاهرة، وهذه الطريقة التي اتخذت بها القرارات تخرق جميع القوانين الموجودة في الجامعة العربية.. فانتقال مقر الجامعة من تونس إلى القاهرة نرى بأية طريقة وبأي تصرف كان، ما هو هذا النظام الجديد؟ وما هو احترام هذا القانون، ونحن نرى مستوى منظمات مثل الأمم المتحدة، وحتى جامعة الدول العربية التي هي أقدم منظمة دولية حكومية.. فتأسيسها سبق تأسيس الأمم المتحدة، هذه إذن مسألة مصداقية، ومسألة جدية، فدعهم يتكلمون عن النظام العالمي الجديد.. طبعاً، هناك (نظام عالمي جديد) يتكون، وهو مبني على التعددية، ومبني على الديمقراطية، وعلى العدل، واحترام الحضارات، وعلى القيم والحريات، ومبني على محاربة الضغط كيفما كان ومن أي مكان أتى.

• **الخضراء :** في العدد الماضي حدثتنا عن قضايا تتمحور حول أزمة الخليج.. مازلنا متشوقين إلى المزيد من تحليلاتك الخليجية.. وأيضاً نريد أن نعرف رأيك في إشكاليات البيئة.. وبرأينا ليست البيئة فقط هي الطبيعة، بل هي الانسان، فأينما يوجد الإنسان توجد البيئة.. وسؤالنا : هل للتلوث مستقبل؟ وهل للتنمية آفاق؟

– المنجرة : توصلتُ حديثاً بلائحة 50 أهم كتب نشرت خلال 1990 حول المستقبل.. وأحسب أن 12 منها، أي تقريباً 25٪ لها علاقة بمشاكل البيئة.. ومشاكل البيئة لا يمكن أن تُحل أو توجد لها حلول سوى بنظرة مستقبلية، أي على أمد طويل. هذا من جهة..

من جهة أخرى، فإن هذا الرقم هو برهان على الاهتمام بمشاكل البيئة، بمفهومها الشامل في العالم.. وبإيجاز فإن هذا الاهتمام يمكن أن يُفهم إذا قلنا إنها قد أصبحت ليس فقط قضية تكنولوجية أو مسألة سياسات، بل هي قضية لها علاقة بالبقاء فوق هذه الكرة الأرضية.

لهذا، لما نتكلم عن البقاء نرى أن مشكلة البيئة من الأولويات المستقبلية.. وعندما نتكلم عن المستقبل نقصد المستقبل الذي يبدأ اليوم.

والتطورات التي حصلت في العلم ومفاهيم الكون تبرهن شيئاً لم نكن نعرفه من قبل. هو أن الكرة الأرضية نفسها هي في الواقع حية.. فقد تبينَ علمياً أن للكرة الأرضية ما يسمى *Auto Régulation* وهذا يعني أن هناك وسائل طبيعية تجعل الكرة الأرضية تتعامل مع التطورات، وأن حتى ما يخص الحرارة الموجودة في الجو أو عدد الحوامض في البحار أو كل التغيرات التي تحدث في الطقس... هنالك نوع من المراقبة الطبيعية، وهي ردود فعل من طرف "جهاز" الكرة الأرضية نفسها..

وإن، فهذا التطور الحاصل في المعرفة يلزمنا أن نتعامل مع الكرة الأرضية ومع الكون نفسه من الناحية العلمية بأسلوب آخر، وضروري أن يكون الأسلوب ديناميكياً، وأن نرى بالخصوص العلاقة

الموجودة بين مشاكل البيئة وما يمكن أن نسميه بالقيم الحضارية أو الاجتماعية والثقافية... وهناك علاقة متينة بين مشاكل البيئة الخاصة بالبحار والغابات وانجراف التربة، والسكن والديمقراطية.. والمشكل الكبير أن أنواع من الحشرات والنباتات تموت يوميا وتضيع ولا تتجدد، وهذا شيء خطير لأن البقاء نفسه مبني على التعددية...

والتعددية في الطبيعة شيء أساسي..

والتعددية ليست في الطبيعة فقط، لكن أيضا في الميادين الثقافية والحضارية والسياسية، حيث تعتبر أمرا مهما...

ويجب أن نكون واعين بأن مشاكل البيئة ليست خاصة بالخبراء أو العلماء أو المهندسين أو المختصين في التلوث، بل تهم كل من يعيش فوق هذه الأرض.. ولهذا يمكن إن نقول إن المشكلة الأولى في ميدان البيئة هي نفس المشكلة التي تواجهها الحضارة المعاصرة وهي أزمة الأخلاق...

وهذه الأزمة الأخلاقية لها أيضا علاقة بالنموذج التنموي المبني على الحضارة الغربية، وهذه مبنية على أساس الصناعة، ومفهوم الصناعة، كآلة محاربة للطبيعة..

والآن بدأ الناس يفهمون خطر هذا النموذج التنموي.. وأظن أن هذه نقطة تحول سيكون لها أثر مهم فيما يخص تطورات نهاية هذا القرن وبداية القرن المقبل..

● **الخضراء :** عندما قلت إن المستقبل بدأ اليوم، فهمت أن المستقبل بدأ أمس، بمعنى أنه يجب علينا أن نستخلص التجارب ونستفيد منها لمواجهة الغد.. ومن خلال شرحك المستفيض، فهمت أن البيئة مشكل كوني، عالمي.. ولكن، هل يمكنك أن تحدث قراء (الخضراء) عن زاوية أخرى من هذا المشكل البيئي.. وهي الزاوية الإقليمية، المحلية.. فكيف يمكننا نحن كعربيين أن نواجه هذه المعضلة.. كيف نواجه نحن المغاربة، مشكل التلوث الآتي أساسا من الشمال، أي من البلدان المصنعة.

-المنجرة : السنة الماضية، برهنتُ عن إفلاسها.. وهذا أول درس يجب أن نستنتجه.. وغير ممكن أن نخطط في قضايا البيئة والتلوث وغيرها إذا لم نبادر أولا إلى تغيير فلسفتنا التنموية ومقاصد هذه التنمية.. لماذا أعلن أن النموذج التنموي للعالم الثالث قد برهن عن فشله، لأنه نموذج تقنوقراطي، ليس مبني على الإنسان وعلى تحسين حياة الأشخاص، بل هو مبني على الانتاجية والتصنيع والمادة.. وهذا ما أدى إلى أن الفرق بين الضعيف والقوي، وبين الفقير والغني يزداد اتساعا يوما بعد يوم أولا بين الشمال والجنوب، وثانيا بسرعة أكبر وأخطر داخل الجنوب نفسه، بحيث أن الفرق بين الفقير والغني قد ازداد استفحالا خلال العشر سنوات إلى 15 سنة الماضية.. وهذا ما يبرر الانفجار الذي نعيشه منذ سنوات في العالم الثالث، من تونس إلى الجزائر عام 1988، وإلى المغرب في الأيام الأخيرة، وإلى ما نعانیه من أزمات

في إفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية.. وهذا شيء طبيعي.. فعندما تقول تفسيرك فيما يخص المستقبل، معك الحق.. أنا أقول إن المستقبل يبدأ اليوم فيما يخص خطة سياسية أو عمل.. أما ما نعيشه اليوم أو ما سنعيشه خلال السنتين أو الثلاث سنوات القادمة، لهذا ناتج عما عملناه أمس.. فضروري إذن أن نواجه نتائج سياسات فاشلة في الماضي ونحاول تغييرها، وأيضا نخطط سياسة جديدة تبدأ أولا بمفهوم جديد للتنمية، بحيث يكون النموذج التنموي الجديد مبنيا على الإنسان وكرامة الإنسان ونوعية الحياة وحد أدنى من العدالة الاجتماعية والتوزيع.. وهذه أشياء لها علاقة بالخطة السياسية والتنموية والصناعية.. فمثلا : تجد عدة دول من العالم الثالث نوعا من التخطيط على أساس استقدام صناعات ملوثة.. فالدول الصناعية أدركت خطورة بعض الصناعات التي ينتج عنها التلوث..

هنالك محاولات واعية من طرف بعض الحكومات في دول العالم الثالث تعتبر أن هذه فرصة لنقل هذه الصناعات - التي كلها تلوث - الى مناطقنا.. وهنا أتكلم بطريقة شمولية.. وعندنا في منطقة أسفي والجرف الأصفر بعض المشاريع أقول عنها من زمان يجب أن تكون لنا وسائل علمية لمتابعة ما يحدث عن هذه الصناعات.. ثانيا : التطور السريع في عدد سكان المدن، هذا أدى الى عدة مشاكل فيما يخص التلوث من الناحية الصحية داخل المدن وفي أعماق البحار.. فبخصوص البحر الأبيض المتوسط ومنطقة مهمة من المغرب هي بجانب هذا البحر.. هناك تأثر بما يحدث شمال المتوسط، حيث المجهود الصناعي كبير مع الصناعة السياحية بجنوب إسبانيا وإيطاليا وتركيا والشرق الأوسط، وأيضا الدور الاستراتيجي فيما يخص النقل البحري، وكذا من الناحية العسكرية.. وكل هذا يجعل الناس تتكلم الآن عن موت البحر الأبيض المتوسط.. وللأسف فإن الأحداث الراهنة مثل الوضع في الخليج، هذا الذي كان يسمى «الخليج العربي»، ويمكن أن نسميه الآن «الخليج الأمريكي» لأن عدد العسكريين الموجودين هناك أكثر من سكان بعض الدول الخليجية نفسها.. هذا أدى لحركة غير عادية.. وأمامي الآن إحدى الأعداد الأخيرة للجريدة الأمريكية

International Herald trubune ، وعدد آخر من New York times وفي مقال واحد عن «مختبر الأسلحة الأمريكية بالخليج، بحيث أن هناك عدة أسلحة جديدة، البعض منها شبه نووي.. وكنت قد كتبت قبل 3 أشهر مقالا توقعت فيه أنه سيحدث نزاع عسكري في الخليج.. ومن الأسباب الموضوعية التي كنت قد قدمت، أن النزاع سيكون مناسبة لاستخبار وتجربة أسلحة جديدة ما كان يمكن أن تجرب من قبل، نظرا للحروب الباردة التي كانت سائدة.. وأعطي هذه كأمثلة في ظل الوضعية الجديدة التي نحن فيها وعلاقتها من جديد بالأزمة الخلقية.. وأعني أن هذا التصرف الذي نجده لدى بعض المسؤولين في جميع أنحاء العالم، سواء كانوا في الشمال أو الجنوب، ليس فيه أي اعتبار للمستقبل والأجيال القادمة ولا لنوعية الحياة.. وما

نحن نعيش في هذا الزمن ما أسميه بالهمجية المعاصرة، والأمريتيق بعهد ما بعد الاستعمار، والمسؤولية ليست على الشمال فقط، المسؤولية أيضا على الجنوب، وعلى دول العالم الثالث التي لم نجد فيها أي نوع من الجدية فيما يخص ممارسة مشاكل مهمة مثل مشكل التنمية.. والتنمية ذات علاقة مباشرة بمشاكل البيئة..

• **الخضراء** : يظهر إذن أن للتلوث مستقبلا كبيرا إذا استمر الوضع الجنوبي على حاله.. فالتنمية تجرنا الى مبدأ أساسي هو تغيير النمط السياسي السائد.. فلا تغيير للفكر بدون مسار ديمقراطي بعقلية متطورة تواكب الواقع الجنوبي.. فكيف ترى مستقبل البيئة؟

- المنجرة : إن الإنسان عندما يتجول في أية منطقة من مناطق العالم الثالث، ودعنا نتحدث عن منطقة المغرب الكبير، يرى أنه خلال العشر سنوات الماضية فقط حدث تغيير وادسح بالنسبة للطبيعة، والفواكه والمذاق، بالنسبة للغابات، بالنسبة لشاطئ البحر، وبالنسبة للهواء نفسه.. وقد ظهرت دراسات في العالم كله، ومعها برزت مقاييس ومعايير دولية جديدة تخص المحافظة على البيئة ومحاربة التلوث.. ودول المغرب الكبير لم تتبع أية توصية من هذه التوصيات لأن فكرة التنمية الموجودة عندنا لم تأخذ بعين الاعتبار أن الانتاجية الحقيقية ليست من المصانع فقط، بل أيضا في ربط هذا الأسلوب الصناعي مع نوعية الحياة والمحافظة على الطبيعة والبيئة.. إذن، وحتى ولو كان عندنا مسؤولون أو شبه مسؤولين عن مشاكل البيئة في بلدان العالم الثالث، وعدد منهم يذهب الى اجتماعات دولية كالمؤتمر الكبير الذي يحضر من الآن.. وسينعقد في أمريكا اللاتينية (البرازيل 1992)..

لكن في الواقع ليست لنا متابعة، وليس لنا اهتمام كافى بهذا المشكل.. وأظن أن سؤالك حقيقي، وأنه لن يكون لنا أي اهتمام بهذا الموضوع إلا إذا اهتمنا بالشخص نفسه، فيصير الفرق بيننا وبين دول الشمال، بحيث أن الديمقراطية والحرية، وخصوصا حرية الرأي والنقد والتحليل والعلم والاجتهاد والتعددية والاختلاف في وجهات النظر، يؤدي بالمواطن كيفما كان ليصير نفسه جنديا يتجند للدفاع عن البيئة وعن بيئته الخاصة داخل نفسه وعن بيئته الأسرية، وعن قريته وبلاده، أو جوه وطقسه، فيصير له دور ليس للتعبير عن الرأي فقط ولكن أيضا بالمتابعة والانتخابات والأسئلة في البرلمان والمقالات في الصحف وحتى محاكمات أمام المحاكم.. لكن الانطلاق لكل هذا يرجع لحد أدنى ضروري من الديمقراطية باحترام التعددية وبناء ما يسمى بمجتمع مدني، وباحترام تام لحقوق الإنسان. ومشاكل البيئة أصبحت الآن من جملة الاهتمامات بحقوق الإنسان كما هي في ميدان التشريع على المستوى المدني والدولي..

• **الخضراء** : المغرب يقع بين بحرين.. إن المغرب بلد البحرين، والبحر الأبيض المتوسط ممر

دولي، وربما هو أكبر ممر دولي من حيث الملاحة البحرية.. وهذه الأيام تنتهي الذكرى الأولى لانفجار الناقلات البترولية الإيرانية (خرج 5)، التي هددت الشواطئ المغربية.. نحن إنن في ممر دولي لبواخر عسكرية وسفن تحمل رؤوسا نووية.. فهل تستبعد أن يقع حادث من نوع (خرج 5)، لكن بشكل إشعاعي نري؟ هل هذا مستبعد؟ المنجرة: ليس مستبعدا، وليس هناك أي شيء، مستبعد في مجال الكوارث الطبيعية، وليس المقصود هنا المفهوم الطبيعي فقط، بل أيضا ما سينتج عن سلبات تسيير وتخطيط وسياسة واستراتيجية.. ليس لنا حتى السلطة الحقيقية في بلدان العالم الثالث على بيئتنا حتى من الناحية الشرعية، سواء تعلق الأمر بالجو أو الشاطئ أو البحار.. وهذه المشاكل لا يمكن حلها بين دولة ودولة.. إنها من ميادين الاندماج الاقتصادي والاجتماعي.. فعندما نتكلم عن المغرب الكبير يجوز أن تكون هذه أول نقطة يجب أن نبثها.. فبدون خطة وبدون استراتيجية وسياسة متكاملة بين مجموعة من الدول أو مجموعة اقتصادية كبيرة في العالم الثالث لا يمكن أن نواجه هذه المشاكل وخصوصا منها الجانب السياسي.. ففي العالم العربي، وباستثناء بلدان قليلة، لم نتصرف فقط في مشاكلنا حتى اليومية.. وهنا أظن أن ما يجري في دول الخليج برهان كبير على هذا وهناك نوع من النفاق التام، بحيث أن دولة مثل الولايات المتحدة، ويمسانة فرنسا وبريطانيا ودول أخرى، تتكلم عن أسلوب جديد ونظام عالمي جديد.. وفي الواقع هذا النظام الجديد ليس سوى هيمنة جديدة تامة كاملة أكبر مما عرفناه حتى في وقت الاستعمار، لأن مصيرنا نفسه أصبح في أيدي هذه الدول التي تتحكم يوميا بطريقة لا علاقة لها بمصالحنا..

• **الخصراء :** والنظام الجديد، سواء كان اقتصاديا أو سياسيا يشترط إنسانا جديدا..

وبصراحة هل أنت راض على الإنسان المعاصر؟ هل يشكل نموذجا للإنسان الذي كان يجب أن يكون؟
- المنجرة: كمؤمن، لي ثقة تامة في كل ما خلق الله على هذه الأرض من نبات وحيوان، وثقة في الكرة الأرضية نفسها، وفي الكون والأشخاص.. ولا يمكن إلا أن أتفاعل وأن أومن أن في وقت قريب سنرى تغييرات جذرية لكي يكون هذا الإيمان، بقطع النظر عن لون الإنسان ودينه وجنسه، بأن الإنسان مستقبلا.. ولكن، ولكي يتحقق هذا الأمل، هناك عراقيل في الطريقة.. فكيف يمكن أن يكون لي أمل بخصوص العالم الثالث في وقت نجد أن 60% من سكان العالم الثالث أميون.. هذا أول مشكل في ملف التلوث، وهو الجهل.. وليس الجهل فقط، بل استغلال هذا الجهل وممارسة هذا الجهل لأغراض سياسية من طرف مسؤولين حكوميين داخل بلدان العالم الثالث. لأن محور الأمية أصبح أمرا بسيطا يمكن تحقيقه خلال 6 سنوات.. وأظن هذه أول مرحلة يجب أن نتغلب عليها إذا أردنا نوعا جديدا من التنمية ونوعا جديدا من الإنسانية، وإنن : نوعا من الحد الأدنى للعدالة الاجتماعية..

فهذه الفوارق الشاسعة في العالم الثالث هي أكبر تلوث.. والتلوث الخلقي مبني عليه عدة أشياء من

ناحية القيم والمادة والمعاملة الإنسانية بين الناس ومدى احترام كرامة الأشخاص.. هذه كلها مشاكل مرتبطة ببعضها البعض، ولا يمكن أن نواجهها من زاوية واحدة دون أن نفهم ما هي علاقتها بالمشاكل الأخرى.. لكن، هذا الإيمان يجعلني أقول، إني راض بما سيكون عليه الإنسان في المستقبل.. فإذا لم يكن هناك مستقبل، لماذا يهتم الإنسان بالمستقبل.. والدراسات المستقبلية جعلتني أعي كل الوعي بالمشاكل الراهنة، على الأمد القصير أي الأربع أو الخمس سنوات القادمة.. خلال هذه الفترة بالذات أنا متشائم، وهو تشاؤم كبير لا حد له، ولكن هذا التشاؤم في الواقع هو أساس التفاؤل بالتغيرات الكبيرة التي ستأتي.

السؤال الوحيد : ما هو الثمن الذي سوف يؤدي على هذا التغيير؟ إذا بدأنا من اليوم في تغييرات أساسية سيكون الثمن نسبيا ضعيفا.. لكن كلما تأخرنا يوما جديدا في طريق التغيير والتجديد وتحسين وضعية الإنسان واحترام كرامته، كان التأخر مثل الريا، الذي سنؤدي عليه ثمنا أكبر، وذلك حسب مدة التأخر، سواء على المستوى الإنساني بالمفهوم الضيق أو على مستوى الحياة بمفهومها الشامل حول الكون والكرة الأرضية.

• الخضاء :

الأهداف الحضارية للشمال مزعجة لأقصى الحدود، لأنها تخفي نوايا سيئة.. ونحن كبلد في منطقة استراتيجية عالميا، هدف لهذه الطموحات والأطماع.. وتحليلك ينقلني في هذه اللحظة الى حادث لا أنساه طول حياتي.. إنك تذكرني بأيام إذاعة ميدي 1.. فيوم 20 مارس المنصرم جمع المدير العام Pierre Casalta الصحافيين المغاربة، ثم قال : C'est moi qui fait la loi، وسكت الصحافيون المغاربة كلهم إلا عبد ربه هذا.. فقد رددت عليه : «إذا كنت تصنع القانون فاتركنا نخدم بلدنا " Permettez nous de servir notre pays وكان رده أن فصلني فورا من العمل.. وقع هذا منذ ما يقارب العام، وما زال الفرنسي «يصنع القانون»..

-المنجرة : معك الحق، لأن : C'est moi qui fait la loi وهذا المجال الإعلامي هو أكبر وسيلة في أيديهم ويستغلونها.. فهيا لنرى هل هي الصدفة أنه في الوقت الذي نعيش هذه الأزمة، نجد في بلاد مثل تونس، هذه المحاربة تتم ضد كل واحد على أساس دينه، وعلى أساس عقيدته.. ويقال إن حوالي 200 مواطن زج بهم في السجون.. وعندنا في المغرب، وحسب الصحف، نرى السرعة التي تعمل بها المحاكم بدون متابعة القانون الحقيقي، بدون ممارسة دولة القانون، بدون أبحاث، بدون حق الدفاع.. ونرى السرعة التي يتم بها الحكم على أناس بسبع سنين سجنا.. ونرى.. ونرى.. لكن الواقع أن كل هذا سيكون رد فعله ضد هذه الهيمنة الغربية..



ولنا أشياء جديدة.. فالعراق قد وصلت الى درجة التكنولوجيا والعلمية، بحيث تواجه الغرب.. وأنا أقول إن ما تعيشه العراق مع الغرب هذه الأيام، هو مثلما عاشت اليابان مع روسيا في 1904. ففي ذلك التاريخ ما كان يخطر بالبال أن شعباً من الشعوب غير «الشعب الأبيض»، وكانوا عند ذاك يتكلمون عن «الخطر الأصفر»، يمكن أن يخوض حرباً، ولكن النتيجة أن اليابان انتصرت في هذه الحرب، ونحن اليوم نعيش نفس الفترة اليابانية، ولنا أرقام وإحصاءات.. فالغرب يخشى الديمقراطية، فهم لا يمثلون سوى 20٪ من سكان العالم ولهم هيمنة على أكثر من 80٪ من المنتجات العالمية ومن الأموال وكل ما يباع فوق الكرة الأرضية.. وهذا لا يمكن أن يبقى مع الزمن.. وزيادة على ذلك عندهم مشاكل متعلقة بالبيئة، ومشاكل تتعلق بالديمقراطية، وهي الشيخوخة في سكانهم والانخفاض في الولادات.. فالمجموعة الغربية التي دخلت في مرحلة الدفاع عن نفسها وتحس بخطر وتخوف، إذا لم تغير سياستها بسرعة فستجد نفسها في ظروف تتغير تغيراً تاماً..

وغير ممكن أن نتوقع أنه بعد سنين سيتمكن لفئة قليلة صغيرة أن تبقى في هيمنتها على العالم.. وهناك عنصر ثانٍ ومهم جداً وهو أن من بين التحولات الكبرى التي سيعيشها العالم في مدخل القرن 21، والدراسات موجودة بهذا الخصوص، هو أن عدد مستوى الحاصلين على درجة أكثر من الدكتوراه، والذين أصلهم من العالم الثالث، سيكون أكثر من 55٪.. وإن، لأول مرة منذ قرون سنجد أن الهيمنة الحقيقية العلمية الناتجة عن الدراسة والبحث ستكون في أيدي أشخاص من العالم الثالث، ولو أن جزءاً مهماً منهم سيعيش وسيبقى في الدول الغربية، لأنه لا خيار له نظراً لعدم الاهتمام بالبحث العلمي، وعدم الاهتمام بالتكوين، وعدم الاهتمام بالتربية في بلدان العالم الثالث.. وإن هناك تحولات أساسية.. وهناك عنصر آخر هو أن الشيء الجديد الذي نراه في العالم الثالث هو التغيرات التي بدأت وستتطور بسرعة كبيرة في إفريقيا وآسيا وغيرهما..

وقد كانت أكبر عرقلة في العالم الثالث هي : الخوف : والآن نرى يومياً في جميع أنحاء العالم الثالث أن الناس قد أخذت الأمور بيديها، وأنها قد صارت الآن تهاجم الخوف نفسه، ولا يمكن لهذه الهيمنة الحضارية أن تواجه هذا.. وزيادة على ذلك هنالك تيارات جديدة لها نجاح كبير في جميع الأوساط، لأن لها علاقة مباشرة بالقيم التي نعيش فيها.. وأظن أن مسألة القيم هي المحور الذي سنرى كل التطورات تحوم فيه خلال المستقبل القريب.. وطبعاً أمامنا أيام صعبة جداً، ويمكن أن تؤدي ثمنها.. فممكن أن يحدث التلوث الذري أو الكيماوي وغيرهما، لكن المسألة أصبحت مصيرية.. المهم هو أن نفهم أنه غير ممكن أن يكون القرن المقبل قرن الهيمنة الغربية.. أقول إن القرن 21 سيكون قرن التعددية، وليست التعددية السياسية فقط، بل التعددية الحضارية وبالأخص منها الثقافية.. وسنحرر أنفسنا من هذه الهيمنة التي تبدأ - كما قلت أنت بنفسك - من الهيمنة الإعلامية.

أجرى الحوار: أحمد إفزارن
جريدة الخصراء (طنجة)

الجمعة 4 يناير 1990 - العدد 32
الجمعة 11 يناير 1991 - العدد 33

الحرب التي بدأت ولن تنتهي^(x)

في البداية لا بد لي من أن أحيي صمود شعب العراق ضد العدوان الأمريكي والغربي الذي يقود هذه الحرب المدمرة وغير العادلة واللامتكافئة.

فهذه حرب عسكرية وإعلامية ونفسية. فالعراق اليوم وحده يواجه 31 دولة (بما في ذلك إسرائيل وتركيا)، مجموع سكانها 1200 مليون نسمة مقابل 18 مليون نسمة من السكان في العراق، والمدخول القومي لمجموع هذه الدول حسب تقارير 1978 للبنك العالمي يقدر بـ 9300 مليار دولار مقابل 50 مليار دولار أمريكي كمجموع الدخل القومي العراقي، مما يعني أن نسبة الفارق بين عدد سكان العراق وعدد سكان الدول التي تتحالف ضده تصل إلى ما بين 1 و 75 مقابل نسبة ما بين 1 و 210 بالنسبة للفارق ما بين مدخول العراق القومي ومدخول الدول المتحالفة ضده في هذا العدوان. ولعل ذلك ما يجعلني أعتبر كل دقيقة تمر من صمود العراق في حرب الخليج معجزة لم تشهد الإنسانية مثيلاً لها، خاصة إذا قمنا بتقييم مجموع الطلعات التي قام بها طيران التحالف ضد العراق خلال الأسبوع الأول من الحرب والتي تقدر بـ 10 آلاف عملية، قذفت خلالها على أرض العراق حوالي 100 ألف طن من المتفجرات، أي ما يماثل خمس مرات من حجم القنبلة النووية «هيروشيما»، وهو ما يعني قذف ما معدله خمس كيلوغرام من المتفجرات على كل مواطن عراقي، إنها كارثة حضارية وإنسانية وبيئية.

والواقع أنني أسف لكون كل توقعاتي التي تحدثت عنها منذ بداية الأزمة حدثت. وربما لأول مرة أجدني أتمنى لو كنت مخطئاً بدل أن تكون الكارثة، ولا أعتقد أن دولة عمرها قرنين مثل الولايات المتحدة الأمريكية تقدر معنى العراق كمهد لأقدم الحضارات البشرية فيما بين الرافدين أو طيلة 14 قرناً ماضية. فبغداد عمرها يتجاوز 13 قرناً، يعني اسمها المشتق من الفارسية: «هداية الله»، كما أن البصرة التي هي أكثر قدماً كانت تسمى «الخريبة» وهي المكان الذي اختاره الصحابي عتبة بن غزوان بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتأسيس مركز عسكري... إنهم يجهلون تراث المنطقة أو هم يتنكرون لكل الممتلكات الحضارية الإنسانية هناك.

ونحن بصدد الحديث عن حرب الخليج لا يجب اعتبار هذه الحرب جهوية إقليمية أو هي حرب بين الغرب اليهودي - المسيحي وبين الأمة الإسلامية فقط، بل هو صراع أيضا بين الشمال والجنوب، وهو صراع حضاري بين رغبة هيمنية للحضارة المسيحية اليهودية ضد كل الحضارات الأخرى العربية والمسيحية والآسيوية والأفريقية وكل الحضارة المغايرة لحضارة الغرب.

لقد سبق لي أن قلت أن 2 غشت 1990 تؤرخ لدخول العالم إلى مرحلة ما بعد الاستعمار، أما 17 يناير 1991 فستظل وشما على ذاكرة كل الشعوب، كبدائية لأول حرب عالمية حقيقية تختلف عما كنا نسميه من قبل حربا عالمية أولى أو ثانية، لأنهما كانتا حربان بين الدول الغربية فيما بينها، باستثناء بعض الدول الآسيوية مثل اليابان التي دخلت الحرب العالمية الثانية، أما هذه الحرب ففتيلها أخطر ولا يمكن إيقافه بحل لمجلس الأمن أو حل دولي أو مؤتمر عالمي، كما حدث من قبل، بل هي حرب ستطول 10 أو 15 سنة تحت أشكال مختلفة ليست بالضرورة عسكرية وبوجه خاص في مطلع القرن 21 الذي يؤشر بتحديات كبرى غير سياسية ولا اقتصادية بدرجة أولى، وإنما هي تحديات حضارية تجعل المعركة تنصب من أجل الكرامة الإنسانية والوجود الكريم لأكثر من 80% من البشرية التي تصنف اليوم تحت عنوان العالم الثالث، ولذلك ستكون المعركة القادمة معركة من أجل الدفاع عن التعددية الثقافية والقيم الإنسانية ومعركة ضد أسطورة الغرب التي تدعي أن قيم الغرب وحدها هي الكونية.

إنني كمحب للسلام مثل ملايين سكان هذه الأرض أتابع كل مبادرة لإيجاد حل سلمي سواء تلك التي تقدم بها قادة المغرب العربي أو غيرها. ولكني أعتقد أن تصريحات من عدة جهات غربية وأوروبية وأمريكية لا تؤشر بالأمل : فقد نشرت جريدة هيرالد تريبيون في صفحتها الأولى من يوم 19 غشت 1990 مقالا يفيد أن خبراء إسرائيليين ينصحون البنتاغون بالتدخل السريع ضد العراق مخافة حدوث اضطرابات في أنظمة البلاد العربية، واعتبر هؤلاء الخبراء الاسرائيليون خروج وانسحاب العراق من الكويت سلميا بمثابة كارثة وكابوس يهدد مصالح أمريكا وإسرائيل، وهو ما ادعوه بسيناريو الكابوس Scenario du cauchmar كما أنهم عبروا عن رعبهم من كابوس الدعوة الى مؤتمر دولي لمعالجة القضية الفلسطينية.

وفي 26 دجنبر في افتتاحية «نيويورك تايمز» يتكرر سيناريو الكابوس المرعب للغرب بتأكيد كاتب الافتتاحية على رعب المسؤولين الأمريكيين من حل سلمي يحول دون تدمير القدرات العسكرية والتكنولوجية للعراق؛ ثم نجد أيضا في مقال لوليام سافاراي في هيرالد تريبيون ليوم 14 دجنبر المنصرم يتحدث فيه على عدم أهمية انسحاب الجيش العراقي من الكويت بقدر ما هو مهم الآن تدمير القدرات العسكرية للعراق،

ويضيف نفس المقال ان الولايات المتحدة الامريكية قد صرفت منذ أزيد من عشر سنوات ملايين الدولارات للقيام بهذا العمل، ولو تطلب الأمر تدمير المنطقة بقدرة من المتفجرات تضاعف ما استعمل في الحرب العالمية الثانية مائة مرة. ويضيف وليام سارفاري بأن وجود الجيش العراقي في الكويت هو مناسبة لهجوم جوي لتدمير قدراته ولتدمير مصادر الماء ويمكن أن يلعب عطش العراقيين دورا حينها لصالح ما هو مخطط له، خاصة إذا غيرنا المياه نحو تركيا».

إن كيف يمكن القبول بخرافة الشرعية الدولية وهم كانوا يخططون لضرب العراق، واذكر هنا أننا نبهنا منذ ست سنوات قمنا بها أنا ومجموعة باحثين عرب إلى أنه في حالة استمرار نمط النمو المشوه واستمرار الممارسات غير الديمقراطية فإن المنطقة ستشهد خلال التسعينات زيادة الاختراق الخارجي، وتحرك الدول العظمى نحو تشجيع النزاعات القطرية. ولكل هذه الأسباب أعتقد أنه ما لم تتغير أسباب الحرب لن نأمل في حل قريب خلال الأيام أو الأسابيع المقبلة.

إن الخوف الذي يهيمن اليوم على دول الغرب والولايات المتحدة الامريكية هو الذي جعل كلفة الحرب ما بين 50 مليار دولار و 90 مليار دولار، وأظن أنها ستكلف الغرب أزيد من 100 مليار دولار، دون الحديث عن الخسائر البشرية والمادية للعراق.

وإذا كانت كلفة حرب غراندا قد كلفت 78 مليون دولار، وحرب بنما كلفت 153 مليون دولار، فإن التكلفة الأخيرة لا تتجاوز تكلفة ثلاث ساعات من كلفة حرب الخليج، هذا رغم الميزانية العسكرية الامريكية المحددة من طرف الكونغريس بـ 300 مليار دولار، وما نلاحظه اليوم هو بداية إفلاس بعض دول المجلس الخليجي الذين بدأوا يبيعون بعض ودائعهم المالية بالخارج لأجل تمويل الحرب، والغرب يعمل على امتصاصهم وتفقيرهم لأنه مؤمن بأن الأمور ستتغير في المستقبل غير البعيد. وسنرى كيف أن السوق الأوربية المشتركة ستغير من سيرها، لأن أوروبا ستضطر إلى العمل على التخلص من الهيمنة الامريكية. وأخيرا نلاحظ أن الأزمة الاقتصادية للولايات المتحدة الامريكية تتفاقم بشكل لا سابق له في تاريخها.

أما بالنسبة للمعركة التي نتظرنا نحن، فهي من أجل الديمقراطية وبناء المجتمع المدني والعدالة الاجتماعية ومحاربة الأمية وخلق استثمارات كبرى على مستوى الثروة البشرية والبحث العلمي والتكنولوجي.

إن النظام العالمي الجديد يعرف وسيعرف هزات كبيرة خاصة بعد افتقاد هيئة الأمم المتحدة من أكثر من 75٪ من مشروعاتها ومصادقيتها، ولم يعد للأمين العام من خيار اليوم، بعد أن شل من جراء الضغوطات التي مورست عليه، إلا أن يقدم استقالته لأنه برهن على أنه رهينة للولايات المتحدة الأمريكية التي لم تؤد بعد مجموع ديونها إلى ميزانية الأمم المتحدة. ويتبين اليوم أن مستقبل منظمة الأمم المتحدة أصبح مثل ما حدث لرابطة الدول *La ligne nations* خاصة وأن الأمم المتحدة كانت قد انطلقت من إعلان المبادئ الأساسية للميثاق الأطلسي ليوم 14 غشت 1941، وهو إعلان لرئيس الجمهورية الأمريكية روزفلت والوزير الأول تشرلتشر. ثم بعد ذلك كان هنالك إعلان من الأمم المتحدة وقع يوم فاتح يناير 1942. أما اليونسكو فهي مضطرة اليوم إلى تطبيق المعاهدة الدولية لحماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح (1954) وهو محك لمدى حفاظها هي أيضا على مصداقيتها وشرعيتها.

أما الجامعة العربية فقد برهنت هي الأخرى أنها توفيت، لأنه بالرغم من أن انطلاقة الجامعة العربية سابقة لانطلاق هيئة الأمم المتحدة في خطاب 29 ماي 1941 المعروف بخطاب «بمانشنماوس» لأنطوني أيدن الذي دعى إلى ضرورة خلق جامعة عربية، وتبنى هذه الدعوة باشا نحاس والذي يعلم الجميع ارتباطاته مع الاستعمار الفرنسي، فنلاحظ كيف أن الجامعة العربية تعود إلى الإرادة التي حاول الغرب أن يرسمها لها ولذلك شلت وماتت.

قبل أن أنطلق إلى متغيرات الوضع في المغرب العربي في ظل ما يجري اليوم على مستوى النظام العالمي الجديد، لابد من أن أشير إلى بداية يقظة للوعي الإسلامي ليس بالأقطار العربية فحسب، ولكن أيضا لدى الأقليات كما هو الشأن اليوم في الاتحاد السوفياتي، بعد تحلل نظامه القديم، وتحرك الجمهوريات الإسلامية التي يتعدى عدد سكانها 90 مليون ساكن.

على الصعيد الجهوي بالمغرب العربي، عبرت عدة مرات وحتى خلال مقابلاتي مع الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد عن تخوفاتي عن مستقبل المغرب العربي، نظرا للطريقة التي يمارس بها أعماله، وعن عدم وجود رؤيا منسجمة ما بين المسؤولين في البلدان الخمسة التي يعنيها أمر هذه الوحدة. وللأسف برهنت أحداث حرب الخليج، ولو بعد اتفاقهم عن مبادرة على مستوى مجلس الأمن، على أنه ليس هنالك موقف موحد بين الحكومات الخمس. وهنا أستغرب لانعدام الذاكرة وأستغرب لماذا لم تقم أية دولة بمبادرة لدى الأمم المتحدة تنطلق من قرار لهيئة الأمم المتحدة يتعلق بالحرب الكورية، حين كان مجلس الأمن غير قادر على اتخاذ قرارات خلال ذلك الوقت، فتقدم الوفد الأمريكي بحركة دبلوماسية أدت إلى موافقة الجمع العام

المثقفين الشرفاء للقراءة أكثر والكتابة أكثر مساهمة منهم في التوعية؛ ويجب علينا جميعا حفظ حرب الخليج في الذاكرة حتى لا نخدع مرة أخرى، يجب أن نحفظ في الذاكرة ما يقوله اليوم الغرب في صحفه وكتبه عنا، ويجب أن نذكر عدد المثقفين الجبناء الذين يكتبون في صحف الغرب كلاما ضد أمتنا وهويتنا وقضايانا. وأظن أن النضال من أجل الديمقراطية رهان المستقبل العربي ولا أعتقد أنها صدفة أن تجتمع ثلاثة دول عربية تحمست أكثر ضد العدوان الغربي (الجزائر، الأردن، واليمن) لأنها هي الدول التي بدأت مسيرة ديمقراطية حقيقية، ولعل ذلك هو ما يربع الغرب في المستقبل. أذكر أن «أوريليو بيتشي» الذي كان رئيسا لنادي روما، قال وهو على فراش الموت أن أهم ما يخشاه اليوم عن مستقبل العالم هو مشكل النظام العالمي المنحل الآن. وأظن أن ذلك حدث فعلا بعد 2 غشت، غير أن توقعاتي بخصوص ما بعد هذه الحرب تنطلق من الغايات الحقيقية لهذا الغزو اليهودي المسيحي على المنطقة العربية بهدف تدمير مقومات العراق، وأعتقد أن الحرب إذا طالت إلى أسبوعين آخرين، لا أظن أنه ممكن لدول عربية منازاة للغرب مثل حكومات سوريا ومصر مواجهة رأيها العام.

أما إذا انتشرت الحرب البرية فأظن أن كل المؤشرات تفيد بأن انقسامات واسعة ستحدث داخل جيوش البلدان الموجودة بالخليج الآن. وخلال هذه المدة لا أتوقع أن تبقى الأردن خارجة عن الحرب كما أن تدخل الجيش الإيراني الآن أصبح متوقعا. وإذا تحركت إيران عسكريا ستتبعها باكستان، أفغانستان وحتى بعض الجمهوريات في الاتحاد السوفياتي.

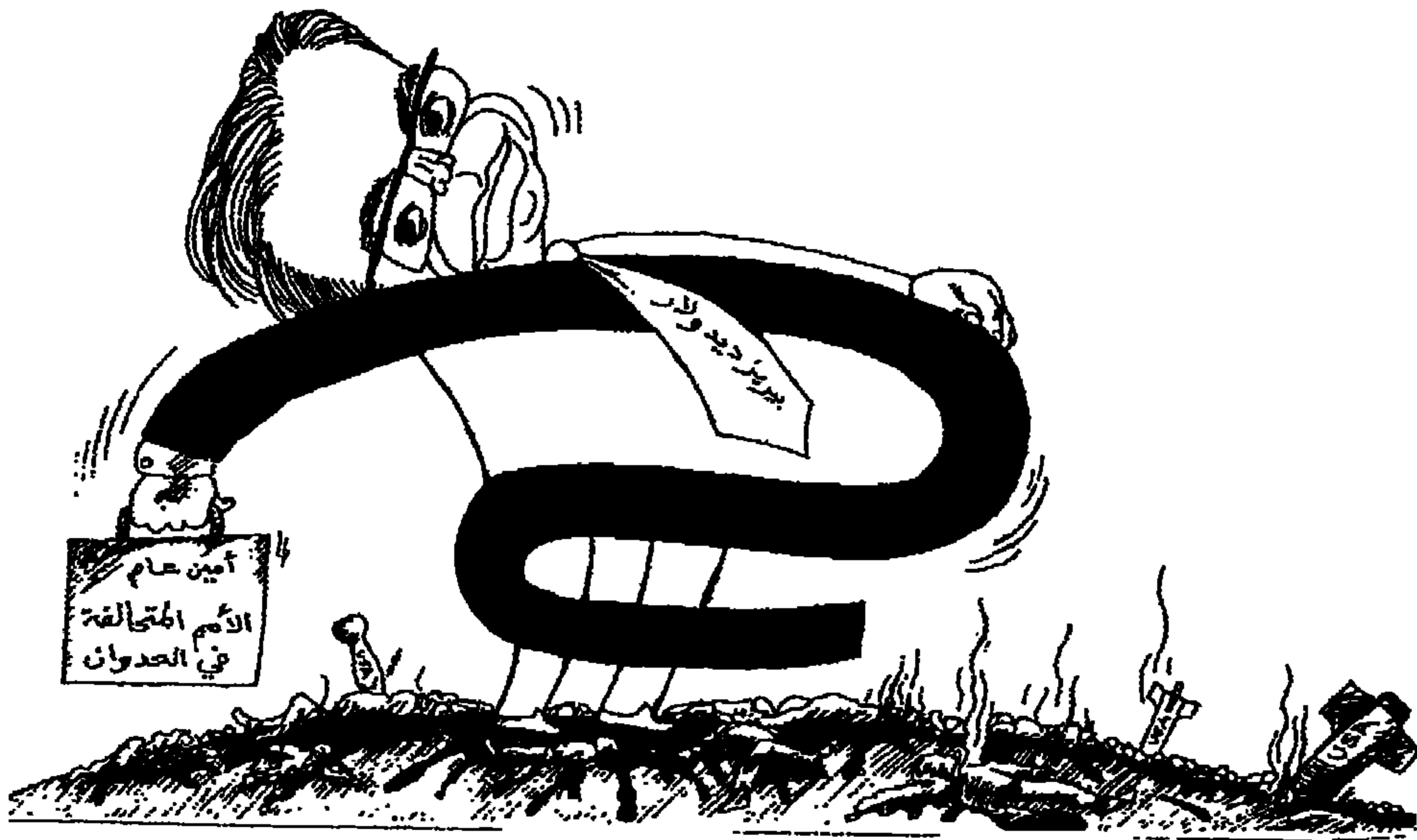
وأود أن أختتم بقوله تعالى «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكفي بريك أنه على كل شيء شهيد».

(الرباط في 25 يناير 1991)

- "العلم"، 28 يناير 1991

- "الخبر"، 29 يناير 1991

- "الشعب"، الجزائر، 21 يناير 1991.



الوجه البشع للنظام العالمي الجديد

«النظام العالمي الجديد» بين للجميع أنه مسخرة ومهزلة.. وإن ما يؤلمني كإنسان اشتغل تقريبا 20 سنة كموظف دولي، له مسؤولية أن أقرأ مثل ما قرأت في مجلة إيطالية هي Pauorame أن الأمين العام يتكلم عن أن هذه حرب شرعية..

وكون أمين عام الأمم المتحدة، وهي منظمة أساسها ومقاصدها هي الدفاع عن السلام، يستعمل عبارة «شرعية» عن مفهوم الحرب، فهذا كلام ما كان يُتصور في بال أي واحد من الناس الذين وافقوا على ميثاق الأمم المتحدة بسان فرانسيسكو عام 1945.

لكن نفس هذا الأمين العام قال : إن هذه ليست حرب الأمم المتحدة..
وما كنت أترجى منه هذا لما كتبت إليه يوم فاتح يناير.. كنت أترجى أن يقول ما هو الواقع..
ولو نطق بهذه الألفاظ قبل 15 يناير وكانت له الشجاعة الخلقية المهنية، لتفهم الناس أن ليس هناك مشروعية حقيقية لانطلاق هذه الحرب..

لكن للأسف..

ومن تصريحه تفهم الضغوط التي يحس بها وتمارس عليه..
وهكذا ختم استجوابه وقال : «أنا ما بقي لي دور، وسأخذ تقاعدي في آخر السنة..»

وهذا ما دفعني في برامج إذاعية بالجزائر وتونس وغيرها أن أقول له وأكررها : "لو كنت مكانه... ولو كانت له كرامة وكان له ضمير يجعله يحس بمسؤوليته عما حصل، نظرا لعدم تدخله وعدم استنكاره لعدم احترام ميثاق الأمم المتحدة لما رأينا عشرات الآلاف من القتلى.. وهذه مسؤولية كبيرة على الضمير . فأنقل شيء كان يمكن أن يفعل هو على الأقل أن يقدم استقالته..

أما هذا «النظام العالمي الجديد» فقد برهن أنه مسخرة وليس هناك أحد يؤمن به.. لكن هذا لا يمنع

أن ما أخشاه هو ما بعد الحرب..

وأية حرب؟

هنالك مرحلة عسكرية بدأت يوم 17 يناير.. وهذا اندلاع حرب عالمية حقيقية.. وحرب ستدوم ما بين 15 إلى 20 سنة بعدة وسائل، وليس بالوسائل العسكرية فقط، لأن الغرب لم تبق له أية مصداقية لدى الجنوب.. -وما نجحنا فيه والحمد لله هو أن حتى بعض المثقفين الذين كنت دائما أسميهم ليس فقط (حزب فرنسا)، بل (حزب الغرب)، منهم من كان بنية حسنة، يؤمن بهذا التعاون الدولي وهذه القيم العالمية الخاصة بحقوق الإنسان والسلام والديمقراطية، يفهم الآن أن الغرب لم يقبل أن نفس المبادئ تطبق على منطقة أخرى غير منطقته.. والناس بدأت تدرك الهيمنة وتفهم الخطر الكبير الذي هو خطر الهيمنة الحضارية والاستعمار الحضاري..

لكن بعد كل هذا، أنا متخوف أن بعد المرحلة الأولى العسكرية، سواء دامت شهورا أو أكثر أو أقل، هناك مخطط موجود من الآن لتفتيت وتفكيك العالم العربي وأن حتى بعض الدول مثل فرنسا وغيرها التي دخلت في الحرب، وقد قالوها بصراحة.. قالوا إنهم دخلوا لكي يكونوا حاضرين عندما تكون مائدة النقاش حول السلام، وهي المائدة التي سيأخذ فيها كل واحد حقه.. فتركيا تأخذ طرفا من العراق، وسوريا لها طموح، وجميع الدول الغربية لها أنواع من الطموحات في هذه المنطقة..

لكن يجب أن تكون لنا رؤية مستقبلية.. فهناك الأمد القصير، وهناك بعض الأسباب ستتحقق، لكن هناك شيئا وهو أنه لا يمكن أن نرجع للوراء وأن العالم الذي نعيش فيه اليوم ليس هو العالم الذي كان قبل 17 يناير.. وسوف نرى تطورات إيجابية داخل العالم الثالث، وخصوصا فيما يتعلق بالمسيرة الديمقراطية والاهتمام بالبحث العلمي والاهتمام ببناء مجتمع مدني..

وسنؤدي ثمنا عن كل هذا، ليس في العراق فقط، بل في بقية العالم الثالث، ولكن إذا أخذنا بعين الاعتبار أننا دخلنا في مرحلة ستدوم 15 إلى 20 سنة..

وفيما يخصني أنا مرتاح على الأجيال المقبلة، ولكن كل شيء له ثمن بالنسبة للمجهود الذي يجب أن ندفعه للمستقبل، وهو نوع من الصمود وأيضا أن تبقى لنا ذاكرة جماعية.. فلا ننسى المقالات المكتوبة في الصحافة الغربية، ولا ننسى ما يُنشر في الصحف الغربية يوميا.. وللأسف، البعض منها

مثل Le Figaro وتطبع في الدار البيضاء، لدرجة أنني عندما قرأت أمس^(*) في France soir (مقالا افتتاحيا أرسلت رسالة، وجدت اقتراحا سبق أن تقدمت به في مدريد يوم 19 ديسمبر 1989، يوم

كان اجتماع لأكاديمية المملكة المغربية.. وفي ذلك الوقت قلت إذا كانت هناك جدية في اتحاد المغرب العربي، أنا أنتظر شيئا هو إنشاء صندوق خاص بمساعدة العمال المهاجرين في أوروبا حتى إذا أرادوا أن يرجعوا إلى بلدانهم يجدون مساعدة لهم..

وآخر الأرقام لهذا الاستفتاء الذي كان في Le Figaro يقول أن 73٪ من المسلمين في فرنسا متخوفون من أنهم لن يجدوا شغلا، وأن 57٪ منهم يخشون حتى على أمنهم ويفكرون في الرجوع إلى بلدانهم..

وهذا نوع من النداء إلى المسؤولين في اتحاد المغرب العربي ليبرهنوا أنهم يهتمون بمواطنيهم الذين يواجهون نوعا من العنصرية لم يسبق لها مثيل، وخطرا حتى على أمنهم الحقيقي في هذه البلدان الأوربية خلال مدة الحرب..

نشرت بجريدة «الخضراء»
طنجة. 8 فبراير 1991

مسلمو فرنسا وحرب الخليج

مهما تكن الاستنتاجات التي استخلصها محلل جريدة «الفيغارو» (FIGARO) من الاستبيان الذي نشرته الجريدة يوم الثلاثاء 29 جانفي 1991 بعنوان : «الهزيمة الأولى»، وتبدأ الافتتاحية بالجملة التالية : «هذا، دون شك، أول نبأ جديد وحيد فعلا... منذ بداية الحرب».. ويقدم هذا الاستبيان الرقمان التاليان : 1 - 73٪ من المسلمين المهاجرين في فرنسا يشكون من كونهم سيتعرضون إلى مصاعب كثيرة في الحصول على شغل بسبب الحرب.

2 - 75٪ ينتظرون عملية طرد جماعي للمهاجرين (الفيغارو، الصفحة 1، 29 جانفي 1991).

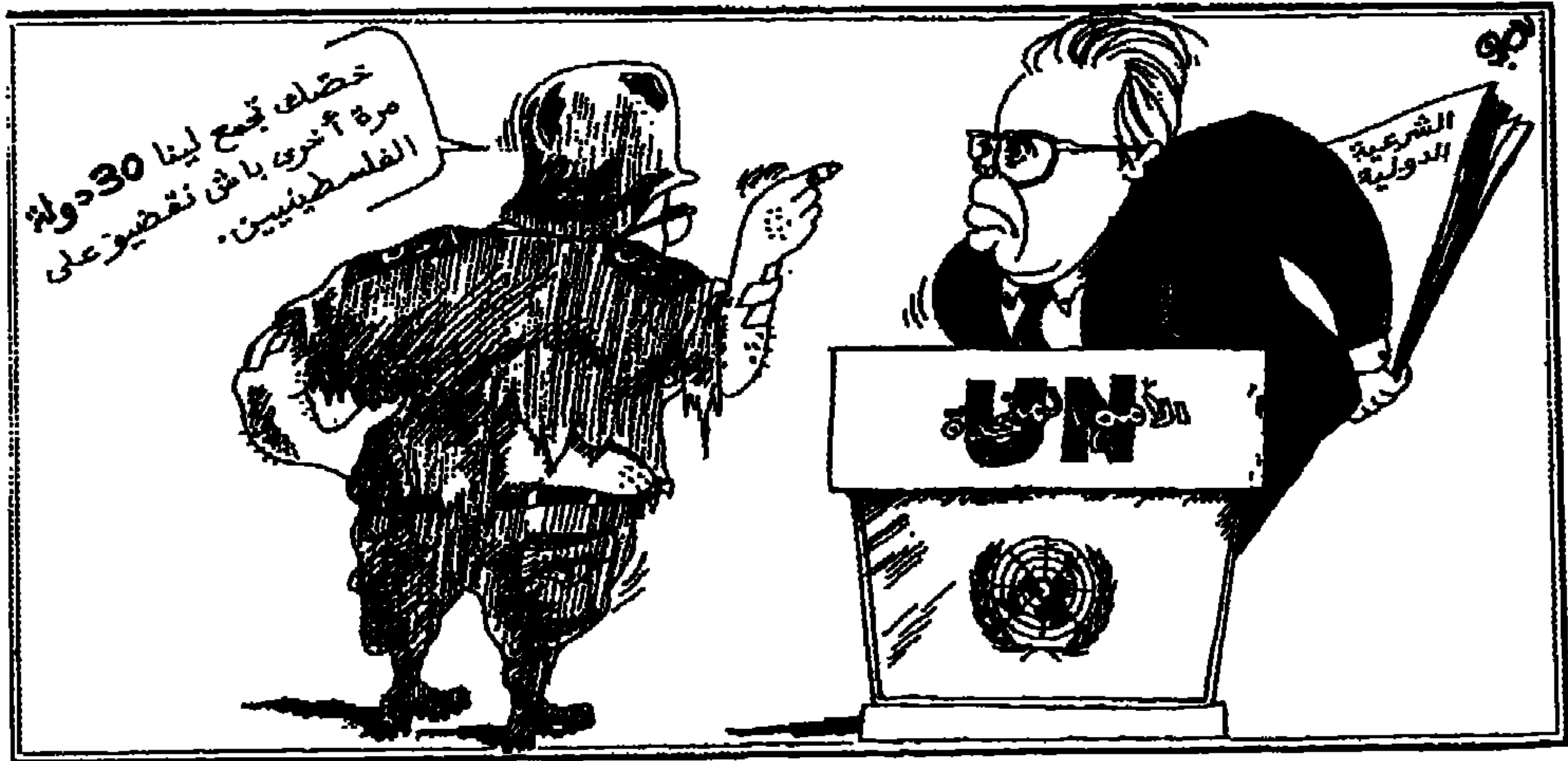
وباعتبار أن الوقت ليس مناسباً للانتصارية الفجة، فإني اعتقد أن حكومات البلدان الخمس الأعضاء في اتحاد المغرب العربي يجب أن ينسقوا فيما بينهم من أجل ضبط إحصاء دقيق للمغاربة الذين يعيشون في فرنسا وفي غيرها من البلدان المنخرطة في الحرب والخلاف العسكري، وتبعاً لذلك يجب ضبط معايير موحدة من أجل تيسير عملية إدماج المهاجرين الذين يرغبون في العودة إلى بلدانهم للاستقرار بها، ومن أجل هذه الغاية يجب بعث صندوق العودة الذي يمكن أن يمول من خلال قرض تضامني..

هذا المقترح كنت قد تقدمت به أثناء اجتماع الأكاديمية الملكية يوم 12 ديسمبر 1989.. ذلك أن الدراسات المستقبلية قبل مدة من اندلاع الحرب في الخليج تشير إلى تصاعد كبير للعنصرية والتمييز ضد المسلمين العرب والافارقة.

ويتضمن هذا المقترح الذي نشرته الأكاديمية الملكية للمغرب فقرتان أقول فيهما : «في اليوم الذي نتوصل فيه إلى إعطاء أهمية كبيرة لمواطنينا وذواتنا الانسانية. سيعرف اقتراحي البسيط جدا والذي يكتسب درجة كبيرة من الجدية، طريقة نحو الدراسة والتطبيق.. ومقترحي يتمثل في اتحاد المغرب العربي، وأهتم هنا أساسا بالمغرب، وسأقول لكم : «هل تعرفون أين أجد المغرب؟ المغرب أجده في مطار «أورلي» من حينما تصل الطائرة : (780 ميل) من الدار البيضاء وتصل الطائرة من الجزائر ومن تونس في نفس الساعة، وبالنسبة لعون الديوانة والشرطي الفرنسي فإنه لا يفرق بين «المغربي» والجزائري والتونسي.. وحينما ننتقل بالمترو أو الحافلة في أي مكان بأوربا أجد أن اتحاد المغرب موجود فعلا مسبقا.. ولكنه عندنا

لم يوجد بعد.. واقتراحي هو أن اتحاد المغرب العربي يبادر ببعث صندوق العودة للمهاجرين المغاربة بالخارج هنالك الآن مليون و 500 ألف مغربي مهاجر وحسب معدل العائلة يصلون الى 400,000 مسكن.. لنفترض أن 200,000 من بينهم يريدون البقاء في أوربا، إذ لا يجب الضغط من أجل العودة. ثم انه ليس على فرنسا أن تعطي منح العودة للمهاجرين، بل يجب على البلدان التي صدرتهم كثروات بشرية قد يشبهونها بالأغنام والطماطم واللفت السكري يجب على هذه البلدان أن تعرف قيمتهم الانسانية وتهبهم هي منحة العودة.. سيكون لنا بهذه الطريقة 200,000 عائلة للعودة... وعلى هذا العدد يمكن خلق مواطن شغل وتوفيرها لنصف هذا العدد على الأقل على امتداد البلدان المغربية، أي 100,000، ويبقى النصف الذين يجب أن نضمن لهم ما يقابل 5000 دولار في السنة. مما يعني 500 مليون دولار.. و 500 مليون دولار بالنسبة للمغرب العربي تعني 0,6 أو 5٪ من الانتاج القومي الخام.. ولا تمثل هذه سوى 1٪ من ديوننا.. وهذا يمكن تمويله بسهولة من خلال قرض تضامني.

«حقائق» - العدد 284 من 1 الى 7 فيفري 1991
و«لوماتان» (31 يناير 1991) Le Matin



ماذا بعد أسبوعين من القتال؟ (*)

الآن، وبعد مرور أكثر من أسبوعين على هذه الحرب، لا يمكن للإنسان أن يقول أي شيء سوى أن يحيي صمود الشعب العراقي والتضحيات التي يبذلها. فرغم أن الأرقام منعقدة، فإنه من غير الممكن أن الشعب الذي نزلت عليه أكثر مما يساوي خمسة عشر قنبلة هيروشيما الذرية اليابانية لا تكون فيه عشرات الآلاف من الضحايا خاصة مدنيين من أطفال ونساء وشيوخ.

وهذا شيء يؤلم كثيرا في أواخر القرن العشرين.

أما التحليل بعد مرور أكثر من أسبوعين فيمكن القيام به على عدة مستويات. هناك معجزة.. فشعب مكون من 17 مليون نسمة، بمدخول قومي لا يساوي واحدا من ثلاثين دولة تحاربه في هذه الساعة بأخر تكنولوجيا موجودة ويتعاون مكثف من قبل جميع الأطراف الغربية، مازال يواجهها لهذه القوة العظمى خلال هذه المدة فكل دقيقة تمر إلا وهي في حد ذاتها معجزة، بالنظر للتطورات التي تحصل في العالم، تزيد أكثر فأكثر سواء في العالم الثالث أو حتى في الغرب وفي الولايات المتحدة نفسها، وفي أوروبا حيث نزل على الغرب خوف شديد.

والآن يمكن أن نقول إن المرحلة الأولى هي نصر كبير للشعب العراقي الذي يحارب سائر الغرب، وفي نفس الوقت دولا عربية ومسلمة، وهذا ما يؤلم، لكن المرحلة الأولى وبكل موضوعية، حققت لشعب العراق نجاحا لم يكن يتصوره الغرب وما كان يحلم به لا العالم العربي ولا العالم الاسلامي ولا العالم الثالث. إن هذا نجاح!!!

لكن مع هذا النجاح يجب أن لا ننسى أن هناك شعبا واحدا أدى الثمن الكبير..

وهناك أيضا الفلسطينيين الذين يواجهون هجوما داخليا ينفذه الجيش الاسرائيلي..

طبعا هناك عوامل استراتيجية وعسكرية وغيرها.. وأظن أننا سنرى أن العراق هي التي تفرض الآن استراتيجية، حيث أن الحرب البرية قد بدأت.. أيضا ستكون تضحيات العراق بشأنها تضحيات كبيرة، ولكن سيكون كذلك في الجانب الآخر أي في الجيوش المعادية، أموات كثيرون وسيحدث انفعال داخل الغرب وبالأخص داخل الولايات المتحدة، وهذا سيكون أكثر من حرب فيتنام بالنسبة للرأي العام الأمريكي

والرأي العام الغربي..

وأعتقد أننا سنرى خلال العشرة أيام القادمة الحرب الحقيقية.. وسنرى الهجوم الغربي على هذه الدولة وعلى المنطقة العربية، وهو هجوم لم يسبقه مثيل في التاريخ الاسلامي..

وإنني لعلّ يقين أننا سنرى تغيرات لم تكن تخطر على بال وما كان يمكن تصورها منذ 10 الى 15 سنة الماضية، التغيرات ستكون داخل البلدان العربية.

وفي مصر بدأ الرأي العام يتحرك وسمعت أن جامعة (عين شمس) طالب جميع طلبتها بانسحاب القوات المصرية.

وأنتوقع نفس التغير في سوريا، وحتى في تركيا التي تعد عضوا من أعضاء "الناتو". ولا يمكن إذا تواصلت الحرب إلا تدخل إيران بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. وبالمناسبة أقترح أن يكون يوم 8 فبراير يوما للاحتفال.. ولماذا؟ إن هذا التاريخ كان بداية الحرب الروسية اليابانية عام 1904، عندها لم يكن يتصور أن دولة غيرغربية يمكن أن تنتصر؛ ومع ذلك كان النصر حليف اليابان. وإن مصير العالم الثالث سيكون الآن نفس المصير.. إن العالم الثالث سوف ينتصر على الهيمنة الغربية.. ولكن يجب ألا ننسى معايير الانتصار.. فالانتصار الحقيقي يكمن في الأهداف التي يتوخاها كل طرف.. فالغرب يسعى للهيمنة، والعالم الثالث يسعى للدفاع عن كرامة الانسان..

وكرامة الانسان هي المنتصرة، وهذه مرحلة أولى في طريق الانتصار حتى ولو وقعت هزيمة عسكرية.. مرحلة ليست هي امتحاننا الوحيد وعلى المدى البعيد سيتحقق النصر.. سينتصر العالم الثالث على الهيمنة الغربية.

إننا نقرب من شهر رمضان شهر المحبة والاخوة والسلام، فكيف لمسلم أن يحارب في الأرض المقدسة مؤمنين آخرين.

وأقولها وأنفجر.. فلا يسمح لجهاز إعلامي في هذه البلاد وفي الظروف التي عاشت الآلاف من الناس عربا ومسلمين، أن يقوم بهذه الحملة بالنسبة للرأي العام المغربي الذي يبرهن عن مدى تعاطفه الانساني مع شعب يهتك من طرف قوات غربية..

لم يسبق لى أن تكلمت بهذه الطريقة لكنني أتبع الاعلام العالمي ولا أفهم إلى أي حد الآن ما هو هذا الموقف فعلى الأقل يمكن أن تساعد حتى بموقف فيه نوع من الحياد لِموقف يساعد إعلاميا الغرب في هذه الظروف.

وإنني أقولها اليوم...

وأقولها كمدير إذاعة سابقا: إن ألمي عظيم.. عظيم.. بالنسبة.. بالنسبة للإعلام الرسمي بما فيه إذاعة ميدي أ، التي يترأس مجلسها الإداري عضو من الحكومة؛ وأنا متخوف من رد فعل من نوع استخدام أسلحة شبه نووية من طرف الغرب أو إسرائيل وأنا متيقن أن العراق لن تكون الدولة الأولى التي ستستعمل مثل هذه الأسلحة؛ ولهذا يجب على الرأي العام العالمي وخاصة في العالم العربي أن يكون واعيا وكل واحد في موقعه ومكانه بأن هذا هو وقت الجهاد الحقيقي بمفهومه العلمي والحضاري والصحافي، ومن الآن بدأت السعودية تجلب الكيروزين لأن عدد خرجات المقاتلات أدى إلى استهلاك لا يتصور من الطاقة وهناك عدة أشياء تتغير، وحتى الآن وبالنظر لما حصل ولو أن عدد الأموات في العراق لا شك أنه يقدر بأعداد كبيرة بالنسبة للقوات الغربية، ولكنها هي في الحقيقة هزيمة للغرب كقيم وكنفاة وكنفسية؛ وقد قدر الله أن في الخليج حصلت هذه الأزمة البيئية النفطية الخطيرة، وإذا عرفنا أن السعودية تستقي من البحر نسبة هامة من مياه الشرب، يمكن أن ينقلب الوضع بحيث قد نرى هذه الجيوش العربية الموجودة في السعودية وهي تعاني مشكل التزود بالماء، وهناك أيضا أمر آخر و"الخضراء" أسبوعية بيئية، وهو المتعلق بهذا الجانب البيئي..

إن هناك كاتباً أمريكياً اسمه "وليم صفير"، وهو البوق الصهيوني في افتتاحيات Herald tribune، ويوم 14 ديسمبر كان هو من اقترح أنه يلزم على الولايات المتحدة أن تدخل بقوتها الجوية وأن بإمكانها في ظرف شهر أن تحطم العراق برمته، وكذلك الكويت كله، كما تحطم بصفة أخص مخازن الماء وأن تحرف مجرى الماء من العراق إلى تركيا. وقال بالحرف: أحسن معاون لنا ضد العراق سيكون هو العطش... العطش لدى الجيش العراقي.

سيناريو الكابوس : سيناريو السلام (X)

س : لقد قيل الكثير عن حرب الخليج وطبيعتها، وقد وصفها البعض بالحرب الصليبية الجديدة، فما هو تصوركم لطبيعة هذه الحرب (شمال - جنوب؛ إسلام - مسيحية؛ أم هي بين رجلين صدام وبوش)؟

ج : منذ يوم 12 سبتمبر أي قبل الحرب قلت أنها بداية حقيقية لمواجهة بين الشمال والجنوب، حتى قبل أن نتكلم عن حرب صليبية.

إن حرب الخليج أكثر من حرب صليبية أنا في اعتقادي ومنذ بداية 17 جانفي دخلنا في أول حرب عالمية حقيقية وهي ستدوم على الأقل 15 أو 20 أو 25 سنة، لأن أهدافها الحقيقية ليست عسكرية أو سياسية أو اقتصادية بل هي حضارية، لأن تحديات القرن 21 ستكون كلها حضارية.

وإني أطلق على حرب الخليج الحرب العالمية الأولى، لأن الحرب الأولى لم يكن فيها شيء عالمي، وكان أساسها نزاع أوروبي - أوروبي، وإن دخلت معهم أمريكا. والحرب التي قالوا عنها إنها العالمية الثانية لم تكن كذلك لأن العالم الثالث الذي يمثل الآن 80% من سكان الكرة الأرضية كان مستعمرا.

لكن الحرب التي انطلقت يوم 17 جانفي بقرار من جورج بوش تمثل أول حرب عالمية حقيقية وبقطع النظر عن النتائج العسكرية فإننا قادمون على تغييرات جذرية سنعيشها يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر، وهذا هو المهم الذي يجب أن نفكر فيه.

وبالنسبة لنا في العالم الثالث فقد ربحنا بين 10 ، 15 سنة من التطورات الحقيقية.

س : هل تعتقدون أن أمريكا كانت ستعدل عن مهاجمة العراق لو انسحب من الكويت؟

ج : لو انسحب لوجدوا حلا آخر، لأن الهدف واضح؛ وقد تحدثوا عن سيناريو الكابوس وهم يقصدون سيناريو السلم، أي أن تخرج العراق من الكويت وتبقى على قوتها وقدراتها العسكرية، وهذا ما لا يعجبهم، وهم يريدون تسليم هذه القدرة ولا يهتمهم تحرير الكويت.

س : ما هو الدرس الذي يمكن للانسان العربي أن يستخلصه من صمود العراق بمفرده أمام أمريكا وحلفائها وضربه للكيان الصهيوني في قلب تل أبيب؟

ج : أظن أن الدرس يتمثل أولاً: في المصادقية، إذ أنه يجب على الإنسان عندما يقول كلاماً أن يحقق ما قاله.

ثانياً : هو القرار السياسي؛ وثالثاً هي الإرادة الشعبية وصمودها.

أيضاً لا ننسى أهمية العلم والبحث العلمي والتكنولوجي.

فيمكن أن نقول ماذا نريد من صدام حسين، لكن الواقع أن العراق هي البلاد العربية الوحيدة وحتى في العالم الثالث أيضاً التي قامت بمجهود جبار في ميدان البحث العلمي منذ أكثر من 10 سنوات، وكانت تنفق سنوياً بين 1,5 و 2٪ من مدخولها القومي في البحث العلمي، فيما اعتقد أن العديد من البلدان العربية، وأذكر هنا بلدان المغرب العربي، لم يتجاوز انفاقها في هذا الباب 0,3٪، لأن ثققتها انبنت على نموذج تنموي برهن على إفلاسه، يعتمد على الخارج والتقليد وما يسمى بالتعاون والفرنكوفونية التي أوصلتنا إلى المصائب التي نحن فيها الآن.

لكن في العراق كانت هنالك سياسة تنمية قوامها الاعتماد على النفس، وهو الدرس الأساسي بقطع النظر عن المجال العسكري، فإذا ما فهمنا هذا الدرس من الآن وخلصته أن ما من شيء أخرنا في العالم العربي والعالم الثالث مثل ما يسمى بالمساعدة الفنية والتعاون الدولي الذي كان مؤامرة حول مناهج تربوية وفنية وحول السياسة الفلاحية وسياسة ما يسمى الآن بالسياسة التي نرى الآن خطأ أن نمول بالمليارات السياسة لكي يأتي من الغرب أناس يتمتعون ببلداننا عوض أن نستثمر هذه الأموال في مجالات أساسية مثل محاربة الأمية والبحث العلمي والتنمية الحقيقية.

س : لكن كيف تفسرون الاختلاف الموجود بين الشارع والأنظمة العربية؟

ج : لقد توقعنا هذا منذ سنين، فقد ترقبت منذ 17 جانفي الفجوة الكبيرة بين الحكومات والشعوب

في العالم الثالث كله.

فالحرب الحالية هي مناسبة للشعوب لتبرهن عن أهدافها الحقيقية وهو ما يزعزع الغرب، لأنه بهذه الطريقة نربح 10 أو 15 سنة، وتكون الحكومات في بلداننا استيقظت من نومها وفهمت خطأها والمسافة التي تفصلها عن روح الشعوب، وأن أمامها اختيار واحد، إما الدخول في المسيرة الديمقراطية الحقيقية وليس بالكلام أو أن تؤدي هذه الفجوة الكبيرة إلى تغيرات جذرية داخل العالم الثالث كله، وهذا لا ريب فيه.

س : ولكن كيف تفسرون هذا الشرخ الذي ظهر بين المشرق والمغرب العربي، أو بين البلدان العربية

بصفة عامة، ثم نتائج هذا مستقبلاً؟

ج : إنه مطلوب منا أن نعي بهذا الخطر وأن نعرف أنها حرب إبادة وأيضا أن نعرف موقف الأمم

المتحدة؛ أنا شخصيا كاتبت في أول جانفي الأمين العام للأمم المتحدة وأظن أن ضميره يجب أن يكون مسؤولا عن عشرات الآلاف من الأموات والضحايا في العراق، ولكنه لم ينطق بكلمة.. ويجب على حكوماتنا أن تستخلص من هذا عدة أشياء: أولا يجب على المغرب وتونس وموريتانيا أن تنسحب من مؤتمر القمة الافريقي الفرنسي، ومن المجموعة الفرنكوفونية، فرئيس فرنسا كان واضحا جدا والوزير الأول السابق بيار موروا صرح في إسرائيل بتصريحات تزعج العالم كله حول منظمة التحرير الفلسطينية.. فينبغي أن يبقى لنا على الأقل فيما يخص الشعوب العربية.

فأنا متوقع أنه في مصر، وهي أكبر بلاد سكانيا إذ تعد أكثر من 55 مليون نسمة أنه لو تواصلت الحرب لمدة أسبوعين فقط ونحن سندخل قريبا في شهر شعبان ولم يعد يفصلنا عن رمضان غير ٤٠ يوما فإنه لو لم تغير الحكومة المصرية موقفها ستري تغييرا جذريا كبيرا في مصر وفي سوريا أيضا. فلا يمكن إذن أن نصدق ما يكتبه الاعلام الغربي لأن الشعوب العربية كانت دائما موحدة لأن الخلاف كان دائما موجودا على مستوى الحكومات فقط.

وأنا على يقين أنه لا يمكن أن تبقى خلال الأسبوعين القادمين بقية الدول العربية ولا الاسلامية ولا العالم الثالث خارجة عن هذا النزاع.

أولا أتصور أنه بقطع النظر عما يقال في الصحف أن إيران تدخل الحرب وأنه سنرى تغيرات في الجمهوريات الاسلامية التابعة للإتحاد السوفياتي وفي باكستان وفي العالم الثالث نفسه، ولكن ما يؤرقني الآن هو الخطر الفوري، أنا على يقين أن هنالك تهيب نوع من الكرامة...

وأنا أدعو بلدان الاتحاد المغاربي أن تطلب اجتماعا استثنائيا للجمعية العامة للأمم المتحدة.

فهذا مشكل شمال - جنوب، ويجب توضيح موقف العالم الثالث كله من هذا المشكل الذي هو مشكله وليس مشكل العالم العربي فقط، لكنه مشكل خاص بهيمنة عسكرية تهدد التعددية الحضارية على المستوى العالمي. وأتوقع أيضا أنه لا يمكن للولايات المتحدة أن تمارس الحرب البرية لأنها تدرك نتائجها وفي نفس الوقت بدأت التغيرات داخل السعودية نفسها وداخل الشعب السعودي العربي وأنا متوقع أنه في الاسابيع المقبلين سنرى ضغطا من الولايات المتحدة الامريكية على السعودية لتطلب من الجيوش العربية الموجودة الآن بالسعودية أن تنسحب وتعود إلى بلادها لأنها أصبحت خطرا أكثر منها مساعدة للغرب.. فلم تعد هنالك حاجة لها، ذلك أن أمريكا وحدها لها أكثر من 500 ألف جندي وجنود الغرب يصلون الى 700 ألف، وهناك قدرة عسكرية لم يسبق لها مثيل في تاريخ الانسانية.



س : هناك من يقول أن النتائج العسكرية يمكن أن تكون لها انعكاسات على الشعور العربي اليوم خاصة إذا فشل العراق لا قدر الله؟

ج : أنا لا يمكن أن أقول فشل العراق، فلا ننسى أن المستشارين العسكريين في البنتاغون قالوا لبوش أن الحرب ستدوم يومين ومبارك قال لبوش في الهيرالد تريبيون (يوم الأحد 3 فيفري) أن الحرب ستدوم أسبوعين والملك فهد حسب مجلة النيويورك تايمز قال لبوش أن الحرب ستدوم ساعتين. فلا يمكن أن نتكلم عن فشل لأن ذلك معجزة ولأنه لم نفهم أن قوة 31 دولة تمثل أكثر من مليار من سكان العالم ومدخولها القومي يقارب من 10 الاف مليار دولار تحارب شعبا واحدا فيه 17 مليون ساكن ومفروض عليه حصار اقتصادي منذ 4 أشهر، ومدخولها القومي لم يصل إلى 40 مليار دولار، فالعراق نجح عسكريا منذ اليومين الأولين، وصمد رغم الحرب الايكولوجية والبيئية التي يشنها الغرب الذي حطم البترول والمؤسسات الكيميائية.

فليس العراق هو الذي بدأ الحرب الكيميائية وليس هو الذي بدأ الحرب الحقيقية، ولا اعتقد أن العراق هو الذي سيبادر إلى استعمال الأسلحة النووية.

وهذا ما جعلنا نعرف منذ ٢ أوت أنه أصبح هنالك قرار للدفاع عن الكيان الصهيوني اتخذته بوش وتاتشر بتحطيم العراق عسكريا واقتصاديا وعلميا.

وأعتقد أنه إلى الآن لا يوجد تنسيق بين البلدان العربية والاسلامية وبلدان العالم الثالث لمواجهة هذه الهيمنة.

فإذا ما تم تحطيم العراق فإنهم سيمرون إلى إيران ثم يواصلون طريقهم لمحاربة اليابان وأمريكا اللاتينية.

س : هل تعتقدون أن أمريكا ستدفع الى حل ديبلوماسي؟

ج : أمريكا ستدفع الى حل ديبلوماسي إذا تيقنت أنها حطمت العراق بنسبة 70 أو 80٪، إن العراق ستحتاج إلى 10 أو 15 سنة لتبني من جديد؛ لأنها تريد ألا تبقى الأشياء كما هي لأنها متخوفة (أمريكا) مما تسميه بعدم الاستقرار في بقية العالم العربي والاسلامي.

س : كيف ترى مصير الدول العربية بعد انتهاء الحرب وخاصة بالنسبة للبلدان المغاربية؟

ج : لما يريد الانسان القيام بدراسة مستقبلية عليه أولا بدراسة ماضي المستقبل.

إن كل ما نشهده الآن مكتوب أولا في دراسة عند الغرب في سيناريوهات لاحتلال الخليج.

ثانياً هناك دراسة عربية صادرة عن مركز الدراسات الوحدة العربية ومقره بيروت، ويرأسه الدكتور خير الدين حسيب؛ وهناك دراسة عن مستقبل العالم العربي وفيها سيناريو أسمىناه سيناريو التشتيت، وهذه الدراسة نشرت سنة 1988، وكل ما يجري الآن في الخليج مكتوب فيها.

أما فيما يخص المستقبل فأنا متشائم جداً بالنسبة للأمد القصير، الذي يمتد على خمس سنوات، وهي لا تمثل شيئاً في تاريخ الشعوب، لكنني متفائل جداً على الأمد المتوسط (10 سنوات) وعلى الأمد الطويل (20 سنة).

لأنه لا يمكن من الآن فصاعداً لأية حكومة في بلاد العالم الثالث أن تمارس نفس الخطة التي كانت تمارسها قبل 17 جانفي 1991.

وبالنسبة للمغرب العربي ونظراً للتغيرات التي حصلت ونظراً لتوحد موقف الجماهير المغربية أتمنى أن تستخلص الحكومات في المغرب العربي الدرس وتواجه مشكلة الوحدة المغاربية بأسلوب جديد، لا بأسلوب إداري تكنولوجي لاجتماعات وزراء ولجان من بلاد إلى بلاد، والواقع الآن أنه ليس هناك أي موقف موحد على مستوى الحكومات.

ملاحظة : أجري هذا الحوار صباح الاثنين

أجري الحوار : نجم الدين العكاري

البطل (تونس) 1991/02/6



المظاهر الحضارية لحرب الخليج (X)

ليست هناك حضارة بدون ذاكرة جماعية. فقبل ثلاث وثلاثين سنة، وفي مثل هذا اليوم (8 فبراير) كانت القنابل الفرنسية تقصف المغرب العربي في ساقية سيدي يوسف، وفي نفس اليوم نسمع في الإذاعات ألوان النفاق من الممثل الخاص الذي قدم الى المغرب ليتكلم عن الصداقة المغربية الفرنسية. ولكن التاريخ مهم، فمن ناحية حضارية، نشهد أنه في نفس اليوم (8 فبراير 1904) انطلقت الحرب الروسية اليابانية التي انتهت بعد 19 شهرا بانتصار اليابان على روسيا، وإقامة الحلف الذي يحمل اسم «بورتمود» يوم 5 شتنبر 1905. وكان تيودور روزفلت، الرئيس الأمريكي، هو الذي تدخل لإيجاد هذا الحلف: لماذا أتكلم عن هذا؟

لأن اليابان في سنة 1904، كانت بدأت انطلاقة الثورة الحضارية باهتمامها بالعلم والتكنولوجيا، وبرهنت على أن لديها مقدرة تكنولوجية وعلمية. واستغرب الجميع آنذاك، لأنه كان في اعتقادهم أن ليس من الممكن لأي واحد من غير الغرب، والغرب هنا يعني الحضارة اليهودية - المسيحية، أن يصل إلى نتائج مثل هذه التي وصلت إليها اليابان، ويتضح من هذه المقارنة ما يجري الآن في الخليج.

وخلال الحرب الروسية اليابانية، كانت هنالك معركة مشهورة، وهي معركة «موكن»، كان عدد الروسيين يتفوقون بكثير عن عدد الجيوش اليابانية، لا من الناحية البرية ولا من الناحية البحرية. ولكن مع ذلك، في هذه المعركة التي دامت 19 يوما، بدأت يوم 19 فبراير، وانتهت يوم 10 مارس 1905 بانهزام روسيا، لذا فلنفهم دور وفعالية التاريخ.

ونرجع إلى يابان 1988، وليس يابان 1904. ونحن هنا، أمام مقر خاص بالعلم وبالبحث، وأهم مؤسسة يابانية للبحث العلمي معروفة باسم المؤسسة اليابانية لتقدم البحث العلمي، قامت بدراسة دامت أكثر من خمس سنين بمشاركة آلاف الاختصاصيين اليابانيين. فماذا سيكون جدول أعمال اليابان في التسعينات؟ وبالخصوص في ميدان العلم والتكنولوجيات المتقدمة؟ فهذه الدراسة موجودة في 400 أو 500 صفحة، كلها علمية لكن فيها مقدمة صغيرة كتبها رئيس هذه المؤسسة يتطرق فيها الى النظام العالمي الجديد، لذا ففكرة النظام العالمي الجديد نفسها فكرة يابانية وليست للغرب، فيجب على الغرب تأدية الحقوق عليها.

والمفهوم الياباني، هو أن الهيمنة الأمريكية، من الآن لآخر القرن، تنتهي. أما اليابان فهي مؤسسة علمية ثقافية، وليست سياسية، وليس فيها أي نوع من الديماغوجية. وقال أنه يجب على اليابان أن يهيء للقرن الجديد وأن يبني برنامجا جديدا على شيء اسمه الحضارة الجديدة على أساس التعددية الحضارية. وهذا أهم شيء في الحضارة، فمسألة البقاء دائما مرتبطة ومبنية على التعددية. ففي علم البيولوجية، وعلم النبات أو علم الكون أو أي علم، نرى أن أساس البقاء هو التعددية، وبدون التعددية يكون الفناء، وخاصة في مجال الحضارة.

واليابان تفهم هذه النقطة حيث أن رئيس هذه المؤسسة أكد أن المعاصرة أو الحداثة ليست هي الغربية. والواضح هنا أن اليابان برهن أنه ليست له حضارة قلد فيها الغرب. بل هناك إنتاج ذاتي ومحلي، مبني على حضارة آلاف السنين، مبني على المحافظة على اللغة اليابانية، مبني على محاربة الأمية ومحوها قبل بداية القرن، ومبني على 'القيم'. ولكن عددا كبيرا من المثقفين في المغرب العربي كانوا لا يجدون ولا يحلمون إلا بهذا الغرب الذي يجهلونه.

لقد عشت كثيرا بالغرب، فدرست ثقافته وفنه وحضارته، وكل ما يمكنني أن أستنتجه هو أنه لا يمكن أن نقلد الغرب ونرمي بالحضارة العربية، وكان هذا محور جدالي مع عدد من المثقفين المغاربة الذين يدعون أن المغرب ملزم بأن يمر من نفس المراحل التي مر عليها الغرب خلال الثورة الصناعية، وليس هناك ممر دون التقليد.

أقول إن هذا جهل، هذا هو عدم الفهم لدور القيم ودور الحضارة والثقافة في عملية البناء، بناء الترتيب العقلاني، بناء أهم شيء وهو الابداع. وليس هناك إبداع بالتقليد. وليس هناك بحث علمي بالتقليد، إلا إذا كان هناك مركب نقص.

وأظن أن أهم شيء يمكننا أن نستنتجه مما حدث في الخليج، بقطع النظر عن آلاف الشهداء، أنه ربحنا ما بين 10 و 15 سنة. لأنه صارت الآلة تنقلب، ويوميا أقرأ في الصحف المحلية والأجنبية هذا التغيير لبعض المثقفين، ولا داعي لذكر أسمائهم من المغرب والجزائر وتونس. وقبل هذا كانوا يشهدون بالاعلان الغربي لحقوق الإنسان، ولم يفهموا أن الغرب لا يرغب أن يطبق على غيره ما يطبق على نفسه، فتبين هذا النفاق، والحمد لله، بعد أن رجع جل الناس إلى الطريق.

أعطيت مثال اليابان كتجربة، وأعود الآن إلى الحضارة.

لا ننسى أن الولايات المتحدة الأمريكية التي انطلقت منها هذه الحرب الخليجية.. ليس في 17 يناير

بل في ٢ غشت 1990 ! لقد اتخذ قرار بشأن الحرب منذ 2 أو 3 غشت، حيث كانت تتواجد السيدة (تاتشر) بالولايات المتحدة، وكان واضحا أنه ستكون هناك حرب ضد العراق، وهذا ما عبرتُ عنه كتابة.. ولما كتبت هذا الرأي يوم 12 شتمبر - سميت (كما العادة) أنني متطرف وأحمق، وكل الأوصاف التي تتصور...

ويوم 27 شتمبر قلت في الاذاعة الانجليزية أنه ستكون الحرب قريبا.

وفي يوم 7 نونبر، قلت للإذاعة الجزائرية أنه ستندلع الحرب بعد أسابيع.

لا أدري بالغيب، لكن هنالك عناصر تتوفر في التحليل، في الدراسات المستقبلية : وفي يوم 15، في الولايات المتحدة الأمريكية التي ليس لديها أكثر من 200 سنة في التاريخ، قال الرئيس بوش، ويجب أن يفهم كلامه بالعكس تماما : «إن عملنا في الخليج ليست له علاقة بالدين، ولا بالثراء، ولا بالفوارق الثقافية». فأني إنسان يقوم بتحليل نفسياني يتضح له أن ليس هناك مبرر ليقول الرئيس بوش أن أزمة الخليج ليست بحرب كذا أو كذا بدل أن يقول بأن الحرب هي حرب كذا. لأن من الناحية النفسانية، برهن لنا أن الأهداف الحقيقية للغرب بزعامة الولايات المتحدة هي عمل ديني، فهذا عمل ديني ومنذ خمس سنين وأنا أقول أننا دخلنا الحروب الصليبية المعاصرة.

بدأت الحملة ضد العرب، وبدأت الحملة ضد العمال المهاجرين بأوروبا، وفي فرنسا لم يصر لها مثل، ويقول بوش : أن هذه الحرب ليست لها علاقة بالدين، بل بالدين. هذه حروب صليبية، بمعناها الديني، الحضاري والثقافي. وكل تحليل غير هذا، في نظري، هو باطل ومنافق.

ونعود للحضارة، فماذا قال الزعيم الفرنسي الكبير، الذي مع الأسف عرفته في صغري، وأعطاني جائزة العلوم الاقتصادية في عام 1981. لما وصل إلى الحكم ميشال روكار، كتب يوم 8 يناير، هذا الذي كان يعرف بعطفه على العالم الثالث، كتب : «لأول مرة في تاريخ الانسانية من ست آلاف سنة، تقوم المجموعة الدولية لتقول (لا)، ولاتخاذ الوسائل والامكانيات». فكيف يمكن أن تبقى هناك مصداقية لأناس مثل روكار، رمز التقدمية، رمز الاشتراكية، رمز التعددية، رمز الحرية، رمز السماحة، رمز هذه القيم كلها التي ينادي بها الغرب صباح مساء. وكيف يمكننا بعد ذلك أن لا نفهم أن هذه أزمة وحرب حضارية ؟

لكن هناك والحمد لله تعددية حتى في الغرب، وهنالك أناس يفكرون حتى في الغرب. ان الأغلبية في هذا الغرب، والاحصائيات موجودة، هي ضد الحرب. الأكثرية في الغرب ضد الحرب؛ لكن الغرب برهن أن ليس له احترام لهذه الديمقراطية، هو أكثر من 70٪ ضد الحرب. فكيف يمكن لحكومات ورؤساء دول أن يشهروا حربا و70٪ من الرأي العام بدولهم هي ضد الحرب. فأين الديمقراطية؟ أين احترام الرأي العام؟

إن هذه الأزمة بينت أنه ليست هناك ديمقراطية حتى في الغرب نفسه، وأقول : أن هناك أناسا في الغرب لازالوا يفكرون، فتهجمي هذا على الغرب ليس بنفس الطريقة العنصرية المتواجدة عند الغرب تجاه الجنوب لأننا كلنا تسامح ولا أريد أن أتعامل بهذه الطريقة.

قلت أن هناك أناسا لازالوا يفكرون في الغرب، وأعطي كمثال كلمة للأستاذ الجامعي أرتير شلزنكر، مستشار سابق للرئيس كينيدي، حيث كتب يوم 17 دجنبر 1990 في (نيويورك تايمز) ما يلي: «إذا كان الجهل الأمريكي للشرق الأوسط اليوم عظيما، فإن جهلنا للمستقبل هو تام، لكن جهلا بدرجة جهلنا غير مسموح به».

الهدف الآن هو تحطيم ذاكرة حضارية.. فحصيله 6000 سنة التي ذكرها روكار، منذ بداية الكتابة والحضارة السومرية، وكل الحضارات السابقة، حتى الحضارة الإسلامية مجموعة في متحف كانت لي علاقة به لما كنت في اليونسكو، وأشرفت على بنائه وتنظيمه.. مجمع 6000 سنة من هذه الحضارة قد تحطم.. والمقصود الآن هو أن الهيمنة الغربية في الميدان الحضاري هو تحطيم هذه الذاكرة العالمية الحقيقية.

مدينة بغداد هي من أقدم المدن في تاريخ الإنسانية.. والمدن كعنصر حضاري بدأت في عهد سومر، وبغداد هي أول بلاد في العالم وصلت إلى مليون من السكان.. وبغداد اسمها يأتي من اللغة الفارسية.. وبالفارسية بغداد معناها هداية من الإله..

أما البصرة، فهي أقدم من بغداد، وأصلها الحقيقي من قبل هو "الخريبة"، وهو المكان الذي كان عتبة بن غزوان، من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، اختاره سنة 636 بتعليمات من سيدنا عمر، بأن تكون المقر العسكري للجيش الإسلامي آنذاك.. فهذا المكان الذي ينزل فيه الآن الحرس الجمهوري العراقي، والذي أسقط عليه ما يعادل 5 أو 10 مرات قنبلة هيروشيما..

ملاحظة : كان هذا حتى يوم 8 فبراير.. أما الآن فيقارب ما سقط على العراق حوالي 40 قنبلة هيروشيما أو أكثر)..

وأقول إنها ليست فقط مشكلة عربية وإسلامية.. فالواقع، إنها إشكالية جنوب/شمال..

في مايو 1978، في أول ندوة مهمة كبرى في روما، آنذاك، كانت تسمى بحوار جنوب/شمال، ألقى كلمة، وعرضت دراسة مطبوعة أقول فيها: إن أكبر عرقلة سياسية حقيقية بين الشمال والجنوب هي الحضارة، وهي بالخصوص الإتصال الحضاري.. لقد رفض الغرب أن يتفاهم باللغات الأخرى، وأعني باللغة الأخرى : القيم، فبرهن أن ليست له أية روح للمسامحة والتعاون والتفاهم على أساس أمكانياته حتى

الاتصال، ويبرز هذا في عدد الصحفيين المتواجدين بالخليج. كم منهم يقرأ اللغة العربية، كم منهم يمكنه أن يتكلم في الشارع ويعرف آراء الناس؟ لكن هذا ليس ضروريا إذا تكلموا الفرنسية أو الانجليزية، هذا يكفي حسب اعتقاد الغربيين.. فعلى الجنوبيين أن يتكلموا لغة الشماليين. والناس من جبلي حاولوا أن يقرأوا لغة الغرب ويعرفوا موسيقاهم ومتاحفهم وأكلهم وكل شيء.. والآن نرى أن ليست هناك مبادلة بعد هذه الفترة كلها، وليست هناك أية محاولة من طرفهم أن يتفهموا الطرف الآخر، لأن أملهم في أن الآخر هو الذي سيكون جزءا منهم، فلا فائدة في مفاهمة الآخر..

لذا أقول إن هذه الأزمة هي نزاع شمال/ جنوب.. في ماي 1980، وفي البرنامج التلفزي الفرنسي *Les dossiers de l'écran*، وسميت آنذاك بالأحمق، حين قلت أن هناك ثلاث سيناريوهات أو مشاهد - سيناريو الاستقرار، وهذا ممكن طيلة خمس سنوات.

- سيناريو إصلاح، وهو ممكن إذا كان مواكبا لعمل جدي طيلة خمس سنوات، ما بين 80 و 1985. وإذا فشل الأول والثاني فسندخل في السيناريو الثالث في بداية التسعينات، وهو سيناريو الانقطاع، وهو ما نعيشه اليوم، وهو صراع (شمال/ جنوب)، صراع ما بين الشمال والجنوب..

طبعاً، العالم الإسلامي حريّ بالمقارنة مع بقية أقطار العالم الثالث، والثالث من العالم الثالث إسلامي.. فعدد سكان العالم الثالث 4 ملايين و 200 مليون، وفي العالم الإسلامي على الأقل مليار و 200 مليون نسمة، والعالم العربي لا يتعدى 200 مليون من السكان.. لسنا هنا نقوم بوزن الديمغرافية الإسلامية مع ديمغرافية العالم الثالث، ولا داعي أن نبقي مرتكزين على مشاكلنا الداخلية.. فهناك برنامج أكبر وأوسع، وهو الصراع بين الشمال والجنوب، وخصوصاً في الميدان الحضاري، لأن الغرب لم يقبل التعددية الحضارية..

في سنة 1984، وفي التلفزة اليابانية، قلت - ولكنه غلط نوعاً ما - إن الحروب المقبلة ستكون حروباً ثقافية، وأن أولها ستكون بين اليابان والولايات المتحدة.. لازلت أومن، وأنا على يقين، أننا قبل آخر القرن، قبل 3 أو 5 سنوات، سنرى نزاعاً كبيراً بين اليابان والولايات المتحدة.. ولقد بدأ، لأن الولايات المتحدة هي قوة عسكرية فقط، وليست قوة اقتصادية، ليست قوة خلقية، ليست قوة حضارية، ليست قوة اجتماعية، ليست قوة سياسية، لا تستند وتعتمد إلا على الجيوش والقنابل..

إذا رجعنا شيئاً ما إلى التاريخ، نجد أن في يوم 14 يونيو 1921، في مناقشة في البرلمان الانجليزي، وهذا من وثائق البرلمان الانجليزي، كان تشورشيل يقول: «لنا سياستان يمكننا اتخاذهما حول الجنس العربي: الأولى أن نترك العرب منقسمين، ولا نشجع طموحاتهم الوطنية، ونخلق إدارات بالاعيان المحليين

في كل منطقة وكل مدينة، وأن نستغل هذه النخبة لإشعال الغيرة من بعضهم ومحاربة بعضهم بعضا.. والثانية، وهي التي أظنها تنسجم مع تحقيق الخالص طبقا للتعهدات التي أعطيت خلال الحرب للجنس العربي والزعماء العرب، وهو محاولة أن نبني، حول العاصمة القديمة لبغداد بطريقة صديقة لبريطانيا وحليفاتها، دولة عربية ليتمكن أن تحيي من جديد وتجسد حضارة وانتصارات الجنس العربي.. وبين هاتين السياستين اخترنا بصفة نهائية الثانية» (المرجع: مناقشات البرلمان للمملكة المتحدة، الجزء 143، ص 174 - 175).

وأخيرا، ما بين التغيرات التي وقعت، عديد من الكتاب، وخاصة بالمغرب العربي، كانوا يكبرون بالغرب، والآن بعدما انقلبت الآية أصبحوا يكتبون لصالح العرب، وأذكر على سبيل المثال كمال الزيدي، الذي أعرفه وأعرف أنه ذو ثقافة مزدوجة، وأنه أول عربي نال جائزة أجنبية، وكانت جائزة الأكاديمية الفرنسية للشعر. وأظن أن الانطلاقة قد بدأت من الشعراء والملحنين والرياضيين، وبالأخص من الباحثين، لأن هذه الحرب حرب علم وليست حرب كلام وتصفيق وأناشيد.. وكل واحد مدعو للعمل في ميدانه..

نظمت نقابة التعليم العالي يوم 8 فبراير ندوة بعنوان

«الأبعاد الثقافية لحرب الخليج»..

نشرت في مجلة "حقائق"، 8 مارس 1991.

و"الخضراء" 22 فبراير 1991، 1 مارس 1991.

و"الخبر" الجزائري، عدد 2 و 4 مارس 1991.

العلاقات المغربية-الأوروبية (x)

حوالي أربعة ملايين من المواطنين المغاربة من المغرب والجزائر وتونس يقيمون بفرنسا ومما لا شك فيه أن مواقف بلدانهم من أزمة الخليج الراهنة سيكون لها تأثير كبير على أوضاعهم المستقبلية سيما وأن العلاقات الفرنسية المغربية تمر بمرحلة دقيقة. ففرنسا تعتبر دول المغرب العربي امتدادا إن لم نقل عمقا استراتيجيا لها ولمصالحها التاريخية والاقتصادية والثقافية وتعتبرها معبرا لمستعمراتها الأفريقية السوداء السابقة. فشعبية فرنسا تدهورت بشكل واضح في دول المغرب العربي خلال الأسابيع الماضية بسبب مشاركة فرنسا في حرب الخليج وفي قصف العراق، وأصبح الرئيس ميتران إلى جانب الرئيس بوش موضوعا للشعارات المناوئة التي يطلقها المتظاهرون.

الخوف الذي يسود مواطني دول المغرب العربي في حالة تصاعد الشعور المناوئ للعرب بفرنسا خلال عودة ضحايا حرب الخليج من قتلى وجرحى بات يدعو للقلق والتساؤل في صفوفهم. ومعنا على الخط الدكتور المهدي المنجرة - المفكر المغربي:

س : دكتور المهدي المنجرة، كيف يمكنكم تقويم العلاقات الفرنسية المغربية في المرحلة الراهنة؟
ج : فرنسا جزء مما يسمى الغرب حضاريا. وهي جزء مما يسمى الشمال، يعني الدول المتقدمة والصناعية، هذا الشمال الذي يمثل أقل من 20٪ من سكان العالم يستغل أكثر من 80٪ من الموارد الطبيعية والتجارة والاقتصاد العالمي. ودول المغرب العربي هي في مقابل ذلك تدخل ضمن ما يسمى بدول العالم الثالث أو دول الجنوب، وبالتالي يلزم قبل أن نتحدث عن العلاقات ما بين فرنسا والمغرب العربي، أن نفكر في إشكالية شمال - جنوب. «منذ زمن، أي منذ 1978 حيث كان أول حوار حول الشمال والجنوب في روما قلت انه ليس هناك حوار مع الجنوب. لان هنالك مشكلة الاتصال الثقافي الحضاري، وقد برهن الغرب أنه الآن غير مستعد لتفهم قيم غيرالقيم الغربية، ولذلك كنت أتوقع منذ زمن بوقوع قطيعة ما بين الشمال والجنوب، وما يحدث اليوم في الخليج هو بالأسف نتيجة لذلك، وهنالك دراسات أنجزتها أيضا منذ مدة وقبل بداية أزمة الخليج، كانت عبارة عن سيناريوهات أتوقع فيها من بين ما أتوقع وقوع اصطدام مثل الذي يحدث الآن. ولذلك يجب

قبل أن نتحدث عن العلاقات ما بين فرنسا والمغرب العربي أن تكون لدينا رؤية واضحة بأن ما يحدث اليوم هو أول حرب عالمية حقيقية عكس الحرب العالمية الأولى أو الثانية، لأن الأولى كانت ما بين الأوربيين ولو انضافت اليهم امريكا فيما بعد، اما الحرب الثانية فكانت أسبابها أوربية محضة، ولو أن أمريكا واليابان دخلتا أيضا ضمن هذه الحرب، لكن ما نراه في الخليج اليوم هو بداية لمسلسل طويل أتوقع أنه سيدوم ما بين 15 و 20 سنة وأن هدفه الاساسي هو حضاري، له علاقة بالقيم لأن الغرب قرر الاستمرار في سياسته الاستعمارية ليس على الطريقة العسكرية والاقتصادية والسياسية فقط ولكن أيضا عبر الهيمنة الحضارية والثقافية، وهناك تخوف لدى الغرب من القيم الحضارية في كل العالم غير الغربي.

وبالتالي فما يحدث وما يمكنه أن يحدث في العلاقات ما بين فرنسا ودول المغرب العربي هو يدخل ضمن هذه الاشكالية، وفرنسا اختارت أن تكون جزءا من هذا الغرب وساندت الولايات المتحدة الامريكية في سياستها العدوانية ضد ليس الدول العربية أو الاسلامية فقط ولكن ضد كل دول العالم الثالث، وقد كان تعليقكم التمهيدي لهذا الحوار كافيا لتوضيح هذه العلاقة وقد سمعت قبل قليل جاك بيرك في إذاعة فرنسا الدولية يعطي نفس التحليل وهو أمر طبيعي لما تختار دولة مثل فرنسا فيجب أن تقبل نتائج اختيارها.

س : هل تعتقدون أن القطيعة بين دول المغرب العربي ستكون دائمة أو هي قطيعة ظرفية؟

ج : القطيعة ليست ظرفية، بل هي قطيعة بدأت منذ أكثر من خمس أو ست سنوات لما بدأنا نرى الحملة العنصرية ضد العرب ثم جاءت حملة ضد الاسلام وكل الناس يتذكرون العنصرية التي عبرت عنها كل دول أوربا وفرنسا بوجه خاص وفي تحليلي القطيعة موجودة من زمن، وفي اجتماع لأكاديمية المملكة المغربية في دجنبر 1989 اقترحت على اتحاد المغرب العربي العمل على إعداد صندوق خاص للتضامن مع العمال المغاربة المقيمين في أوربا في حالة رغبتهم في العودة لبلدانهم وكان تقديري هو إذا ما دفعت دول المغرب العربي 1٪ من مدخولها القومي يمكن لهؤلاء العمال إذا ما أرادوا العودة لبلدانهم وجود شروط لادماجهم وتشجيعهم داخل بلدانهم وهو أمر لا يزال متوقعا، فالقطيعة بدأت منذ زمن وسيظهر لنا مع الوقت أن هذه الحرب هي حرب حضارية وأظن أن الحملة الاعلامية النفسانية التي عبر عنها الغرب خلال الفترة الاخيرة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الانسانية وهنالك حرب إبادة يموت فيها الاف المدنيين العراقيين يوميا ولم نجد أي رد فعل ولو إنساني، فأين هي القيم الغربية (اليهودية/ المسيحية) في تقدير كرامة الانسان وحقه في الحياة، بل إننا لا نرى سوى آلاف الشهداء يتساقطون في هذه الحرب.

س : هل تستغربون من أن يكون الموقف الفرنسي الحالي هو من حكومة اشتراكية كانت تدعي أن

لها موقفا معينا ومميزا مع دول الجنوب؟

ج : لا، والحكومات الاشتراكية في فرنسا تاريخها معروف، وكلما هي تتبع سياسة تقدمية على المستوى المحلي لفرنسا، نجد لها توازنا في سياستها الخارجية والتي كانت دائما الى جانب الاستعمار، ويكفي أن نتذكر سنة 1956 لما كانت أزمة قناة السويس مطروحة، نجد أن الحكومة الاشتراكية هي التي دخلت في الحرب ضد مصر، وهذا لا يفاجئنا نظرا لوجود تأثير داخل الحزب الاشتراكي الفرنسي، ومن جهة أخرى نجد مسؤولين فرنسيين تحدثوا بصراحة سواء تعلق الأمر برئيس الجمهورية أو بالوزير الأول أو بوزير الخارجية كلهم يقولون أنهم ليس لهم اختيار في الدخول أو عدم الدخول لهذه الحرب، لأنهم يريدون أن نكون في طاولة ما بعد الحرب ويكون لهم نصيب في هذه الحرب وبالتالي لما توزع الغنائم يجب أن يكونوا موجودين من بين دول الحلفاء. إذن هذا اختيار وفرنسا دولة مستقلة لها حق أن تختار ولكن لا يمكن لها أن تختار موقفا عدوانيا ضد العالم العربي وضد دول البحر الأبيض المتوسط ضد العالم الإسلامي الذي يبلغ سكانه اليوم مليار و 200 مليون مسلم وضد العالم الثالث كله الذي يبلغ سكانه أربعة ملايين و 200 ألف مواطن دون أن تتوقع نتائج عكسية لموقفها الذي اختارته بكل سيادة ضد كل دول الجنوب، والخطأ ليس من العرب ولا من المغربية لأن هنالك علاقات تاريخية وحضارية متينة ولكن للأسف لم أتفهم بعد هذا العناد الذي برهنت به فرنسا، وإن كانت تدخلت يوم 14 يناير تدخلًا إيجابيا كان على وشك إيجاد حل. لكن الضغط الأمريكي على فرنسا برهن أن فرنسا مثل باقي دول أوربا ستكون الضحية الأولى. هذا بقطع النظر الى الحرب العسكرية التي ستخلف ضحايا في البشر والعناد، كما أن توحيد أوربا واندماجها خلال عام 1992 انتهى الآن لأن أوربا نفسها أصبحت مستعمرة سياسيا واقتصاديا وحضاريا من طرف أمريكا، والمغرب العربي جزء بسيط من العالم لا يتجاوز عدد سكانه 80 مليون نسمة ووزنه ضعيف، ولكن المهم هو علاقة أوربا بالعالم الثالث والعالم الإسلامي والعربي.

س : أعلن الرئيس صدام حسين عن قطع العلاقات الدبلوماسية مع دول الحلفاء واستثنى المغرب فهل لك تفسير لهذا الإستثناء؟

ج : ليس لي تفسير، لكن أظنه أمرا طبيعيا لأن الموقف المغربي سواء المعبر عنه رسميا، أو الشعبي أو موقف الأحزاب أو موقف البرلمان، المغرب كله موحد حول شيء واحد وهو الدفاع عن كرامة العراقيين ومناصرة الصمود العراقي، هذا أمر مفهوم من طرف المسؤولين العراقيين.

س : وجهتم دعوة إلى المدير العام لليونسكو للتدخل قصد وقف التدمير الذي طال الممتلكات الثقافية للعراق، فإلى أين وصلت هذه الدعوة ؟

ج : لقد كنت مسؤولاً سابقاً في اليونسكو كنائب للمدير العام لليونسكو مكلف بالقطاع الثقافي، وكنت قد بعثت أخيراً ببرقية إلى المدير العام فيديريكو مايور أطلب منه التدخل لوقف التدمير الذي يتعرض له التراث الإنساني في العراق طبقاً لمعاهدة لاهاي 1954 المتعلقة بحماية التراث الثقافي في حالة النزاعات المسلحة، خاصة وأن ما تتضمنه العراق من تراث إنساني ليس عربياً أو إسلامياً فحسب ولكن كوني وإنساني، ولكن إلى اليوم لم أتوصل بعد بأي أصداء عن تحرك ملموس للمدير العام حول الموضوع، وإن كان نائب المدير العام قد أبدى لي اهتمامه بالموضوع، وللأسف فقد تأكد اليوم أن متحف بغداد قد دمر، والذي كانت لي فيه مسؤولية في أواخر الستينات وبداية السبعينات.

وفي الوقت الذي يتحدث فيه الجميع عن الشرعية الدولية، لا نجد أحداً بما في ذلك المنظمات الدولية يهتم بهذه الجوانب، وهو أمر يكشف بكل أسف عن عنصرية جديدة وأصبح تطبيق القانون على حساب المصالح وليس انطلاقاً من المشروع الحقيقية ؟

س : ما هي توقعاتك عن آثار هذه الحرب ، عن الأوضاع الاقتصادية والسياسية في العالم العربي والمغرب العربي خاصة ؟

ج : بقطع النظر عن الخسارات الراهنة بالعراق على وجه الخصوص، سيربح العالم الثالث حوالي 10 سنوات إلى 15 سنة كمرحلة خاصة بعد تبين مقاصد الغرب الحقيقية، مما سيجعل النموذج التنموي المتبع من طرف دول العالم الثالث يبدو مبنياً على يد الغرب وعلى التعاطف مع هذا الغرب وعلى مساعداته الفنية والتقنية وما يسمى بالتعاون التكنولوجي، أما اليوم فأظن أن وعي العالم الثالث أصبح واضحاً بضرورة نهج سياسة جديدة أسميها بسياسة الإعتماد على النفس في كل الميادين تكنولوجياً وعلمياً وحضارياً واقتصادياً بما في ذلك ميدان التغذية وأنا متفائل جداً على الأمد الطويل الذي يتحدد بحوالي 15 أو 20 سنة، لكنني متشائم بخصوص أربع أو خمس سنوات المقبلة لأن حرب الخليج هي مجرد بداية لحرب حضارية ضارية ستستمر طويلاً ما بين الشمال والجنوب.

وقد تبين أن الغرب غير مستعد للتعايش مع حضارات أو ثقافات غير الثقافة الغربية وما يهمه هو مصالحه التي يضطر كما يحدث اليوم حمايتها ولو بالتدمير والعنف، وكفى لنا أن نعلم أن عدد المتفجرات التي استهدفت العراق إلى اليوم تعادل 20 مرة تقريباً القنبلة الذرية هيروشيما.

إذاعة "هيفرسن"، (هولندا)، 10 فبراير 1991

جريدة "العلم"، (14 فبراير 1991)

«إنه لشرف كبير لي كمناضل وكمثقف في العالم العربي والعالم الثالث، أن ألقى هذه الكلمة

تصريح لإذاعة بغداد (x)

«إنه لشرف كبير لي كمناضل وكمثقف في العالم العربي والعالم الثالث، أن ألتقى هذه المكالمة التلفونية من إذاعة بغداد في مثل هذه الظروف التاريخية التي يعيشها العالم، وهي معركة بقاء للإنسانية، ويقطع النظر عن المشاكل التي تواجهها تقوم الإذاعة العراقية بالاتصال بي من بغداد الى الرباط. وهو إن دل على شيء إنما يبرهن على وجود شيء حقيقي اسمه الأمة العربية الاسلامية، وهو شرف عظيم أعيشه في حياتها، وأقول إننا جميعا في المغرب وفي المغرب العربي وفي افريقيا وفي العالم الثالث وراء الشعب العراقي في نضاله، والشعب العراقي وحده الآن هو الذي يؤدي بحياته عشرات آلاف من الشهداء في سبيل محاربة الهيمنة الحضارية، وقد سبق لي يوم 12 شتبر أن كتبت ونشرت بأن ما نرى في الخليج ليست حربا عسكرية ولا حربا سياسية ولا حربا اقتصادية فحسب، بل هي حرب حضارية.

وكاختصاصي في الدراسات المستقبلية ومنذ أكثر من 15 سنة، وأنا أنبه الغرب من هيمنتهم الحضارية والخطر الذي سيواجهونه على عتبة القرن 21، والمعركة التي بدأت اليوم أو هي بدأت في الواقع قبل اليوم، هي أول حرب عالمية حقيقية، ولكن إنشاء الله ومن بغداد سينطلق تحرير العالم بأسره، وتحرير 4 ملايين و 200 مليون من سكان العالم الثالث، بما فيهم مليار و 300 مليون مسلم. وستعترف كل الأجيال القادمة بالدور التاريخي لصالح الانسانية الذي تلعبه العراق اليوم. هذا البلد العريق في حضارته منذ الاف السنين - ضد دولة الولايات المتحدة التي لا يتجاوز عمرها 200 سنة، وقد برهنت هذه الأخيرة عن جهل حضاري باستعمال التكنولوجيا للهدم بدل البناء. وكل ما يمكنني قوله هو أن قلوبنا جميعها معكم، وأننا ندعو الله صباحا ومساء لكم ومعكم، وإن شاء الله ومن الآن فإن العراق انتصرت انتصارا باهرا على قوات العدوان بقطع النظر عن النتائج العسكرية.

وأختم بقوله تعالى : «سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم الحق، أولم يكفي بربك أنه على كل شيء شهيد» صدق الله العظيم، ولعل ما بدأ اليوم مما يسمونه النهاية هو بداية فقط للنهاية، وما

يسمونه بما بعد الحرب هو الحرب الحقيقية القادمة، لأننا دخلنا حربا ليست عسكرية فحسب ستدوم من 15 الى 20 سنة على الأقل، وقد برهن الغرب عن استهدافه للعراق، هذه الدولة الوحيدة من العالم الثالث التي كانت لها الشجاعة الكافية لتقول لا للإستعمار وللصهيونية وللإستعمار..

إنها حروب صليبية معاصرة.

والله مع الصابرين، ووفق الله شعب العراق في معركته العادلة».

الأسباب الخمسة لحرب الخليج (x)

جاوزت حرب العدوان الصهيوني الأمريكي شهرها بأيام، بعد أن كشفت عن وجهها العدوانى والهمجى لا من حيث تحايلها على القانون الدولى واتخاذها ذريعة لإبادة شعب وأرض العراق ولا من حيث عدم تكافئها بتحمل قوات أكثر من 31 دولة ضد دولة واحدة، ولا من حيث كمية المتفجرات والقنابل المتساقطة على المدنيين من شعب العراق والتي تقارب اليوم 20 مرة حجم متفجرات القنبلة النووية على هيروشيما، وهي تعتبر بذلك لهذه الأسباب ولأسباب أخرى سبق لى أن أوضحها، أول حرب عالمية حقيقية، يكاد يدخلها العالم الغربى كله ضد شعب واحد.

وقد تبين اليوم للعالم كله وللرأى العام الدولى أن الولايات المتحدة الأمريكية التي تقود هذه الحرب ومن خلفها الغرب كله لم تدخل هذه الحرب من أجل تحرير الكويت ولا من أجل تطبيق «مقررات مجلس الأمن» التي كانت بدورها بوجي من قادة واشنطن، ولكن هذه الحرب جاءت لخمس أسباب أساسية :

أولها أن الولايات المتحدة الأمريكية وهي تحاول إعادة ترتيب النظام العالمى الجديد هي القطب الواحد بعد تحلل القطب السوفياتى كقوة للتوازن، لم تستسغ أن تكون بمنطقة الخليج العربى - بإمكانياته البترولية وبحيويته الجيوسياسية - دولة تنمو وتتجه نحو الاستقلال عن سلطتها، هذه الدولة التي هي العراق. وثانيها أن العراق لما حاول أو استطاع تحقيق استقلال تكنولوجى عن الغرب بدأ يهدد أمن مصالح الغرب كله سواء لتأمله لتقليص وهم التفوق الغربى أو لتهديده أسواق الغرب لبيع التكنولوجيا الجاهزة.

وثالثها أن الآلة العسكرية للعراق حققت خبرة وقوة، أصبح من شأنها تهديد الكيان الصهيونى المزروع بالمنطقة كقاعدة للغرب الصليبي وللولايات المتحدة الأمريكية خاصة.

ورابع هذه الأسباب أن الغرب أدرك قوة العراق الحضارية كمهد للثقافات وكأرض للذاكرة العربية والإسلامية، الشيء الذي يهدد أطماعه في سيادة ثقافته وقيمه الغربية ضد كل الثقافات الأخرى العربية والإسلامية أو غيرها من الثقافات الأخرى.

وأخيرا فإن الغرب كما يرسم في سيناريوهاته هو مضطر لتجديد ربط خيوط التبعية إليه بعد تاكل الاستعمار

القديم، وسواء دخل العراق للكويت أو لم يدخل، فقد كان الغرب مستعدا للدخول في فترة ما بعد الاستعمار لتحقيق سيناريو التمزق من جديد وإن بصيغ مختلفة عن الماضي المهم بالنسبة إليه هو أن يقضي على أية قوة تنمو من الجنوب خاصة إذا كانت عربية وإسلامية وكان العراق هو الدولة العربية التي تبدو للغرب مصدر تهديد بالدرجة الأولى من جهة العالم الإسلامي، وبذلك اختيرت المشكلة العراقية الكويتية كمبرر للتدخل السريع والمكثف قصد تدمير العراق، بعد أن تحكمت الولايات المتحدة في سلطة القرار داخل هيئة الأمم المتحدة وداخل مجلس الأمن.

فماذا كانت النتيجة؟ النتيجة هي القيام بخمس جرائم لم يسبق للإنسانية أن عاشت مثيلا لها في مدة مثل هذه : فقد تم الاعتداء الوحشي على الإنسان العراقي طفلا كان أو امرأة أو شيخا أو مريضا، وتم قصف المخابئ المدنية والمساكن والمستشفيات ومنابع الشرب، سجل خلالها القصف ما يزيد عن 75 ألف طلعة، نقدر لكل طلعة ثلاثة شهداء على الأقل، وهو ما يفيد سقوط أكثر من 225 ألف شهيد. فهل قام الضمير العالمي بإدانة أمريكا وحلفائها؟ وهل تحركت الشرعية الدولية أمام خرق أهم مبدأ في حقوق الإنسان وهو حق الحياة؟ وهل صرح مسؤول بأن ما يحدث هو خرق للاتفاقيات الدولية الملزمة للجميع لحماية المدنية في حالة النزاعات المسلحة؟ لا أحد، أضف الى ذلك أن العدوان المسلط على العراق خلف جريمة ثانية نكراء وهي تدمير البيئة الطبيعية سواء تعلق الأمر بالمزروعات والنباتات أو بضرب ينابيع المياه أو بتلويث المياه البحرية الخليجية أو بتلويث الهواء مما تسبب أخيرا في تساقط أمطار سوداء داخل إيران، فهل تحركت المنظمات البيئية العالمية لحماية بيئة العراق وحماية أمنها الطبيعي، هل سمعنا أحدا من أصحاب «الخضر» يصرخ ضد هذه الجرائم المرتكبة في حق الطبيعة؟ لا أحد، ثم تأتي الجريمة الثالثة وهي تدمير التراث الإنساني الثقافي والحضاري بالعراق بدون مبرر سوى الرغبة في القضاء على الذاكرة، ولعل الذين قصفوا متحف بغداد وغيره من مراكز التراث الإنساني والعربي الإسلامي بالعراق لا يملكون عمقا حضاريا يرجع لآلاف السنين مثل العراق، أما الجريمة الرابعة فهي المس بمشاعر مئات الملايين من المسلمين بهتك حرمت الديار المقدسة وعدم احترام معتقداتهم ومقدساتهم وهي جريمة ستظل مرسومة داخل عقل كل مسلم مسلم يذكر فيها أن الغرب قد دنس أرضه المقدسة ولم يحترمه في دينه وعقائده،

وأخيرا تأتي الجريمة الخامسة في هتك القانون الدولي وضرب الشرعية الدولية والقضاء على مصداقية مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة وغيرهما من الهيئات الدولية بعد أن تحولت هذه المنظمات بضغط من دول الغرب من هيئات لحماية السلام الى قلاع للتخطيط للعدوان والسكوت عليه.

إن هذه الوضعية العامة أدت الى خمس نتائج ستجعلها الشعوب العربية دروسا لمسيرتها في المستقبل القريب والمتوسط والبعيد.

النتيجة الأولى : هي أكذوبة الغرب المتحضر، إذ لم يظهر من غرب القيم الحضارية والحدثة وحقوق الإنسان سوى وجهه العدوانى الصليبي، وهو ما سيجعل دول الجنوب كله تدرك أكثر من أي وقت مضى خاصة الدول العربية الإسلامية أن مستقبلها رهين بما أسميه سياسة الاعتماد على الذات، النتيجة الثانية وهي ترتبط بما كشفه الغرب من عدوان وحقد ضد الحضارات الأخرى، وسيكون ذلك درسا للدول الإسلامية بأن تتمسك أكثر من ذي قبل بهويتها الحضارية الإسلامية، انطلاقا من الإسلام كنظرية تحررية ضد كل مظاهر الاستيلاء الثقافي واللغوي التي خلفها الإستعمار بكل ألوانه، النتيجة الثالثة : تظهر في انكشاف الانفصام الحاصل بين الحكام العرب وبين الشعوب العربية، حيث بدا واضحا أن طموحات الشعوب ونضالاتها ومشاعرها مغايرة لرغبات واختيارات ومصالح الأنظمة الحاكمة، وهو ما أوضح أن النضال من أجل الديمقراطية وإقرار حرية التعبير وحقوق الإنسان شرط أساسي لفعالية أي بلد، كما كشفت حرب الخليج في نفس الاتجاه عن تبعية وخنوع عدد من المثقفين الذين انكشف ولاؤهم للغرب إما بمساندة في حربه الصليبية ضد شعب العراق أو بصمتهم على ما يجري وتأتي النتيجة الرابعة كدرس للأمة العربية لتدرك أن التكنولوجيا والعلم وتحسين الذات بهما هما وحدهما السبيل لبناء المستقبل في غير حاجة إلى دول الشمال والغرب، وتبين أن التعاون بين دول الجنوب فيما بينها قادر على إلغاء علاقات الهيمنة القائمة على استغلال الشمال للجنوب كما هو الحال اليوم في عدد من القارات بأمريكا الجنوبية وإفريقيا وآسيا. وأخيرا تأتي النتيجة الخامسة واضحة في أن المستقبل العربي لا يمكنه أن يبقى على الحال الذي كان عليه خلال فترة ما قبل 2 غشت 1990، لأنه كما كان الغرب يخطط لقانون دولي جديد، حملت حرب الخليج معها حتمية التغيير المقبل في كل مظاهر النظر والعمل العربي سواء في علاقته مع نفسه أو مع الغرب.

وأذكر هنا معركة موكن بين روسيا واليابان التي انطلقت يوم 19 فبراير 1905، أي مثل هذا اليوم الذي أسجل لكم فيه هذا الرأي، أي 19 فبراير 1991 - حسب التوقيت المحلي - وانتهت يوم 10 مارس 1905 بعد أن سجلت انتصار اليابان على روسيا، وهي أول حرب انتهت فيها دولة غربية في التاريخ المعاصر. فهل سيعيد التاريخ نفسه؟ خاصة إذا وضعها في الحسبان الاعتبارات الطقسية والمناخية والتي تفيد ببداية رياح الشمال عند نهاية شهر فبراير بمنطقة الخلية والتي ستزامن جهة أخرى بدايات شهر رمضان المعظم.

(المقال مقتطف من عدد من الأحاديث التي أجرتها معه

بعض الإذاعات والتلفرات الأجنبية).

العلم 21 فبراير 1991

الخبر 21 فبراير 1991

البشروق (التونسية) 7-3-1991

الأبعاد العلمية والتكنولوجية (x)

يتناول الموضوع الأبعاد العلمية والتكنولوجية لحرب الخليج وتأثيرها على وضعية العالم العربي والعالم الثالث بصفة عامة، أي 80 ٪ من سكان الكرة الأرضية. أسباب هذه الحرب بسيطة جداً، ويمكن أن نعدد منها خمسة :

- 1 - عدم وجود مجتمع مدني في البلدان العربية بصفة خاصة وفي بلدان العالم الثالث بصفة عامة. وأعني بعدم وجود مجتمع مدني عدم احترام حقوق الإنسان، وعدم ممارسة الديمقراطية. وهي أشياء تؤدي ثمنها حاضراً وسنؤدي ثمنها مستقبلاً على الأقل لمدة خمس أو عشر سنوات.
- 2 - الجهل. إن نسبة الأمية في العالم العربي تفوق 56 ٪ من سكانه، وإذا سلمنا بأن هذه المنطقة العربية هي منطقة إسلامية، وأن أول آية نزلت في القرآن هي «اقرأ باسم ربك»، يمكننا أن نتساءل هل نحن نعيش حقاً في مجتمع إسلامي أم لا؟ وهل المسؤولون على الحكومات العربية هم فعلاً مسلمون؟ هؤلاء المسؤولون الذين يقررون الأولويات في ميدان التنمية.
- 3 - عدم وجود رؤيا موحدة، أي عدم وجود إجماع حول المجتمع الذي نريده مستقبلاً، والافتقار إلى هذه الرؤيا له علاقة بالسبب الأول، لأنه في غياب مجتمع مدني يمكن لكل فرد أن يعبر فيه عن طموحاته وأحلامه، فمن غير الممكن أن تكون هنالك رؤيا موحدة على الصعيد الوطني أو الإقليمي.
- 4 - بناء النموذج التنموي المعتمد في دول العالم الثالث خلال الثلاثين سنة الأخيرة وبالأخص في العالم العربي على التقليد الأعمى وعلى التبعية، وبالتالي على عدم الثقة في النفس وعدم الجدية.
- 5 - عدم وجود سياسات أو استراتيجيات علمية أو تكنولوجية. وعدم الاستثمار في البحث العلمي. إذن على ضوء هذه الأسباب يمكن للإنسان أن يفسر الوضعية الحالية التي يعيشها العالم العربي أو العالم الثالث بصفة عامة، هذه الوضعية التي يطبعها الضعف، وبالتالي فهي تفسح المجال على مصراعيه للدول الاستعمارية كي تتصرف كما يظن لها.

فيما يخص التنمية، هنالك وصف أطلقه السيد روني ماهو، مدير عام سابق في اليونيسكو، الذي كان لي شرف الاشتغال معه كنائب مدير عام، كان يقول عن التنمية : إنها تتحقق حين يصير العلم جزءاً من

الحضارة، أو بمعنى آخر تكون التنمية حين يكون للعلم مكان داخل القيم التي تسير المجتمع، وأظن أننا نسينا في بلداننا وفيما يخص التنمية، نسينا تماما أن نخصص للعلم والتكنولوجيا مكانتهما، خاصة وأن لنا حضارة، وأن لنا ديناً، وليس هناك أي كتاب منزل يتطرق إلى كلمة العلم مثل القرآن الذي لا يكفي بالإشارة إلى هذه الكلمة، بل يورد بشأنها تفاسير ومعاني لم نتوصل حتى الآن إلى فهمها. مما يستوجب قراءة جديدة للقرآن. ولما أقول قراءة جديدة للقرآن، لا أعني أركان الإسلام أو الأشياء المسلم بها في الدين والتي يفهمها كل مسلم، إنما أعني قراءة جديدة للقرآن لكونه جاء لكل مكان ولكل زمان ولكونه يساير أي تقدم علمي أو تكنولوجي ولا يتنافى معه، فكلما ازدادنا فهماً لآياته الكريمة كلما ازدادنا إماماً بالعلم وبالتكنولوجيا. هناك علماء مقتدرون، ومنهم محمد عبد السلام، كتبوا الكثير عن القرآن والعلم.

لذا فالتفتح شيء ضروري في الإسلام، وأعني التفتح الإيجابي، وحتى الاختلاف، ليس في الأركان والمسلمات، لكن الاختلاف الذي أعنيه هو سنة وفيه أجر، وبدون اختلاف ليس هناك تعددية، وليس هناك تقدم.

إن أول حقيقة تتعلق بالعلم والتي يجب فهمها أولاً، هي أن حقيقة اليوم ليست هي حقيقة الغد. هناك أشياء في القرآن هي للدوام، لكن هناك أشياء لا يمكن أن نتوقعها أو نقرأها في كل قرن بنفس الطريقة، فغير ممكن أن نقرأ القرآن، ونحن على وشك القرن الواحد والعشرين، مثل ما كان يقرأ في القرن السابع أو الثامن. لأن المعرفة الإنسانية الآن لم تبق هي المعرفة الإنسانية للقرون الماضية، وأكبر خطأ وقع في تاريخ الإسلام وجر إلى التدهور هو أن 95٪ ممن يسمون في بلداننا بعلماء الإسلام أو الذين يخطبون في المساجد يوم الجمعة هم جهلاء! لا أعني أنهم جاهلون بالدين، ولكن بما يدعو إليه الدين من الاجتهاد، ذلك أنه في القرن 11 قرر بعض الناس قفل باب الاجتهاد بدعوى أن الأشياء كلها واضحة وكل شيء واضح في القرآن وواضح في السنة وفي الأحكام التي صارت للمذاهب الشرعية، إن هذا في نظري هو أكبر غلط، لأنه لا يمكن فهم القرآن إلا بطريقة ديناميكية، وبمفهوم التغيير، فالقرآن جاء بالتغيير، والتغيير لا يهتم وقتاً معيناً محدوداً، لكنه تغيير مستمر، وفي نظري ليس هنالك مسلم يقبل أن قراءة القرآن اليوم هي قراءته غداً!

فلنعد قراءة هذا القرآن، ليس فيما يخص الأركان أو العبادات أو الأشياء المسلم بها في ديننا الحنيف، لكن في الأمور الخاصة بالتفتح، إن هناك جهلاء يجهلون جهلهم ولا يتركون الفرصة لأي أحد يريد أن يعري لهم جهلهم ويعطيهم البرهان على ذلك.

أعود إلى حرب الخليج فأقول إنه من بين الأمور التي استفدنا منها بالنسبة لكل فرد هي أهمية العلم، فكل فرد الآن، سواء كان رجلاً أو امرأة أو طفلاً، فهم أن هذه حرب من نوع جديد، وأنها تتمحور حول العلم

والتكنولوجيا. فحينما نسمع بصواريخ الحسين أو العباس، فهذا برهان على أن في العراق وجد اهتمام بالعلم.

في سنة 1976، عقد أول اجتماع للعلم والتكنولوجيا في العالم العربي، وقد نظمته اليونيسكو، وكان لي دور في تنظيمه، وأخذت المبادرة أثناءه مع بعض الزملاء من بلدان عربية أخرى، تتعلق بتوصية لإنشاء صندوق عربي للبحث العلمي باعتماد قدره 500 مليون دولار، وهو مبلغ يصرف الآن في ست أو سبع أو ثماني ساعات يوميا في حرب الخليج. وقمنا بدراسات، في إطار فرقة اشتغلت معها للقيام بدراسة للجدي، وتوصلنا الى توصية بإنشاء هذا الصندوق، وفي آخر لحظة تعطل هذا المشروع ولم ينشأ هذا الصندوق، لأن بعض الدول الخليجية، خاصة منها الكويت والسعودية رفضت أن يكون مركز هذا الصندوق الخاص بالبحث العلمي بالعراق، وقد تم ذلك بعد الاتصال بمجالس البحث العلمي الموجودة في كل البلدان العربية تقريبا، وهناك اتحاد لهذه المجالس العربية كان مقره موجودا بالعراق. وفي تلك الأثناء - أي في سنوات 1978-1979-1980-1981 كانت العراق تصرف 2٪ من مدخولها القومي في البحث العلمي، وبقية الدول العربية كلها بما فيها الدول الخليجية التي كانت لها إمكانيات كبيرة لم تكن تصرف حتى 0,3٪ في هذا الميدان.

إن أول ما يلفت الاهتمام هو أن البلد العراقي فهم قيمة العلم وأنفق في ميدان العلم ليس بالطريقة التي تنفق بها بقية دول العالم العربي أو دول العالم الثالث. يمكن أن نقول بأن العراق اتبعت الطريقة الهندية أو طريقة البرازيل أو حتى المكسيك، وهي طريقة مبنية على الاعتماد على النفس، وسنتكلم فيما بعد عن مشكل نقل التكنولوجيا، لأن الطريقة العراقية كانت ذاتية ومبنية على الكفاءات الوطنية وعلى مجهود داخلي. حرب الخليج هامة أكدت ما قلته يوم 27 سبتمبر 1990 - أي أسابيع وشهور قبل اندلاع الحرب - على أمواج الإذاعة الدولية الفرنسية من أن الحرب ستقع، وأعطيت من بين الأسباب أن الولايات المتحدة الأمريكية ومن يدور في فلكها، بمن فيهم إسرائيل وانكلترا وفرنسا، أنفقت الكثير في الميدان العسكري وأصبحت لديهم عدة أسلحة جديدة متطورة يجب أن يختبروها، وبما أنه كان هناك نزاع ما بين الاتجاد السوفيياتي والولايات المتحدة، فقد كانت هذه الأخيرة تخشى إذا ما قامت بتجربة هذه الأسلحة أن يكتشف الاتحاد السوفيياتي بعض هذه الأسرار بفضل الطرق العلمية الموجودة الآن. لكن لما انتهت الحرب الباردة فتح المجال أمام أمريكا وأصبح بإمكانها أن تجرب تلك الأسلحة، إلا أنها لكي تجربها هي في حاجة الى مختبر، والخليج كان هو هذا المختبر!

نحن هنا بصدد الكلام عن حرب علمية تكنولوجية. في دراسة صدرت بمجلة طاميز مغازين قدر

مستوى إصابة الهدف فيما يخص الأسلحة المتطورة المستعملة خلال الحروب المعاصرة، قدر مستوى الضبط في إصابة الأهداف بالصواريخ وما شابه ذلك من أسلحة متطورة بما لا يتعدى 30٪ يعني حينما تطلق الصواريخ أو القنابل من الطائرات المتحكم فيها بأشعة الليزر أو بغير ذلك، يصيب الثلث منها فقط هدفه، أي أن 70٪ المتبقية كلها تذهب سدى. لكن يقال بأنه خلال الحرب العالمية الثانية كان تحقيق الأهداف بنسبة 3٪، إذن هناك تقدم بمستوى 10 مرات أكثر. لكن يجب أن لا ننسى أن جل هذه الأسلحة تستعمل للمرة الأولى والمقصود منها هو دراسة نتائجها. والدول التي تختبر هذه الأمور هي الولايات المتحدة وإسرائيل التي لها مشاريع كبرى في البحث العلمي. من جهة أخرى يجب أن نعرف العلاقة الموجودة ما بين العلم والتكنولوجيا والحرب ووسائل التخريب والتهديم، وهي أمور لها علاقة بالحضارة الغربية وبالقيم الغربية. هناك أكثر من 200 مليون شخص يشتغلون في الصناعة الحربية و60٪ من بين هؤلاء من الجالية العلمية العالمية، يعني أنه في الغرب إذا وجدت ثلاثة علماء، فكن على يقين بأن اثنين منهم يشتغلون في ميدان التخريب، لأنها هي الوسيلة التي يمول بها البحث العلمي في أكبر الكليات. إن مؤسسات كالمعهد التكنولوجي «بماشاسوسيتش» أو «هارفارد» أو «كاليفورنيا» أو غيرها من المعاهد لها اتفاقيات مع وزارة الدفاع الأميركي ومع وزارة الأبحاث العلمية. طبعا البعض منها في البيولوجيا والبعض الآخر في الفيزياء والبعض الآخر في الميكانيك... لكن جزءا منها خاص بالأبحاث العلمية. ولا ننسى كذلك أن 40٪ من الإنتاج الصناعي في الولايات المتحدة هو في الميدان العسكري. إذن حين ننظر من الناحية الاقتصادية ونرى أن 200 مليون من الناس يشتغلون في هذا الميدان : أكثر من 60٪ من العلماء، يعني الجزء الأكبر من البحث العلمي، فهذه الأسلحة، التي يبذل بشأنها هذا المجهود الجبار، يجب أن تجرب، ويجب أن تباع، وإذا بيعت يجب أن تحطم لكي تباع من جديد فيما يخصنا نحن، إذا أخذنا دول الخليج أي السعودية والكويت والإمارات وقطر والبحرين وعمان فقط، نجد أن هذه البلدان صرفت ما يناهز 150 الى 200 مليار دولار في شراء الأسلحة خلال العشر سنوات الماضية. وقد دفعت في شراء هذه الأسلحة ثمنا مضاعفا وليس ثمنا حقيقيا، والمهم الذي يلاحظ أن هذه الدول لما اشترت هذه الأسلحة لم تقم بأي بحث علمي خاص بتحسينها، أو بالتعامل والتفاهم معها من الناحية التكنولوجية، بل اشترت هذه الأسلحة كبضائع دون تفهم لقيمتها أو خباياها. وهذه المبالغ التي تدفعها الدول المذكورة (من 150 الى 200 مليار دولار) تذهب منها على الأقل 25٪ فأكثر، كتمويل للبحث العلمي في الولايات المتحدة والدول الغربية من طرف دول العالم الثالث.

ففي كل عشر دولارات مما تدفعه دول العالم الثالث في الأسلحة، هناك ثلاثة دولارات تذهب مباشرة لتشجيع البحث العلمي في البلدان الغربية، وكما تعلمون منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حصل ما يقرب

من 250 نزاعاً مسلحاً في العالم، كلها وقعت بالعالم الثالث وكل الأسلحة التي استخدمت فيها من الغرب. ومع ذلك يستمر نفس السيناريو أي أن هذه الدول تشتري الأسلحة لتستغلها في قتل بعضها البعض أو تستغلها لأهداف أمنية داخل بلدانها، ولم نر قط أسلحة اشتراها العالم الثالث واستعملت ضد الغرب باستثناء حرب كوريا وحرب فيتنام، وطبعاً الآن في العراق.

إن المقصود من تحطيم العراق هو أن هذا البلد له نموذج تنموي وأعطى أولوية للبحث العلمي والتكنولوجيا، وهذا غير مقبول من قبل الدول القوية، فالقوى الكبرى لا تسمح، وبالأخص في منطقة الشرق الأوسط لأي دولة كيفما كانت أن تسيطر على العلم والتكنولوجيا مثل ما عملت إسرائيل، لأن ذلك يشكل خطراً في نظرهم على الأمن في المنطقة وبالتالي خطراً على بقاء إسرائيل.

هذه المعطيات المتعلقة بعلاقة العلم والتكنولوجيا، وتجدر الإشارة إلى أنه يجب أن نكون متفائلين على الأقل في المدى المتوسط، لأن هنالك تقدماً كبيراً في العالم العربي، فحسبما قمت به من إحصائيات خلال العشر سنوات الماضية، نشر ما بين 30 ألف أو 40 ألف صفحة في ميدان البحث العلمي المحض من طرف أشخاص عرب البلدان العربية. لكن من يقرأها ومن يعيرها ما تستحق من اهتمام؟ فهذه الأبحاث العلمية كل صفحة منها تستوجب أن يصرف في تطبيق ما كتب فيها، على الأقل ما بين 50 و 100 ألف دولار من قبل الدول في هذه المنطقة لكن، ويا للأسف، لنا ما ننفقه على الحفلات بسخاء، ولنا الأموال التي تصرف في أغراض ثانوية، وليست لنا أموال ننفقه في ميدان العلم والتكنولوجيا داخل بلداننا.

كتب أنطوان زحلان، وهو خبير عربي، عن العلم والتكنولوجيا في العالم العربي وقدر أن هناك على الأقل 500 ألف من المهندسين في البلدان العربية، بينما هنالك أكثر من 250 ألف مهندس عربي يشتغلون خارج العالم العربي. إذا ما أخذنا هذه النسبة وهي 750 ألف مهندس عربي، نجدها تفوق نسبة عدد المهندسين في فرنسا أو في ألمانيا. ولكن من كل ثلاثة مهندسين هنالك واحد يشتغل في الخارج ليس لأسباب مادية فقط أو لطمع، لكن لأنه لا يجد الوسائل الكافية لممارسة عمله أو بحثه العلمي، أو لم يجد المناخ الملائم للقيام بعمله. لأن العالم أو الباحث لا يمكن أن يقوم بعمله إذا لم يجد الحرية لكل مقوماتها، من حرية التعبير إلى التعددية والاختلاف مع الآخر في الرأي وإمكانية نشر أي شيء دون خوف من أن يجد الإنسان نفسه في السجن بسبب أنه قال كلمة لا تتماشى مع كذا، أو لا تعجب هذا، أو فيها مس كذا، إن وضعاً لا تسوده حرية البحث والتعبير يشكل عائقاً وعرقلة للبحث العلمي. لهذه الأسباب نفهم لماذا هذا العدد من المهندسين العرب يوجدون بالخارج.

بالنسبة للمغرب، إذا ما أخذنا المركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا الذي يقوم بإعداد تقارير سنوية

تضم جميع الإحصائيات، نلاحظ أن أكثر من 700 شخص مغاربة من الجنسين لهم مستوى الدكتوراه وأكثر يشتغلون في هذا المركز في إطار البحث العلمي. وإذا ما لاحظنا أن كل واحد من هؤلاء صرف عليه من الميزانية المغربية أكثر من 100 ألف دولار، يمكن القول عندما نتكلم عن المساعدة الفنية، من يساعد من؟ فرنسا ترسل لنا خبراء من الدرجة الثالثة أو الرابعة، والنصف من هؤلاء يشتغلون لصالح المخابرات، ونحن نعطيهم أكبر خبرة عندنا، إنن فمن يساعد من؟

هذه إنن نقطة لها علاقة بحرب الخليج، خاصة وهذا وقت للتأمل والتبصر لتفهم المشاكل، خاصة بالنسبة للشباب الذين هم جيل الغد.

كنت في القاهرة يوما ما وأخذت سيارة أجرة للمطار في الساعة السابعة صباحا، فلاحظت أن سائق الطاكسي يبكي، ولم أكن أفهم السبب، وكان ذلك الصباح هو الذي وقع فيه أنور السادات على اتفاقية كامب ديفد، وغادرت القاهرة وواعدت نفسي ألا أرجع إليها حتى يطاح بالسادات، وراح السادات ورجعت الى القاهرة مرارا أقول انعقدت مؤخرا في القاهرة ندوة عن العلم والتكنولوجيا، نشرت مؤخرا في المستقبل العربي عدد 143 شهر يناير 1991 الصفحة 116، تقول هذه الندوة أنه علينا أن نتذكر أن 85% من البحث العلمي بمصر ممول من أربع هيئات أجنبية. انظروا الفرق بين مصر والعراق! البحث في مصر 85% منه ممول من الخارج، وحتى من الخارج هناك أربع هيئات ثلاثة منهم مؤسسات أمريكية معروفة. ويدخلني الشك بشأن دوافع هذا الإنفاق الأجنبي على البحث العلمي بمصر؟ فما سبب هذه المحبة وهذا السخاء؟ الشيء الذي لا يأخذني فيه الشك هو أن الباحثين في مصر يخدمون أجهزة المخابرات الأجنبية! يمكننا أن نقول لهم : مرحبا بكم، لو كانوا في خدمة المخابرات المصرية. أقول ذلك لأن مصر تهمنا جميعا وهذا موضوع استراتيجي، وقد أذهب الى حد القول بأنني أفضل أن لا يكون لدينا بحث علمي مادامت أجهزة دولنا لا تعطي الأسبقية والمصداقية له. ونفس المشاكل عندنا في المغرب وتونس والجزائر. إن البحث العلمي كله يعتمد على المساعدات الثنائية والدولية. هنالك مؤسسات، مثل معهد الحسن الثاني للزراعة، تمول فيها الأبحاث من قبل كندا وبلجيكا وغيرهما. وكذلك الشأن بالنسبة لكلية علوم التربية فهي تعتمد على كندا وفرنسا وبلجيكا الخ، فمن الأفضل أن لا يكون بحث علمي، لنرسل خبراءنا الى الخارج ليتكفروا، فمادام البحث العلمي لا تعطيه حكوماتنا الأولوية الكافية، فإننا نلاحظ أنهم بتمويلهم لنا يعطونا 10 دولار، وتعود عليهم ب 200 الى 300 دولار. زيادة على أنه وسيلة للاطلاع على أسرارنا، لفهم طبيعة الخبراء في بلداننا ورصد من سيكون لهم مستقبل لاستدراجهم الى التجارة، وسرقتهم بطريقة بسيطة. فالمسألة إنن لا تتعلق بأهمية البحث العلمي فحسب، بل بطريقة تمويله.

فإذا ما راجعنا تاريخ العلم والتكنولوجيا في العراق، وهذا شيء تتبعته منذ البداية وباهتمام، يمكن أن نقول أن أكثر من 90٪ من كل ما انفق على البحث العلمي والتكنولوجي في العراق جاء من ميزانية الدولة، ولكن في بقية العالم العربي ممول بمساعدة من الخارج، وكذلك الشأن فيما يتعلق بالجزائر وفي تونس، وفي مصر.

إنّ يجب أن نكون على وعي بما يجري، وأن نستنتج من حرب الخليج أشياء للأجيال القادمة، ونركز على إعطاء الأولوية للبحث العلمي.

هناك قطاع لازلت أحاربه منذ عشرين سنة، كالاقتصادي، نظرا للأولوية التي تعطى له، وهو قطاع السياحة، إن هذه الأولوية هي غلط فاحش، من الناحية الاقتصادية، لأنه ناتج عن نموذج اقتصادي تنموي مبني على الخارج. فلماذا نبني الفنادق من فئة خمسة نجوم، بينما هنالك حاجيات أكبر وأهم. إن السياحة هي قطاع يتميز بالتغيير حسب الظروف النفسانية، فإذا سمع السائح الأجنبي بأن هناك إصابة بالكوليرا على بعد 500 كلم من المغرب فإنه لن يأتي الى المغرب. فعوضا عن ذلك ينبغي أن نبني فنادق من فئة 2 نجوم أو 3 تكون في متناول المواطنين، أو نعتمد سياحة مبنية على التعاون مع دولة مثلنا، فالحمد لله إذن على أن السياحة الآن في أزمة، ومن شأن ذلك أن يجعلنا نستخرج العبرة كي نخطط بشكل أفضل مستقبلا، ونركز على سياحة داخلية تكون ذات جدوى.

الكل يفهم الآن أن قطاع السياحة هو ميدان للرشوى والفساد بجميع أشكاله، فمن يستغل هذا القطاع لوحده؟ هناك فئة من الناس قليلة العدد يمارسون أبشع أنواع الاستغلال، فمنهم مسؤولون حكوميون وفي مؤسسات كبرى استغلوا نفوذهم، والأخطر من الرشوة التي تطبع هذا القطاع تشكل السياحة ميدانا للتلوث الفكري والخلقي...

هناك نقطة أخرى لها علاقة بالعلم والتكنولوجيا والأخلاق. إن العلم والتكنولوجيا في الحضارة الغربية مبنيان على المادة دون أي اهتمام بالجانب الإنساني أو الأخلاقي. ويبدو التركيز واضحا على ما يسمى بالتنمية الصناعية الوحشية، مما نتج عنه تلوث ليس فقط التلوث البيئي، وإنما التلوث الحضاري فيما يخص القيم، فقد أعطيت الأولوية للمادة على حساب القيم، وصارت هذه المادة هي التي تتحكم في العلم وفي المجتمع وفي التكنولوجيا.

في هذا الصدد نذكر علماء كبار ومنهم أنشتاين الذي حارب من طرف اليهود لأنه لم يكن صهيونيا، وقد كان افتخاري كبيرا بجائزة أنشتاين التي نلتها، وذلك لسبب واحد هو أنني أعرف دور أنشتاين في العلم. وأنكر أن هذا العالم الكبير قد أنشأ مع جماعة من العلماء، ومنهم برتراند راسل وآخرون، أنشأوا حركة

(باكواس) على إثر إرسال القنبلة الذرية على هيروشيما، وقد اشتغلت مع هذه الحركة سنين، وهي ذات هدف علمي وأخلاقي، كما اهتمت بالعلم والسياسة، والعلم والمجتمع.

حقيقة إن هنالك منافع مادية على المستوى المدني في الغرب، لكن كنا نعرف من خلال استقراء لتاريخ العلم والتكنولوجيا أن التقدم الحاصل في الميدان الطبي أو الإعلامي أو في جميع الميادين نتج في جزء كبير منه عن الصناعات الحربية والعسكرية. فالأقمار الصناعية التي تدور في الفلك 80٪ منها كلها للتجسس. إذن كلها عسكرية، لكن بعض نتائج التكنولوجيات العسكرية ترجع من بعد إلى الميدان المدني مثل الإعلاميات والبيوتكنولوجيا ومثل ما يسمى بالمواد الجديدة التي تستعمل في الفضاء.

إذن هناك علاقة مباشرة متينة بين العلم والتكنولوجيا من جهة، والتحطيم والتخريب من جهة أخرى، إلى حد أن بعض الناس بدأوا يتساءلون عن أهداف هذا التطور العلمي التكنولوجي. إن ما نراه في الخليج، ويقطع النظر عن التحليلات السياسية والايدولوجية والعسكرية والدينية هو برهان قاطع يقدمه الغرب عما وصل إليه من همجية علمية تكنوقراطية، والتي لا أتردد في تسميتها بالوحشية التكنولوجية، خاصة في وقت يشهد فيه تحولات عظيمة في ميدان المعرفة.

وخير مثال أعطيه في هذا الصدد، أي على مستوى المعرفة، هو عندما نتكلم الآن عن الوجه غير المادي للاقتصاد، أو ما نسميه باللامادية الاقتصادية، قد يبدو لأول وهلة أن هناك تناقضا، إلا أن هناك حقيقة نلاحظها هي أن الاقتصاد الآن هو أقل مادية مما كان عليه من قبل. فماذا نعني بذلك؟ لنأخذ مثلا حاسوبا صغيرا من فئة 128 فقبل 25 أو 20 سنة لم تكن قاعة مثل هذه تتسع لمثل هذا الحاسوب، وقبل أربعين سنة فإن أول حاسوب استخدمه المعهد التكنولوجي بماساشوسيتش يشغل قاعة تكبر ثلاث مرات فصلا دراسيا وذاكرته أكبر بكثير من ذاكرة الحاسوب الموجود الآن.

ما أعنيه من أن الاقتصاد صار أقل مادية الآن، هو أن المواد المستعملة الآن هي أقل بكثير مما كانت تستعمل من قبل بالنسبة للآلات. فالمواد الموجودة في هذه القاعة من خشب وأشياء أخرى كانت تكلف كثيرا من المواد في صنعها. أما اليوم فهناك مواد جديدة تصنع في المختبرات ولكنها مركبة ولا تحتاج إلى مواد منجمية. مواد أسهل وأرخص تكلفة من تلك التي نستخرجها من المناجم. وأعطيك مثلا بالنحاس، ففي ميدان التلفون قبل عشر أو 15 سنة كنا نحتاج لـ 10000 مكالمات لأطنان من النحاس تستعمل في صنع أسلاك التلفون، أما الآن فعوض العشرات الآلاف من الأطنان نكتفي بكيلوميتري من النسيج البصري فقط. وعوض أن نذهب إلى (روديسيا) أو (زيمبابوي) أو (زاير) ونبحث عن النحاس ونصنعه فإن النسيج البصري الآن يصنع داخل مختبر وبسهولة.

ومن هنا يمكننا القول ان المواد الباطنية المستخرجة من تحت الأرض لا مستقبل لها، وقد قلت هذا قبل سنة 1981 بالامارات في أبو ضبي، ونشر قولي في جريدة الاتحاد، وقد واخذوني كثيرا على قولي بأن الدول التي تملك المواد الطبيعية قد سخط الله عليها حين أعطاها ذلك، ونلاحظ في هذا الصدد بأن ولاية تكساس بالولايات المتحدة الامريكية، التي تتوفر على أكبر الموارد الطبيعية هي مصدر الداء والسوء. وبوش وببكر ينتميان الى هذه الولاية، أي ولاية تكساس، وكلاهما اشتغل في ميدان النفط، وبوش كان يملك شركة نفط.

إن الاهتمام بالمواد الطبيعية مهم الى حد ما، لكن الاهتمام بالعلم والمعرفة هو الأساس، وما ينتجه العقل هو أهم بكثير مما تعطيه المادة. إن الفرق بين هذا الحاسوب والحاسوب القديم ليس السرف فيه هو المادة، بل هو الابتكار والاختراع وما ينتج عن العقل، لأن التطور الحاصل في الاقتصاد، وهو ميدان مادي، صار أقل مادية.

هناك شيء جديد في ميدان العلم وهو مهم جدا. ظهر منذ سنتين أو ثلاثة، وهو أن الأشياء غير المادية يتبين أن لها علاقة بالمادة، بالمفهوم العلمي للمادة، وهو أمر يصعب تفسيره من الناحية العلمية والفلسفية الميتافيزيقية. لكن يكفي أن أقول بأن الجديد في ميدان الفيزياء أو ما يسمى بفيزياء الجزيئات قد أنهى مرحلة الفيزياء الميكانيكية كنظرية نيوتن وغير ذلك من النظريات التي تعتمد في تفسير الكون على النظرية الميكانيكية، أي أن الكرة الأرضية والكون مثل آلة تعمل بنظام قار الخ. كل هذا قد انتهى، فلا يمكن بتاتا أن نبحث علميا في الميادين المتقدمة جدا، مثل الفيزياء النووية أو ما شابه ذلك إذا لم يتغلب الانسان على الفكرة القائلة بأن هنالك عالم المادة وعالم غير المادة، فهذا الفرق انتهى.

ومن الناحية الفلسفية تعتبر هذه ثورة عظيمة لا تدرك حتى الآن ما هي نتائجها في المستقبل. إن الجهاد الحقيقي في الاسلام هو أولا وقبل كل شيء جهاد المسلم مع نفسه، مع عقيدته، مع أخلاقه ومع نفسه قبل معاملته مع الناس.

إن المظاهرات والأناشيد، والشارع هي أشياء كلها معمولة في أوقات معينة لأنها رمزية، لكن الممارسة الحقيقية لمواجهة التحديات هو الجد والبحث والعلم والتكنولوجيا، وكلامي هذا لا علاقة له بحرب الخليج. منذ سنة 1974، وأنا ضد نقل التكنولوجيا، فالتكنولوجيا لن تنقل لأنه شيء غير ممكن، ممكن أن أذهب وأشتري أشياء أو آلات تباع في الأسواق أو في الدكاكين، لكن كوني اشتريت آلة هل هذا كاف في حد ذاته؟ إذا لم يكن في إمكاني فهم ماهية هذه الآلة، أو في استطاعتي أن أفككها أطرافا ثم أركبها بطريقة ملائمة لما أريده منها، أو أزيد فيها أمورا أخرى أو أنقص منها، حسب الطريقة التي تتماشى مع حضارتي وظروفي.

هذا هو ما لم نفهمه بعد.

إن شراء آلة أو مصنع بطريقة المفتاح في اليد هو أمر خطئ، وبالتالي فإن نقل التكنولوجيا هو أمر غلط.

فاليابان التي يقال عنها - خطأ - بأنها كانت تقلد، فهبت التكنولوجيا وتزيد عليها أشياء لها علاقة بحضارتها وبقيمها وبذوقها وحتى بالألوان التي تحبها. يعني تكييف التكنولوجيا مع المناخ الحضاري والثقافي الخاص بها.

وفي اعتقادي أنه لا يوجد مجال للرشوة مثل مجال التكنولوجيا، لأنه حينما نقوم بنقل حاسوب أو آلة ما بتعاون مع الخارج أو بقرض أو بكذا، فهذه ميادين خصبة لعملية الارتشاء. ويمكن الأمر كذلك في المساعدة الفنية سواء أكانت هذه المساعدة من البنك الدولي أو غيره، فهو مفهوم يختلف تقديري له عما يفهمه كثير من الناس، وتقديري هذا ليس خاصاً بي لوحدي، فقد جاء هذا التقرير في مجلة أمريكية في شهر أبريل عام 1988، وهو أن ما يقرب من 40% من كل ما يسمى بالمساعدة الفنية، أو بالتعاون الدولي سواء أكان هذا التعاون ثنائياً أو عن طريق المنظمات الدولية، يرجع إلى حسابات خاصة لبعض المسؤولين في العالم الثالث مفتوحة لهم بالبنك الغربية.

وفي مقال افتتاحي لمجلة نيوبيرك تايمز قبل سنتين، أن من كل 1000 دولار يقرضها البنك الدولي لدول العالم الثالث، 780 منها ترجع إلى الولايات المتحدة بطريقة من الطرق.

إن نقل التكنولوجيا هو مفهوم غلط، ولهذا يلزم أن نعتمد على أنفسنا. فكيف نقاوم هذه المسائل، وهي التحديات التي يجب أن يقوم بها كل شخص ممن يسمون بالمتقنين أو أصحاب العلم؟ الحل بسيط: أولاً : الجدية؛ هذه الجدية التي يجب أن يتحلى بها كل شخص مع نفسه أولاً. فإذا ما كان الإنسان جدياً وله أهداف شريفة، وله مقاصد بالمفهوم الإسلامي، فإنه ولا شك سيصل إلى هذه الأهداف. فإذا كان الطالب الجالس على الكرسي من أجل أن ينجح في الامتحان، وبعد ذلك يحصل على منصب، ثم يرقى من سلم إلى سلم، أو ليتمكن أن يحصل على سلف، أو ليتمكن أن يغير سيارته الصغيرة بسيارة أجمل منها.. فإذا كانت هذه هي المحركات والحوافز الحقيقية، فمن الأفضل أن يبقى في بيته ولا يشغل محلاً في دار للعلم والمعرفة. حقيقة إن هذه حاجيات لا بد منها، وأن كل إنسان يسعى إلى تحقيقها، وبالتالي أن يكون في وضعية لائقة، لكن هناك محركات أساسية يجب أن يتوخاها الإنسان، وهي أعمق وأهم من هذه الأشياء البسيطة. فالإنسان يجب أن يضم داخل نفسه محركاً أساسياً، بحيث حينما يقرأ كتاباً، يعرف لماذا يقرأ

لست كالآخرين»، أي أنه يرفع من شأنني ويطيح بشأن خمسة عشر مليون من الناس.

المسؤولية الثالثة التي تقع على كاهل المثقف هي الحرية، ويمكنني أن أقول بأن 95٪ من أسباب عدم وجود حرية في بلدان العالم الثالث ليست مسؤولية الحكومات، أقول ذلك وأنا واع بما أقول، إن 95٪ من أسباب عدم وجود الحرية في هذه البلدان ناتج عن رقابة ذاتية وهو شيء غير مسموح به، بل هو حرام، إن الفرد في هذه المجتمعات هو أسير نفسه، يخاف، وعوض أن يقول ١٠ كلمات يكفي بقول ثلاثة منها مفضلاً الاحتفاظ بسبعة في نفسه، ومادام يعرفها هو فلا داعي أن يقولها! وهذا غلط المثقفين والمسؤولين، فبعض هؤلاء يطبقون على أنفسهم رقابة، فكم من مرة يقال لشخص حينما يتكلم بصدق : والله أنا متفق معك تماماً فيما تقول، إلا أنني لا أستطيع أن أقول ذلك، بينما أنت تستطيع قول ذلك! فما الفرق بيني وبينك، وماذا أعطاني الله ولم يعطه لك، حتى أستطيع أنا أن أقول ولا تستطيع أنت قوله...

يكفي أن تتحمل مسؤوليتك وتكون مستعداً لتؤدي الثمن على كلامك بكل ما تحمله الكلمة من معنى! هذا هو الفرق، لكن نجد أن 95٪ من المسؤولين الذين تقع عليهم مسؤولية التغيير، ومسؤولية النهي عن المنكر يطبقون على أنفسهم مثل هذه الرقابة، لماذا؟ لأنهم ينشدون الهناء وليسوا في حاجة إلى مشاكل، ولكي يحافظوا على الامتيازات والترقيات، ومخافة أن يفقدوا ذلك، فهم يفضلون الصمت.

للمثقف دور رابع وهو أساسي : لنطرح السؤال : ما هي بلاد متخلفة؟ البلاد المتخلفة هي التي تفتقر إلى عنصر أساسي، ألا وهو وجود مجتمع مدني، هي التي توجد فيها فجوة ما بين الشعب وأصحاب القرار. في البلاد المتخلفة رجل الشارع يفكر بشكل مخالف لما يفكر به من يتخذ القرار في بلده. دور المثقف إذن هو أن يحاول التقليل من هذه الفجوة، وذلك بمحاولة الرفع من مستوى تفكير رجل الشارع من جهة، ومن جهة أخرى يقوم بنقد بناء يواجه به المسؤولين ، وفي ذلك نهى عن المنكر وأمر بالمعروف كما جاء في الاسلام.

وقد يغلط هذا المثقف، والكمال لله، إلا أنه مادامت هناك جدية، وما دام هنالك إيمان واجتهاد، فالأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى. فهذه الفجوة لا بد من أن تتقلص، ولا يمكن أن تتقلص لوحدها، وهذا دور المثقف، أما إذا اختار المثقف أن يقف في صف المسؤولين ويصبح جزءاً من أولئك الذين يأخذون القرار، فمن ثم يصير متخلياً عن دوره.

هناك دور خامس يتعلق بالقيم، وقد قلت ما فيه الكفاية حول هذه النقطة، إذن لن أعود إلى ذلك. سادساً، هناك شيء أساسي في عملية التطور، وضروري لمواجهة التحديات، وعلى الخصوص ما نراه في الخليج اليوم، وهو افتقارنا إلى ذاكرة جماعية، وهذا سبب أساسي في ضعفنا.

موقفه، وقد استفدنا من حرب الخليج على إثر ما يكتب في الغرب، وكل واحد يسجل عليه ما قال وما كتب، وعدد من هؤلاء يقولون لنا بكل وضوح: لم تبق لنا علاقة معكم! عندما يكتب شخص مثل جيل مارتيني، سفير فرنسا، وكان رئيس وكالة فرانس بريس ظاهراً ظاهراً خلال الحرب العالمية الثانية، وقد لعب دوراً حضارياً وثقافياً في تحرير الجزائر، وقد قضى سنين ككاتب للحزب الاشتراكي، عندما يكتب هذا الشخص وبكل وضوح بجريدة لوموند «فقيدنا المغارب» فماذا نلاحظ إذن؟

وقد يقال لنا : أنتم عندكم سياسة عربية، ونحن عندنا البحر الأبيض المتوسط، ومعنا إيطاليا وإسبانيا، فمن يريد أن ينضم إلينا فمرحبا به.

هؤلاء الناس قالوا لنا بصراحة بأنهم لا يريدون التعامل معنا أو على الأقل في الإبقاء على علاقات حسنة.

نحن دول التسامح ودول الحب ودول الانسانية، ولنا قيمنا، لكن يجب أن نحافظ على كرامة الانسان، فلا يجب أن نعاقب من يكرهنا.

هناك نقطة أخرى أظن أنها دفنت وأتمنى أن لا أسمعها بعد الآن، وهي فكرة الفرنكوفونية التي أبانت عما هي الطموحات الحقيقية لها، وهي الآن ضائعة في قبرها، لكن رأسها مازال ظاهراً. اخترع شيء آخر وهو ما سمي بالتنمية الجماعية ومفادها إيجاد وسائل مشتركة لتنميتي أنا وتنميتك أنت، وهي في الحقيقة تعني تنويعنا نحن وتنميتهم هم.

هذه كلها أفكار يجب أن نأخذ منها الحيلة والحذر، ولا أريد أن يفهم من كلامي هذا أنني أقصد الانكماش، لا، فأنا أؤمن بالحوار البناء، وأتجاوز معهم في بلدانهم، وما يشجعني في ذلك هو أنني ألاحظ أن هناك إنسانية في ميدان العلم، لا زال هناك علماء بغض النظر عن جوازات سفرهم أو دينهم أو لونهم، لا زالوا يتعاطفون معنا، ونجد عندهم الآذان الصاغية، وهو ما أعيشه يوميا سواء في طوكيو أو تمبوكتو أو هلسنكي، مع هؤلاء الناس يشعر الانسان أن البشر يحترم مثيله البشر حين يواجه بالحقيقة، فيتعامل معه آنذاك على أساس الوضوح والحقيقة.

لكن حينما تريد مجاملته وتقول له: أريد أن أكون جزءا منك، أريد عطفك، حينما ترى مسؤولين كبار يقولون لنا : من حيث سياسة التصنيع، ان أوروبا تحارب الآن التلوث، وهناك بعض الصناعات تهمكم أنتم مثل الصناعات الكيماوية وغيرها، فيما أنه ليست لنا مشاكل بيئية مثل التي يعيشونها، نقول لهم : أعطونا صناعاتكم الملوثة لتلوث بها نحن.

حينما نسمع الآن الضجة المثارة حول التكوين المهني ونسمعهم يقولون بأن مستقبلهم قادم، سيكون هناك توزيع في الصناعات لأن فرنسا تشهد أزمة ديموغرافية، وليست لها يد عاملة كافية! ماذا ستفعل إذن؟ ستقوم بنقل معاملها ذات الانتاجية الصغيرة، والتي تحتاج الى يد عاملة منخفضة الثمن، وترسلها لنا وسنقبلها، وسنبقي على تخلفنا في صناعات القرن 19 وبداية القرن العشرين. كل هذا يقع نتيجة الافتقار الى الثقة في النفس.

محاضرة أقيمت بالمدرسة الوطنية للصناعة المعدنية بالرباط

يوم 19 فبراير 1991



أول حرب عالمية حقيقية (*)

س : الأستاذ مهدي المنجرة، سبق وأن قلت بأن هذه الحرب هي الحرب العالمية الأولى والفعلية... هل يمكن أن تشرح لنا ذلك؟

ج : نعم هي حرب عالمية أولى، لأن الحروب السابقة مثل حرب 14-1917، وحرب 39-1945 كانت في الواقع حروبا غربية، لكن الحرب التي بدأت يوم 17 يناير 1991 هي في الحقيقة أولى حرب عالمية، لأن أهدافها ليست اقتصادية وسياسية وعسكرية، بل هي أهداف حضارية.

س : الأستاذ المنجرة ، العراق هو منبع الحضارة الانسانية، ما هو تقييمك لهذه الحضارة أولا، وما دمر منها اليوم ثانيا؟

ج : المنطقة التي يقع فيها العراق لها تاريخ في الحضارة الانسامية يمتد إلى أكثر من 6000 سنة، منها حضارة سومر، وبابل، وأشور... وغيرها، ولكن هذا التدمير من طرف الدول العربية، أوقع للأسف مساسا بالمتحف الوطني ببغداد الذي هو جوهرة بالنسبة للذاكرة الحضارية للإنسانية ككل. وهناك حفريات مثل تلك التي في سامراء وحضرة والرافدين... على ما يظهر أن عدة قتابل سقطت فيها، وطبعاً ليس لنا المعلومات الكافية عما يحصل حتى الآن. ولكن المؤلم أن هيئة اليونسكو، بالرغم من أنني كتبت للمدير العام يوم 23 يناير ونبهته لما يحدث، وقد نشرت هذه الرسالة في الكثير من الصحف العالمية، وكانت حولها ردود فعل إيجابية حتى في الغرب من طرف الاختصاصيين، ولكن اليونسكو لم تحرك ساكناً.

س : طيب، الأستاذ المنجرة، معظم هذه الآثار دمرت، فلماذا هيئة اليونسكو لم تطبق المعاهدات الدولية المتعلقة بحماية الملكيات الثقافية الانسانية؟

ج : لم تطبقها. فمعاهدة لاهاي لعام ٥٤ التي تعطي لهيئة اليونسكو ولمديرها مسؤولية خاصة، وإن كنت قد طلبت منه تطبيق البند ٢٧ منها بشكل خاص، والذي يسمح للمدير العام بالإتفاق مع المجلس التنفيذي لليونسكو أن يعقد اجتماعا للبلدان التي يهمها الأمر، خاصة إذا كان منهم 20٪ من هذه البلدان الأعضاء موقعين على الاتفاقية. وإلى حد الآن لم يقم المدير العام بأي عمل. أظن أنه كتب لبعض الدول، ولكن الشيء الوحيد الذي رأيته هو تصريح للصحافة مؤرخ يوم 7 فبراير وفيه خلط بين المشاكل المدنية في

(x) 23 فبراير 1991

العراق، وحتى إسرائيل، وحين نتكلم عن إسرائيل في اليونسكو علينا أن نعرف أنه لا يوجد بلد في اليونسكو وبخ مثلما إسرائيل فيما يخص عدم احترام هذه الاتفاقية، وهذا هو السبب الأصلي الذي دفع أمريكا أن تتخلى عن اليونسكو، كما تخلت عنها انكلترا، والواقع أن المدير العام الاسباني فيديريكو مايور نفسه انصب مجهوده كله على كيفية إرجاع الولايات المتحدة الى اليونسكو، طبعاً لأنها تمول تقريباً ربع الميزانية، وذهب إلى درجة أنه قبل سنتين صرح في واشنطن قائلاً بأن اليونسكو عليها أن تطبق القيم الحضارية الغربية، والآن يجتهد في إرضاء إسرائيل كي تطلب من الولايات المتحدة وانكلترا العودة لليونسكو، حقيقة هذه نكسة عالمية، حيث تتصرف اليونسكو التي مقرها في باريس، مثل الأمين العام الذي يتصرف تحت ضغط الدول الكبرى، بطريقة غير شرعية. فما يحدث في العراق لا يمس العرب والمسلمين فحسب، ولكن ذاكرة الحضارة الانسانية كلها.

وأنا أسف أن وزراء الثقافة في البلدان العربية، وبالأخص في المغرب العربي. لم أر أي مبادرة من أي وزير مسؤول على القطاع الثقافي، على ما أعلم، أنه قام بأي مبادرة، لا مبادرة من المنظمة الإسلامية للعلم والثقافة والتعليم، ولم أر مبادرة من المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة (الائيسكو)، ولم أر تحركاً كافياً من طرف المثقفين داخل العالم العربي، إلا بعض الاختصاصيين القلة في تونس والجزائر كتبوا للمدير العام لليونسكو.

والصحافة الغربية نفسها لم تول هذه النقطة اهتماماً. بالرغم من أنها همجية لا يمكن السكوت عنها. وإذن ما هي الثقة التي تبقى في مثل هذه المنظمات الدولية؟ أعتقد أن على الدول العربية مواجهة اليونسكو بطريقة أخرى إما بالانسحاب أو تجميد علاقات العمل معها لأن هذه هي اللغة الوحيدة التي يمكن أن تفهمها. س : فيما يتعلق بالمغرب العربي، ما هي متغيرات الوضع في ظل ما يجري اليوم في النظام العالمي الجديد؟

ج : لا يوجد هناك مغرب عربي، هناك مغرب عربي على مستوى الشعوب حيث الناس يعيشون يومياً بنفس الاحساس. منذ أيام عشنا الذكرى الثانية لهذا الاتحاد. وقد سبق لي في الجزائر في ماي من السنة الماضية، وكنت في لقاء مع الرئيس الشاذلي بن جديد، قلت بكل وضوح ان هناك حلماً لدى أجيال بناء المغرب العربي، وقلت ان ما يجري اليوم هو اتحاد بين الحكومات ليس فيه رؤية ولا تعامل، هو نوع من التكنوقراطية، ويكفي أنني أتحدث مع إذاعة الجزائر من المغرب بصعوبة، أما التلفزيون فلا تشاهده إلا المناطق الشرقية من المغرب، والعكس صحيح. كما أن الصحف بعد سنتين من اتفاقية الوحدة لا يتم تبادلها بين أسواق هذه البلدان.

س : طيب، ما هي متغيرات الوضع في النظام الجديد؟

ج : لا يوجد نظام عالمي جديد، فيما يتعلق بنا في المغرب ما أنتم ترون هذه المفاهيم الجديدة، مثل مفهوم المتوسطية Méditerranéen هو مفهوم استعماري جديد، وعلى المثقفين في المغرب العربي أن يفهموا خطر مثل هذه المفاهيم، بما فيها الفرنكوفونية وتعاون حوض المتوسط، والحوار العربي الأوربي، والعلاقة مع السوق الأوروبية المشتركة، وعلى الأقل فيما يتعلق بالمثقفين أن يكونوا يقظين وأن يتعاملوا مع هذه المفاهيم بحذر وتحفظ، إن لم نقل بنوع من المقاطعة الفكرية، ريثما تتضح الأمور.

س : قلتم في السابق بأن على المثقف العربي أن يقرأ أكثر ويعرف أكثر؟

ج : طبعاً، المطلوب من المثقف العربي الآن نوع من الجدية في أعماله في أبحاثه في معرفته، وعليه أن يتخلص من مركب النقص الذي ورثه من الفترة الاستعمارية، وتكون له ثقة كافية في نفسه وحضارته وميراثه. وعليه أن يضع حداً لما أسماه الرقابة الذاتية. نعم، لنا صعوبات في بلداننا فيما يتعلق بالحرية والديمقراطية، ولكن المثقف نفسه يفرض على نفسه نوعاً من الرقابة الذاتية نظراً لمصالحه الشخصية أو علاقته مع الإدارات والحكومات، وأيضاً عليه أن يجتهد في وضع حد لهذه الفجوة الموجودة بين الشعوب والحكومات، وكذلك المثقف له دور فيما أسماه الذاكرة الجماعية.

هنا علي أن أنبه إلى ذلك النوع من الارتزاق الضمني من طرف بعض المثقفين. أنا لا أفهم أن لدينا اليوم بعض المثقفين يبعثون برسائل إلى رؤساء دول غربية، وما زالت لديهم آمال، وعلاقات فيهم ومعهم وما زالوا لم يفهموا أن لا فائدة في هذه العلاقات، وهم يرمون علينا القنابل ويقتلون الآلاف في بلداننا، فلماذا نحن متشبثون بهم، ونكتب لهم الرسائل والبرقيات ... هذا المثقف يجب أن تكون لديه نوع من كرامة الإنسان، المثقف الذي لا يحترم نفسه ولا إحساس شعبه، هذا لا مستقبل له في بلداننا، فإذا كانوا في حلف الغرب عليهم أن يذهبوا إليه ويحرروا بلداننا من هذه المواقف.

س : الأستاذ المنجرة، كنت من المطالبين بضرورة النهوض بالتكنولوجيا في البلدان العربية.. كيف

ترى هذا النهوض؟..

ج : طبعاً لا مستقبل لنا دون النهوض بالبحث العلمي والتكنولوجيا، لكن الخطأ الذي وقعت فيه حكوماتنا في هذا الميدان هو أنها لم تعطه الأولوية، والبلد الوحيد الذي أعطاه الأولوية هو العراق الذي يحارب اليوم ويحطم. لنا نموذج تنموي مبني على التقليد والمساعدة والرشوة. لكن العلم والتكنولوجيا لا يمكن أن يشتريها الإنسان. لابد من مشاريع مبنية على التنمية الذاتية، والاهتمام بهذه المشاريع داخلياً، والتكنولوجيا المعاصرة تتطلب تعاوناً على مستوى واسع. فمن غير الممكن للمغرب وحده أو الجزائر وحدها

أو... أن تقوم بأبحاث تكنولوجيا عالية، إلا إذا تعاونوا فيما بينهم في ميدان العلم والتكنولوجيا تعاوننا قائما على الجدية، وليس على الارتزاق والرشوة، والحمد لله لنا اليوم الأطر الكافية من علماء وباحثين علينا أن نساعدهم، وأضعف الإيمان هو ابتداء من الآن أن ترفع الحكومات في المغرب العربي والدول العربية الميزانية المخصصة للبحث من 0,3% إلى 1,5% من المدخول القومي، بدل الاعتماد على التعاون الثقافي مع فرنسا وأمريكا. وهذا لا يمكن أن يؤدي إلى تنمية حقيقية لأننا نبقى نشترى بدلا من أن نطور الأشياء داخل بلداننا ونسطر برامج تنموية مبنية على الحاجات الحقيقية لشعوبنا، وهذه هي التحديات الحقيقية في المستقبل.

س : الأستاذ المنجرة، الآن بين يدي خبر يتحدث عن إنتاج سينمائي عربي مشترك حول حرب الخليج... هل تعتقدون أن مثل هذه المشاريع ضرورية؟

ج : مثل هذه الأعمال يجب أن تشجع، لأنه لا يمكن أن يقوم هناك علم أو تكنولوجيا بدون إبداع وخلق، وهذا يأتي أولا من مبدعين في ميادين مثل المسرح والسينما والشعر والرواية... وأظن أن أي مبادرة من هذا النوع علينا أن نركز عليها كي نوجد حلما، فلا يمكن قيام أي عمل بدون حلم، بدون رؤية مشتركة، وهذا يأتي من الإبداع، لكن الإبداع له شروط، وأول شرط هو الحرية، والديمقراطية، وبناء مجتمع مدني، لكن في العالم الثالث، والعربي بصفة خاصة، والمغرب العربي، نرى أن هناك محاربة لبناء هذا المجتمع المدني الذي هو السر الأساسي للتغلب على جميع المشاكل بما فيها علاقاتنا مع الغرب.

فلا يمكن أن تكون لنا علاقة دولية مفيدة إلا إذا كنا جديين مع أنفسنا، وإلا إذا برهنا أننا مستعدون للاعتماد على أنفسنا، وأنا أومن بالتعاون جنوب - جنوب، وخصوصا في العالم العربي الذي عليه أن يشجع مثل هذا العمل المشترك في كل الميادين، الإبداعية والعلمية، غير أنني أرى أن هناك نوعا من التخطيط لمواجهة مثل هذه المشاريع التلقائية، إداريا وبيروقراطيا. ولكن المهم أن يكون المثقف المغربي والعربي واعيا بمسؤوليته وبمواعده مع التاريخ، لأننا ندخل عصرا لا يمكن أن يسمح له إذا لم يبرهن أنه في مستوى التحديات، فنحن دخلنا في إشكالية بقاء وبقاء حضارة بقاء تعددية حضارية، لأننا بدون بقاء تعددية حضارية ثقافية إنسانية، لا مستقبل للإنسان في العالم بأسره.

أجرى الحوار : فاطمة بلحاج
- الإذاعة الجزائرية - 23 فبراير 1991
- جريدة "الخبر" (الجزائر)، 26-27 فبراير 1991.

(*)

رفض أمريكا مبدئي

إن كل ما يصدر عن أمريكا الآن أصبح متوقعا، وهدف الحرب هو الهيمنة، حتى أن تصرفات بوش أصبحت نوعا من الهستيريا يغذيها حقد شخصي على صدام وحقد شخصي على العراق... ورغم أنني أستاذ علاقات دولية فأني لم أفهم بعض التعابير والتسميات التي أصبح جورج بوش يستعملها، رجال البيت الأبيض يسمون صدام حسين بالرجل الكذاب وابن.. Son of abitch هذا الكلام البذيء قيل ويقال داخل البيت الأبيض، ونشرته صحيفة «الهرالد تريبيون» الأمريكية يوم 18 فبراير؛ لما يتلفظ رئيس دولة بهذه الألفاظ وبهذه الطريقة تصبح التحاليل السياسية والاقتصادية للموقف صعبة جدا.. التحليل هنا يبدأ من اختصاص علماء النفس.

ثم هناك شيء آخر؛ منذ 2 أوت وأنا أسجل في تصريحات الحكومة الاسرائيلية، وكان آخرها موقفها من تحرك أو مبادرة غورباتشوف الأخيرة، قالوا إنهم يريدون من الولايات المتحدة دراسة المبادرة دراسة جيدة.. هكذا يصبح الموقف الأمريكي شيئا متوقعا، رغم أن أمريكا صرفت ما يعادل 100 مليار دولار، وقد طلب بوش من الكونغريس 56 مليار دولار إضافية.. وما يلاحظ من إفلاس للدول الخليجية الممولة.. إنهم مصممون على الحرب.

الموقف الأوروبي

هنا تبدو التفرقة ضرورية، فرنسا وبريطانيا لا يرجى منهما شيء. وإذا كانت بريطانيا في تبعيتها المطلقة لأمريكا تبدو حالة غير جديدة، فإن فرنسا هي التي تبدو مفاجئة، لأنها خاسرة في كل الحالات، ومع ذلك لم تخرج عن النطاق الأمريكي، وتبقى المانيا، لأنها من أكثر الدول تضررا من الحرب، خصوصا بعد وحثها وطموحها في لعب دور اقتصادي فعال ومؤثر على المستوى الأوروبي والعالمي، وأظن أن اتصال غورباتشوف بهلموت كول سيميل لصالح موقف ألماني إيجابي من مبادرة غورباتشوف (أكد هلموت كول ذلك فيما بعد، وقال إن المبادرة السوفياتية هي آخر فرصة للسلام، إذا ستنعامل معها باهتمام)، كما أن لالمانيا أهداف اقتصادية في أسواق الاتحاد السوفياتي لهذا يمكن أن ننتظر خبرا من المانيا بالنسبة للمبادرة السوفياتية.

الموقف العراقي

يبدو أن للعراق موقفا إيجابيا من المبادرة السوفياتية، ولكن المشكلة في الولايات المتحدة الأمريكية. أنا لا أتصورها تقبل بحالة السلم، خاصة وأنها سوفياتية، في هذه الحالة يظهر شعور أمريكي بأن هناك محاولة للمشاركة في الدور، وهذا أمر مرفوض، ضف إلى ذلك الرأي العام الأمريكي الذي سيؤثر على بوش كرئيس للجمهورية، لكن ذلك أمر محسوم أيضا. بوش يركز الآن على قمة الهرم وزعامة الولايات المتحدة الأمريكية في العالم، ولا يوجد أمريكي واحد يرفض ذلك.

رد الفعل السوفياتي المحتمل

هناك في التاريخ سوابق من هذا النوع، وإن كان الوضع يختلف بعض الشيء. في 1956 لما تدخلت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل عسكريا ضد مصر، تدخل الاتحاد السوفياتي بشدة عبر الإنذار الشديد للجهة الذي وجهه لهذه الدول، واستطاع بذلك إيقاف التدخل، ولكن رغم ذلك تبقى الإجابة عن السؤال الآتي مهمة جدا: هل غورباتشوف مستعد للدفاع عن مبادرته أو مشروعه؟ أم هل هو مجرد سيناريو ليبهرن على أنه مستقل عن أمريكا ثم يغير موقفه؟

أخشى أن يصدق ذلك ثم يسحب مبادرته كما فعل مع مبادرة فرنسا في جانفي الماضي، خصوصا وأن هناك احتمال وجود اتفاقات سرية بشأن الوضع في الخليج بين موسكو وواشنطن. ولا يجب أن ننسى أن هناك منافسا كبيرا لغورباتشوف هو «إلتسين» الذي طلب من غورباتشوف الاستقالة، ولا يستبعد أن يكون هذا الطلب مرتبطا بحسابات غربية وأمريكية بالخصوص. حتى لا يلعب غورباتشوف دورا مهما مخالفا للإرادة الغربية.

(قبيل إعلان أمريكا عن موقفها من مبادرة الاتحاد السوفياتي بـ ٤٨ ساعة)

- جريدة "الخبر" - 20 فبراير 1991

- جريدة "العلم" - 24 فبراير 1991

من مؤشرات نظام الظلم العالمي الجديد

عدد الدول المعتدية على دولة العراق يبلغ 31 دولة، أي أعلى 31.

عدد سكان هذه الدول هو مليار و 200 مليون نسمة مقابل 7مليون عراقي، أي أعلى 225.

الدخل القومي لهذه الدول 10 آلاف مليار دولار مقابل 45 مليار دولار للعراق، أي أعلى 75.

وفي مقابل ذلك يفقد العدوان ضد العراق دولة رصيدها الحضاري 200 سنة فقط، مقابل حضارة العراق التي تبلغ 6000 سنة، أي أعلى 30.

والعراق بداية لطريق عسير، سينهض فيه كل المستضعفين في العالم ضد الشمال، والنصر للعراق
أت ياذن الله اليوم أو غدا. ثم إن المعركة التي أخذت طريقها للمواجهة اليوم بين الشمال والجنوب ستمتد
حضاريا وفكريا على امتداد عشر سنوات على الأقل.

- «الخبر»، 27 فبراير 1991.
- «الخضراء»، 2 مارس 1991
- «الاتحاد الاشتراكي»، 2 مارس 1991.
- «العلم» 2 مارس 1991

تكلفة الحرب (x)

حسب تقديرات المعلومات الواردة في الصحافة العالمية، بلغت التكلفة الإجمالية لحرب الخليج بالنسبة للاقتصاد العالمي حوالي 800 مليار دولار تتوزع حسب المصاريف والخسارات التالية:

- 100 مليار دولار مصاريف دول الخليج على الحرب ولمساعدة قوات التحالف.
- 150 مليار دولار كلفة تقديرية لإجمالي الخسارة التي لحقت بالكويت والعربية السعودية والبحرين بما في ذلك الخسارات التي أصابت البيئة.
- 170 مليار دولار كلفة الحرب بالنسبة للعراق بما في ذلك تقديرات إعادة البناء.
- 8 مليار دولار كلفة للأضرار الاقتصادية التي لحقت باليمن والأردن وفلسطين المحتلة.
- 7 مليار دولار كلفة للأضرار الاقتصادية التي لحقت بباقي دول العالم.
- وهو ما يعني 435 مليار دولار كإجمالي لكلفة الحرب بالعالم العربي.

والى جانب ذلك تقدر المصاريف المباشرة للحرب بالنسبة للدول الغربية بحوالي 80 مليار دولار مقابل 175 مليار دولار كلفة إجمالية للنتائج الاقتصادية للحرب على الدول الغربية وهو ما يعني كلفة إجمالية تقدر بحوالي 330 مليار دولار. يضاف إليها 60 مليار دولار كتقدير لإجمالي الآثار الاقتصادية للحرب على ما تبقى من دول العالم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن صاحب هذه التقديرات يضع هامشا للخطأ يقدر ما بين 10٪ كحد أدنى و15٪ كحد أقصى.

كما يدعو حكومات دول التحالف التي لاتزال بخيلة فيما يتعلق بالمعلومات أن تعمل على تلبية حاجة الرأي العام في معرفة الحقيقة بتأكيد هذه الأرقام أو تكذيبها وذلك لخدمة المعرفة والذاكرة الجماعية الانسانية.

ولتقديم ملاحظات أولية عن هذه الأرقام، أؤكد هنا أنني كتبت منذ 12 أكتوبر 1991 بخصوص دخول العراق للكويت، أن ذلك يعتبر خرقا للقانون الدولي لا يستند الى أية حجة ولا يقبل التبرير.. وأكدت ذلك فيما

بعد يوم 27 يناير 1991 قائلا بأن «دخول العراق للكويت يعتبر خرقا لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة - المنظمة التي وجدت لأجل حماية السلام...» ولعل موقفي هذا لم يتغير، لكن تعاليقي الهزلية عن «تحرير الكويت» لا ترتبط بهذا الموقف السابق - بل بالاحتلال الجديد لهذا البلد من طرف الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها، التي كشفت عن الأهداف الحقيقية «الدفاع عن القانون الدولي» وعن غايات إقرار «نظام عالمي جديد». هذا النظام العالمي الجديد الذي لا يستهدف سوى التمهيد لجو «ما بعد الاستعمار» يتوقع أن يستمر ما بين 10 ، 15 سنة على الأقل وكانت انطلاقا هذا النظام العالمي الجديد باندلاع أول حرب عالمية حقيقية تتحدد رهاناتها في الهيمنة الثقافية للغرب، الغرب الذي رفض تقبل التعدد الثقافي على الكون ورفض خلق نظام عالمي جديد يركز على إعادة توزيع عادل وعلى عدالة اجتماعية لمجموع سكان العالم.

إن هذا لا يرتبط بتحليل الأرقام السابقة الذكر، ولكن بنقد الحملة الاعلامية التعتيمية التي تلصق كل شيء بسبعة أشهر من الوجود العراقي في الكويت. وحتى نظام هيئة الأمم المتحدة حاول وضع أرقام هو الآخر عن الآثار الاقتصادية لهذه الحرب على العالم الثالث في هذه الحرب.

إن «تحرير» كل واحد من مجموع الكويتين يكلف 700 الف دولار وهو ما يقدر بالمدخول السنوي المتوسط لحوالي 500 عربي. وإذا اقتصرنا على 100 الف كويتي فقط من «الدرجة الأولى» فإن الكلفة ترتفع الى 4.200.000 دولار للفرد الواحد.

إن «تحرير» الكويت كلفت 2000 دولار لكل واحد من 220 مليون عربي وهو أكثر من متوسط المدخول السنوي (1500 دولار) لكل فرد. فمصاريف مجموع العالم العربي على هذا «التحرير» (435 مليار دولار) تمثل ضعف مجموع ديون الدول العربية لسنة 1990 (250 مليار دولار).

إن حماية القانون الدولي، وحماية الديمقراطية وحقوق الانسان وإقرار نظام عالمي جديد، كما تريد الولايات المتحدة والغرب، عادت على العالم العربي مكلفة بدون اعتبار لأكثر من 230 الف شهيد عربي وأقل من 500 الف جريح، وملايين الاطفال الذين عانوا من سوء التغذية والتي ستؤثر على صحتهم طول حياتهم. إن هذه الأرقام لا تلمس كلفة الدمار الذي لحق بالتراث الثقافي الانساني الذي يعود لأكثر من 6000 سنة والتي لا تقدر كلفتها بالدولارات لأن قيمتها لانهائية.

كما أن تعذيب الفلسطينيين من طرف الكويت المحررة لا يدخل في الحساب.

إن رغبات الرئيس بوش وأطماع إسرائيل ستعود مكلفة جدا على العالم (١٦٠ دولار لكل مواطن في العالم)، إن تحرير كل مواطن كويتي سيكلف أكثر من ١,٣ مليون دولار أو حوالي ١٠ ملايين دولار لكل كويتي من الدرجة الأولى.

إن الدفاع عن النظام العالمي الجديد لا ثمن له خاصة بعد رياح «ما بعد الاستعمار»، حيث المستعمر يجعل المستعمر يؤدي الجزء الأكبر من عوامل استعمارهم.

- "الوطن" - 26 مارس 1991
- "العلم" - 28 مارس 1991
- "الخضراء" - 29 مارس 1991
- "حقائق" - 5 أبريل 1991.

رقم زمني قياسي للثقافة الغربية

شهدت مرحلة الحرب العالمية الثانية (1939-1945) قصفا جويا أمريكيا مكثفا على اليابان، وخلال 14 شهرا نفذ الطيارون الأمريكيون 27000 طلعة، أي بمعدل 65 طلعة يوميا في ظرف 425 يوما. أما الغرب خلال حرب الخليج فإنه حقق أرقاما قياسية بسبب استعمال العلم والتكنولوجيا لتدمير الجنس البشري:

خلال الأربعين يوما من الإبادة ضد العراق، نفذ الطيران الأمريكي بمساعدة قوات التحالف الغربي 110000 طلعة... ويمثل هذا الرقم 2750 طلعة كل يوم أي 114 كل ساعة وطلعتين اثنتين كل دقيقة، أي 42 مرة أكثر من الطلعات التي عرفتها اليابان.

وإذا افترضنا أن كل طلعة تخلف فقط 2,5 قتيل فإن العدوان الأمريكي ارتكب مجازر فاق عدد ضحاياها 300000 خلال 40 يوما، أي 313 ضحية كل ساعة و 5 قتلى كل دقيقة... وربما أن أمريكا تحقق مستقبلا أرقاما أحسن من هذه الأرقام المرتكبة ضد العراق.. وقد يكون البلد المستهدف بلدا غير غربي مرة أخرى، وعلى كل حال فإن الأرقام القياسية خلقت كي تحطم وكذلك سكان الجنوب.

هذا إذن رقم قياسي جديد، ولا تخشى من العثور عليه في الطبعة المقبلة لكتاب الأرقام القياسية «كنيس»... إنها عواقب انحراف آخر، أكثر كدرا لمنظومة القيم الغربية. وأي رقم قياسي محزن لهذا «اللائظام العالمي الجديد» الذي يقتل بلا هوادة ويتلذذ، باسم «القانون الدولي». ولن أخجل أن أكون سلميا غير عنيف وأصلي لأرواح أولئك الذين ينهبون بفخر من حرب إلى حرب باسم «الحضارة».

– "الاتحاد الاشتراكي"، الدار البيضاء-5 مارس 1991

"الوطن" (El Watan)-4 مارس 1991

– "الجزائر الجمهوري" (Alger Republicain)-4 مارس 1991

– "المساء" الجزائر-5 مارس 1991



الرمال، قد بدأت تذوب في منطقة الآبار، حيث الحرارة ترتفع الى 200 درجة، أي أكثر من حالة الغليان بمائة درجة..

هذه هي «تشيرنوبيل الخليجية»..

وأوروبا تسقط في البيئة الخليجية، التي حفرتها بتدخلها العدواني الصاروخي في قضية كان أجدى أن تحل في إطار عربي، وعلى مائدة الحوار..

تقول مصادر علمية من الغرب : «أن التأثير الحاصل على الطقس الخليجي سوف يشعر به في مناطق أوربية خلال العشر سنوات القادمة.. والمطر الأسود سوف يسقط على شرق أوروبا.. وقريبا جدا سوف نرى الغبار الداكن، وهو يتهاطل على عدد من الأقطار، منها بلغاريا ورومانيا واليونان.. ويتعبير آخر فإن المطر الحامضي، نتيجة التلوث الخليجي، سيسقط بعيدا عن الكويت بألفي كيلومتر.. وإذا هبت الرياح الخليجية المعتادة بقوتها المعروفة خلال أواخر مارس، فإن أوروبا ستعرف أمطارا سامة خلال الشهر القادم.. وهكذا ستحصد أوروبا ما زرعت في الخليج..

ومنذ الآن تعرف تركيا هذا الشبح البيئي.. وهنا يقول عمدة (هاتاي) التركية : إن النهار في هذا الإقليم أصبح بلون قاتم، والأمطار التي هطلت كانت فيها نسبة الحامضية مرتفعة جدا، وستؤثر على مصادر المياه العمومية، وسوف تضر بالاقتصاد الفلاحي للمناطق شبه الصحراوية، في إيران والشرق الأوسط.. ويقول الخبير الألماني (كارل هاينس بال شنيتر) في محاولة لتقريب الوضع البيئي من فهم الإنسان الأوربي : إن التلوث الحاصل في الكويت يشبه 500 معمل لحرق الأزبال، لا تشتغل بكيفية نظيفة.. ويضيف : إن ما حصل في الخليج يشكل تجربة كيمارية لم تر الإنسانية مثيلا لها في التاريخ، ويجب أن نأخذ منها العبرة..

الخضراء-15 مارس 1991

(*) انحرافنا قبل انحراف القانون

هذا الموقف الرافض الثائر، من رجل بوزن معرفي ونضالي كالمنجرة، جعلنا - عند لقائنا به يوم الثلاثاء 05-03-1991 بالجزائر - نحاول استجلاء حقيقة هذا الرفض!! فسألناه عن سبب رفضه حضور الندوة الدولية حول «حرب الخليج وانحراف القانون» فأجاب :

«لم أحضر لعدة أسباب... (لا علاقة لها بالجزائر كبلد) فأنا الآن ومنذ 15 سنة، تخطيت عن منصبي كموظف دولي، وقررت التركيز على العمل العلمي في العالم غير الحكومي، ولهذا لم أقبل من أي بلد كان أية دعوة لأية ندوة تنظم تحت إشراف وزارة أو رئاسة حكومة، لأن الجو للذي يجري فيه الحوار العلمي يجب أن يوفره الاختصاصيون أنفسهم، ورفضت أن أحضر لأعبر بوسيلة خاصة أنه في ميدان العلم والمعرفة، مسؤولية الحكومة تنحصر في تسهيل إنشاء جمعيات مختصة غير حكومية في جميع الميادين (التفكير، الاقتصاد...)»

وتدعيم هذه الجمعيات بشرط الحرية الذي لا يقبل بالإشراف الحكومي، الذي يقود إلى الارتجال وعدم المصداقية العلمية، وتدخل عوامل سياسية، ومع الأسف أن ما حدث في الندوة الأخيرة «حرب الخليج وانحراف القانون الدولي» سواء على مستوى المشاركين الذين لا يمثل أغلبهم أي وزن ولا يحظى بالاحترام داخل بلدانهم ماعدا إمكانية استغلالهم في الصدى الإعلامي.. أو على مستوى القيمة العلمية التي كانت ضعيفة!!

وبجدية أقول : عندما نرى الدور السلبي الذي لعبه الأمين العام للأمم المتحدة - وأنا وراثي تجربة 20 سنة داخل نظام الأمم المتحدة - نتساءل أليس من الرذالة أن ترفع الندوة (إعلانا) الى هذا المسؤول لتمنحه مصداقية.. مع عدم الإشارة الى خيانتة لهذا المنصب!! إنه مجرد رهينة، آلة في يد الولايات المتحدة والغرب.. والمحزن أن نرى في الجزائر أشياء من هذا النوع، والحمد لله أنني لم أستمع الى أشخاص جاؤوا على نفقة الجزائر لتلقيتنا دورسا ملخصة عن ثورة الجزائر التي لم تنتزع الاستقلال بل تكرم به عليها «ديغول»!

إن الدرس الذي ينبغي استخلاصه هو أن تبقى الحكومات والوزراء مصدرا للتسهيلات المادية فقط

عدد الكاثوليكين 850 مليون مقابل 865 مليون عدد المسلمين، وبدأت الحملة ضد الإسلام، والحديث عن التطرف الديني، وأنا أحمد الله على الحركة الإسلامية التحررية، الدفاع الوحيد أمام هذه الهيمنة، ولا أسمح بالمساس بالحضارة الإسلامية وأقدمها كحقل وموضوع للدراسة بين يدي أشخاص نسميهم «إسلامولوف»!! يجب أن نكون واعين، فندوة مثل هذه لا تحضر في 15 يوما بدون ورقة عمل، بدون تحديد أهداف!! وكون وزارة معينة تتبنى ندوة كهذه إنما تضفي عليها مفاهيم سياسية معينة على المستوى الدولي في هذه الظروف التي يعيشها الخليج والعراق، إنني أعتبر ذلك خطأ..

وأطلب عن طريقكم، كما طلبت عن طريق سفير الجزائر في الرباط، وعن طريق ديوان الوزير المسؤول، وعن طريق محمد سحنون، المستشار الديبلوماسي لرئيس الجمهورية على الأقل تأجيل هذه الندوة أو إلغائها (الندوة لم تعقد بعد ذلك)، ففي هذا الوقت يجب أن نتحاور داخل أنفسنا، ولا يعقل أن نطلب (فتاوي) من فرنسا الاستعمارية، التي ستدافع عن الفرانكفونية، وتكون وسيلة للدفاع عن الصهيونية واليهودية، وأضيف أن 90٪ من المدعين لهذه الندوة أرفض أن أجلس معهم نظرا لمواقفهم سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وإنني لأرجو أن لا يتكرر الخطأ، ولا أن يتكرر مستوى الندوة الأولى بعد أسبوع أو أسبوعين.

أجرى الحديث :
محمد هلوب

هوامش :

- جريدة «السلام» الجزائر 7 مارس 1991

- جريدة «العلم» 9 مارس 1991

- جريدة «الخضراء» 15 مارس 1991

(*) حرب الخليج وآفاقها

منذ انطلاق ما يسمى بأزمة الخليج الى الآن ووسائل الإعلام الغربي تعطينا يوميا أدلة جديدة عن الدرجة التي وصل اليها الغرب في استعمال الكذب كوسيلة جديدة لتحركه ولبناء هيمنته الاستعمارية والحضارية الجديتين.

وهناك أمثلة مثلما قرأنا في جريدة هيرالد تريبيون.. في عدد 19 مارس 1991 حيث نجد تحليلا موسعا ودقيقا للعملية العسكرية والاستراتيجية التي استعملها العدوان ضد العراق في الحرب البرية، ونقرأ في هذا المقال أنه، في شهر أكتوبر 1990، أي قبل اتفاق مجلس الأمن على القرارات 6-7-8 التي صدرت يوم 29 نونبر 1990، قام الجنرال نورمان شوارتسكوف في اجتماع مع جنرالات آخرين من الجيش الأمريكي، بتقديم وصف الخطوط الكبرى للاستراتيجية التي سيضعها في هجومه على العراق، والعبارات التي استعملها هي «إن الهدف هو تحطيم القوة العسكرية للعراق وضرورة الدخول الى عمقه لتدمير كل واجهات العراقيين، وخلال نفس الاجتماع كان الماجور جنرال تنفورد «والماجور جنرال تيري ماكفري» قد اتفقا معه وقالوا «هذا هو الحل»، وفي نفس اليوم حسب هيرالد تريبيون، تعززت هذه الاستراتيجية التي تعرف باسم «عملية اللكم باليد اليسرى» ومثلما قلت من قبل أن جميع الاختصاصيين في الدراسات المستقبلية والاستراتيجية كان لهم اطلاع على عدد من السيناريوهات المخططة منذ أزيد من 15 سنة، أي بعد أزمة النفط لسنة 1973، للمواجهة في الخليج بطرق عسكرية أو سياسية أو بانقلابات أو غيرها من السيناريوهات التي من شأنها تمكين الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها من دول الغرب من السيطرة على هذه المنطقة ليس لأجل النفط فقط ولكن أيضا للمحافظة على الوضعية القارة بالعالم العربي والدفاع عن حكومات تابعة للسياسة الغربية.

وإنن يجب أن نكون واعين بدور الكذب الغربي خلال الحرب، إذ بات من السهل على كل من تتبع الإعلام الغربي خلال هذه الحرب، وتابع تصريحات ثلاث شخصيات هم : الرئيس بوش، والرئيس ميثران، والأمين العام لهيئة الأمم المتحدة، يمكن من خلال التصريحات الرسمية وما أثير حول «أهداف» التدخل في

الخليج من «تحرير للكويت والدفاع عن ميثاق الأمم المتحدة» سيرى تدريجيا مجموعة من التناقضات الهائلة خلال فترة قصيرة لم تتجاوز سبعة أشهر.

ولا أظن أن التاريخ سجل من قبل حجما للتناقضات في التصريحات في فترة قصيرة مثل هذه لمسؤولين كبار، وبذلك فإن ما حدث في الخليج هو انتحار للمصداقية الغربية بما كشفت عنه تصريحات المسؤولين الغربيين وكذلك الشأن بالنسبة لتصريحات الأمين العام للأمم المتحدة الذي برهن عن عدم كفاءته في مواجهة الأزمة وعن عدم قدرته على توظيف الإمكانيات المتوفرة له عبر الميثاق المعهود اليه، لأن الهدف الأساسي للأمم المتحدة هو بناء السلام ومنع النزاعات العسكرية من الاندلاع كيفما كانت وأينما كانت.

ومن تم نجد في إطار هذه «المصداقية الغربية المفقودة» أمثلة أخرى تحولت من شدة تكرارها الى هزل، كما هو الشأن بالنسبة للصحافة الأمريكية التي تتحدث عن نقد، من طرف عسكريين ومن طرف الكونغرس الأمريكي، للأغلاط التي ارتكبتها المخابرات الأمريكية «السي، أي، ي»، ونقرأ في «الواشنطن بوست» ليوم 19 مارس 1991 «أنه من بين الأشياء التي قامت بها اللجنة المختصة بمخططات المخابرات لدى الكونغرس الأمريكي، أنها انتقدت المعلومات المتعلقة بحجم القوات العسكرية العراقية، الواردة عن «السي، أي، ي» وسجلت مبالغة في عدد الجيوش العراقية الموجودة بالكويت بنسبة 50٪ خاصة تلك التي كانت موجودة يوم 17 يناير يوم اندلاع الهجوم الجوي، حيث لم يكن عدد القوات العراقية يتجاوز 20 ألف جندي» ونرى هنا أن هذه الأخبار التي كانت مبالغيا فيها كالقول إن العراق هو القوة الرابعة في العالم عسكريا، وما روج من تخوفات من إمكانيات العراق النووية.. استعمل كل ذلك عن قصد. وتجدر الإشارة هنا الى الفرق القائم بين التعقيم الإعلامي وبين الكذب، لأن التعقيم عملية محدودة تفيد استعمال أخبار منها ما هو مفتعل وآخر صحيح لتنظيم حملة إعلامية عكس الكذب الذي يروج كوسيلة للضغط على الرأي العام المحلي بالولايات المتحدة الأمريكية وإثارة الخوف في النفوس، يستهدف تسهيل الهجوم الوحشي على العراق، والأمثلة متعددة لمظاهر الكذب كمظهر من مظاهر مرحلة ما بعد الاستعمار.

ويمكننا إذا ما قارنا بدون أي اندفاع أو دفاع بين ما جاء في البيانات العسكرية العراقية، تبين أن أغلب تصريحات البيانات العراقية كانت مطابقة لواقع الأمور كما هو الشأن بالنسبة لواقعة تدمير معمل الحليب العراقي أو تدمير ملجأ المدنيين والذين قدمتهما الصحافة الأجنبية كأهداف عسكرية، ولكن بعد أسابيع تبين من خلال زيارات قام بها صحفيون لعين المكان أن الأهداف كانت مدنية وتعرضت لعدوان عسكري وحشي، كما حدث بالضبط بالنسبة لمتحف بغداد وغيره من المآثر الثقافية.

لندع العراق ولندع الخليج ولندع العرب كلهم، لكن هل نستطيع نسيان مصداقيتنا مع أنفسنا على مستوى التحليل العلمي للواقع؟ وأتخوف اليوم من داخل العالم الإسلامي بعد هذه الحرب، على الباكستان وأندونيسيا لسببين اثنين : هما أن هذين البلدين في العالم الإسلامي يتوفران على إمكانيات علمية وقدرات لصنع القنبلة الذرية، وربما أن الغرب لن يسمح لأي بلد مسلم أن يصل إلى مرحلة متطورة كهذه، أخشى على الباكستان من المؤامرات رغم الانتخابات الأخيرة المزورة التي استهدفت محاربة السيدة بنازير بوتو، خلال أزمة الخليج وقبيل اندلاع الحرب، والواضح أنه لمجرد صعود الحكومة الجديدة دخلت باكستان ضمن قوات التحالف ضد العراق، وهو ما يفسر أن الغرب أدرك أن هنالك ضرورة لإيجاد حكومة ونظام جديدين يمكن الاعتماد عليهما، في الباكستان ومع كل ذلك فإن باكستان الدولة التي تسعى لامتلاك السلاح النووي مستهدفة لمحاربة ضارية، وفي هذا الصدد أخشى أن تستعمل ضد النزاع الهندي الباكستاني حول كشمير - وهي قضية مسجلة بجدول أعمال الأمم المتحدة منذ أكثر من 40 سنة، وإلى الآن لم تعمل الأمم المتحدة على تطبيق التوصيات الصادرة منها ومن طرف الجمعية العامة ومجلس الأمن.

وأخشى على أندونيسيا، وهي أول بلد مسلم من حيث قوته الديمغرافية (160 مليون نسمة) ومن حيث توفره على طاقة علمية وتكنولوجية، فيما يخص الوسائل العلمية المتقدمة المرتبطة بعلم الفضاء، وبعض التكنولوجيات المتقدمة والطاقة النووية، وهناك سيناريوهات يمكن تصورها بهذا الشأن، حيث نجد على مقربة من أندونيسيا مجموعة جزر تتوفر على النفط مثل «بروناي»، وهي عبارة عن جزيرة صغيرة، رغم أن حاكمها أغنى رجل في العالم، ويمكن أن تتصور أن لأندونيسيا حقوقا تاريخية في المنطقة، وبالتالي يمكن أن يكون هناك سخط يضع أندونيسيا تدافع عن نفسها وعن وحدة ترابها، ويصبح التدخل مبررا.

ومن ثم لا يسعنا إلا التزام التحليل العلمي والعودة إلى الوراء لإدراك ما انتهت إليه الدراسات المستقبلية والاستراتيجية في الغرب. وأيضا لإدراك التسلسل المتوقع في المستقبل، بعدما أصبح من الممكن اتباع الخطط السابقة التي كنت أسميها دائما بمخططات تسيير الأزمات وأتخوف اليوم في العالم العربي على الدول العربية التي اتخذت مواقف شجاعة وجريئة اتجاه المشروعات الدولية الحقيقية، والدفاع عن القانون الدولي كاليمن، ومنظمة التحرير والأردن والجزائر، والتي قد تتعرض لعمليات انتقامية.

ولنعد الآن إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية حققت أهدافها في هذه الحرب، بما في ذلك الهيمنة على المنطقة، وبتحليل مبادئ يمكننا التصدي لما صدر عن بعض المثقفين العرب من وصفهم لردود فعل الجماهير العربية بالعاطفية وعدم العقلانية والتسرع والانفعال، لقد تبين الآن أنهم كانوا مرتزقة للفكر تفصلهم مسافات عن واقعهم وشعبهم يحاولون تبرئة الغرب، ليس لعدم وعيهم لأخطار المؤامرة ولكن

لعجزهم عن فهمها والتصدي لها، وسترى في المستقبل القريب حملات ضد وعي الجماهير لكن في مقابل ذلك أفعال بوعي الشعوب ويقتظها، وبوعي جيل المثقفين الذين يقل عمرهم عن ثلاثين سنة.

وإذا أردنا تحليل ما حدث، أعود إلى مقال بدا لي من أهم ما نشر خلال الأزمة. وهو مقال صادر بـ «تايمز ماغازين» لجامعي أمريكي مشهور هو «تشارلز كروات هامر» كتب في عدد «تايمز ماغازين» لـ 18 يناير 1991 مقالا بعنوان «كيف يمكن للحرب أن يغير الولايات المتحدة الأمريكية؟» يقول فيه : «إن الحرب نوع اختبار المفاجئات، رغم أن المفاجأة الحقيقية في هذه الحرب هي أنها ليست حربا من أجل الكويت ولا ضد العراق ولا من أجل مستقبل الشرق الأوسط.. وباستثناء الثورة ليست هنالك أساليب لتغيير بلاد غير الحرب.. وإذا ما انتهت حرب الخليج بالطريقة التي بدأت بها ببرهنة التفوق الأمريكي التكنولوجي وليس بانهازم صدام، فإنه لا يمكن الحديث بعد ذلك ومن جديد عن هزيمة أمريكا في فيتنام.. وإن أمريكا جديدة ستنتقل ما بعد حرب الخليج، وأن صورتها لنفسها، ومفهومها للتاريخ ولأسلوبها السياسي سيتغير تغيرا كاملا». وينتهي هذا المقال بفكرة وازنة لفهم ما حدث : «إن هذه الحرب يمكنها أن تخلف وراءها أمريكا متجددة أمة ولها ثقة بنفسها، ولعل ذلك هو إرث لأول حرب طيبة- الحرب العالمية الثانية- هذا الإرث الذي كان مفقودا بين غابات الفيتنام».

إننا حين نسمع كلاما عن الحرب والطبوبة كأنا نسمع مفارقة عن الحرب والشرعية والحرب والعدالة وغيرهما من العبارات المتضادة، ويمكننا أن نفهم هذا المقال الصادر يوم 27 يناير 1991، بما جاء فيما بعد من تصريحات موالية لمسؤولين أمريكيين تتحدث عن القضاء عن أعراض فيتنام المزمنة (SYNDROME).

وكما أشرت سابقا وقبل اندلاع الحرب إن الولايات المتحدة ستلجأ للحل العسكري لأنها وصلت إلى أزمة اقتصادية بلغت معها المديونية إلى عجز بأكثر من 3000 مليون دولار. وهي وضعية ليست مالية فحسب، وإنما اقتصادية تجسدت في إفلاس عدد من الشركات خاصة شركات الطيران وغيرها. أما على مستوى المجتمع فإنه يعاني حالة فقدان الثقة في النفس، لأسباب أخلاقية وقيمية وسياسية، عمت أهم الأحزاب المهمة، وأزمة نقابية وأزمة صحية بسبب المخدرات وانتشار السيدا، وأزمة في التنشئة والاندماج الاجتماعي بسبب تفشي الانحرافات والفضائح بما في ذلك ابن بوش نفسه وأبناء عدد من الشخصيات السياسية والفكرية الكبرى بأمريكا.

إن فأمريكا أمام أزمته وأمام عجزها عن استيعاب الصراع الاجتماعي والاقتصادي لما يسمى

بمجتمع ما بعد الصناعي، وليس بإمكانها أيضا مواجهة اليابان ماليا وتكنولوجيا، ولا يمكنها أيضا مواجهة السوق الأوروبية المشتركة في القطاع الفلاحي الذي يعتبر حيويا للولايات المتحدة الأمريكية، ليس فقط لتغطية نسبة المدخول القومي، وإنما أيضا للدور الذي يلعبه على مستوى الانتخابات فيما يتعلق بدورها الغذائي على المستوى العالمي.

ولعل هذه التخوفات الأمريكية تبرز ما حصل خلال المفاوضات المعروفة بالغات حول التجارة الدولية التي كان يتوقع أن تنتهي إلى اتفاق مشترك في اجتماع انعقد خلال فترة أزمة الخليج، غير أن الولايات المتحدة الأمريكية فرضت على اليابان ودول أوروبا نوعا من الفيتو لمنع هذا الاتفاق، ولم يكن للولايات المتحدة الأمريكية من وسيلة للدفاع عن نفسها سوى وسيلة وحيدة، بعد أن وجدت نفسها انتهت كقوة عظمى في الميدان الاقتصادي والعلمي والسياسي والحضاري والايديولوجي، هذه الوسيلة هي التدخل العسكري كما أن القوة الوحيدة التي كانت لدى الولايات المتحدة هي القوة العسكرية والتي تصرف من أجلها سنويا حوالي 300 مليار دولار حسب الاحصاءات الرسمية، أما الحقيقة، فإله وحده أعلم بها.

وقد زامن ذلك انتهاء ما يسمى بالحرب الباردة وبفعل الاتفاقيات الأمريكية السوفياتية لنزع السلاح وتحقيقه، دعا الكونغريس الأمريكي إلى تخفيض هام في المجال العسكري، غير أن ذلك أصبح خطرا يهدد الصناعة العسكرية الأمريكية والتي تمثل موردا مهما من المدخول القومي الأمريكي، ولما انتهت الحرب الباردة بعد نجاح مبادرات ريغن وبعده بوش، لم يعد هنالك خطر يهدد التوازن، له نفس القوة، لكن كان لابد من البحث عن قوة غير قوة الاتحاد السوفياتي وذلك لتحقيق مصداقية سياسة «حرب النجوم»، ومن الضروري اندلاع حرب في أي منطقة من مناطق العالم، وبالأخص في العالم الثالث.

وبالإضافة إلى ذلك هنالك ما يسمى بالمصداقية الاستراتيجية السياسية وهنالك المصداقية العلمية والتكنولوجية، وعلى ذكر ذلك نجد جزءا كبيرا من الأسلحة الجديدة لم تستعمل من قبل، وكان من غير المعقول بالنسبة للأمريكيين استعمال هذه الأسلحة في أية حرب كانت ستحدث ما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، ما لم تخضع هذه الأسلحة للتجربة وكانت أزمة الخليج فرصة مواتية لاختبار هذه الأسلحة، وكذا لأسباب داخلية أمريكية ترتبط، بما يسميه أكبر عالم اقتصادي حاصل على جائزة نوبل، بالعقدة الصناعية العسكرية، ثم بسبب العلاقة ما بين الجانب العسكري والحرب، خاصة وأن منطقة الخليج هي أكثر المناطق التي صرفت أكبر قسط من مدخولها الداخلي في التسليح. الذي قدرت اعتماداته ما بين 100 و 150 مليار دولار، فكان من الضروري تدمير هذه الأسلحة حتى تجدد الدول الخليجية أسلحتها، كما

كان الأمريكيون يودون البرهنة للعالم على مدى التطور الذي وصلت إليه التكنولوجيا بصنعهم لأسلحة فريدة تتجاوز الصناعة الانجليزية أو الفرنسية أو الروسية، وهم بهذا المعنى يكونون قد حصلوا على سوق تجاري للأسلحة وضغوط في نفس الآن احتكارها له، وهذا يوضح من زاوية إنسانية حجم الهيمنة التي وصلت إليها الولايات المتحدة الأمريكية باستعمالها لأسلحة لأول مرة دون إدراك ما قد يترتب عنها من أخطار ونتائج. ونتأسف أن يشارك في هذه الجريمة عدد كبير من الدول الغربية والمنظمات الدولية والانسانية، في حين نجد منظمات لحماية الحيوان والدفاع عنه ضد استعماله كحقل للتجارب، فبالأحرى الانسان.

ولنعد الآن الى مجموعة من التصريحات الصحفية الموازية لما كان يجري على ساحة الحرب. ففي اليوم الأول بعد وقف إطلاق النار وانتهاء الحرب العسكرية كان هنالك تصريح ليدك تشيني، وآخر لجيمس بيكر أشار فيه بوضوح الى أن حرب الخليج محل «هزيمة فيتنام» وبعد مرور يومين من هذين التصريحين، قال الرئيس بوش يوم فاتح مارس : «أتضرع أنه يوم فرحة أمريكا والحمد لله، دفنا الى الأبد، أعراض فيتنام القاتلة»، وكان هذا التصريح في أول ندوة صحفية بعد نهاية الحرب العسكرية، ونستنتج من هذا الكلام الصادر عن أول مسؤول عن هذه الحرب، أهم المقاصد التي دفعت الولايات المتحدة للدخول في حرب الخليج وإشغالها.

غير أن أمورا جديدة بدأت تظهر على الساحة، ذلك أن أكبر ضحية في هذه الحرب كما وكيفا هي أوروبا، وبالأخص دول السوق الأوروبية المشتركة، حيث بدأت تفهم أنها تلقت هزيمة عسكرية بدت آثارها في فقدانها للسوق الحربية للأسلحة أمام التفوق الذي ظهرت به أسلحة الولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي أضاعت هذه الدول أسواقها ليس في منطقة الخليج فحسب، ولكن في العالم الثالث بأسره، كما كان من آثار الهزيمة، ان ما يسمى «ببناء الكويت» و«السعودية» وبعض دول الخليج المتضررة في الحرب، من جديد، والذي يقدر بحوالي 100 مليار دولار، أتضح أن هذه المهمة هي بنسبة 90٪ للولايات المتحدة الأمريكية بل انه قبل اندلاع الحرب تأسست شركات أمريكية لإعادة بناء الكويت، ولذلك أقول إن أول ضحية كان خلال هذه الحرب هي أوروبا.

وداخل أوروبا كانت فرنسا الأكثر تضررا، لأن فرنسا أرادت أن تلعب دور المتزعم للحلف الأوروبي داخل هذه الحرب. وأعتقد أنه حتى لو كان على رئاسة الجمهورية الفرنسية رئيس غير السيد ميتران ما كان له اختيار سوى اتباع الولايات المتحدة الأمريكية، لأن الولايات المتحدة مارست ضغطها بكل الوسائل على فرنسا، وقد أتضح ذلك جليا بالضبط يوم 14 يناير 1991، حيث كانت هنالك محاولة فرنسية سوفياتية داخل

مجلس الأمن تستهدف وقف اندلاع الحرب، لكن الولايات المتحدة الامريكية بدأت تهدد فرنسا لدرجة أصبحت فرنسا خائفة من فقدان مقعدها الدائم بمجلس الأمن، ولما أقول هذا عن فرنسا أفكر في الاستفتاء الذي نشر في مجلة «الاكسبرس» الفرنسية والذي اتضح فيه أن الرأي العام بعدد من الدول الأوروبية لم يعد يعتبر فرنسا دولة كبرى ذات وزن حقيقي لتسيير العلاقات الدولية، وأظن أن هذه هي الهزيمة الحقيقية لأوروبا وفرنسا رغم ما حاولت من التنكر لهزيمتها باتباع الولايات المتحدة في الكذب والتعتيم والتضليل للحقيقة وقلب الحقائق. وقد نالت فرنسا مقابل ذلك الضوء الأخضر في حق التصرف داخل عدد من المناطق بما فيها افريقيا الفرنكوفونية أي «المستعمرات الفرنسية القديمة» وبما أننا دخلنا مرحلة ما بعد الاستعمار، فإنه طبيعي أن يظهر المستعمر القديم بنفس ما كان عليه يريد أن يصبح كما كان مستعمرا. كما منح لهم التفويض للتصرف في كل المناطق التي كان لهم سلطة فيها قبل استقلالها بما في ذلك المغرب العربي، والجديد هنا هو أن فرنسا تدخل في مخططها الهيمني ضد دول المغرب العربي بخطة جديدة واستراتيجية أخطر مما كانت عليه قبل حرب الخليج.



الفرنكفونية تعد مرحلة جديدة لتمديد هيمنتها على المغرب العربي^(x)

رغم الرجة التي أصابت فرنسا خلال حرب الخليج سياسيا وعسكريا، نجد أن دول التحالف قد قامت بتوزيع أدوارها الجديدة على العالم في إطار شببه بيالطا جديدة، سمح فيه لفرنسا بالتصرف اللامشروط ببعض المناطق خاصة افريقيا الفرنكفونية ومنطقة المغرب العربي وتحديدا: المغرب، الجزائر، تونس، وأيضا موريطانيا باعتبارها تدخل ضمن مجموعة المغرب العربي وتقع على شمال افريقيا، رغم أنى لا أميل إلى هذا التقسيم الاستعماري الذي يحاول وضع حواجز بين شمال وجنوب افريقيا.

لقد منحت لفرنسا «البطاقة البيضاء» للتصرف، وهو ما بدأت تترجمه بتحركاتها باسم التعاون وتعزيز العلاقات لأجل التنمية مع دول المغرب العربي وغيرها من الشعارات الجديدة، ويدخل هذا التحرك في إطار مخطط شامل ما بين السوق الأوروبية المشتركة والعالم العربي عامة والمغرب العربي خاصة، في إطار ما يسمى «بالسياسة المتوسطة» ذات الأبعاد الاستعمارية، ثم هناك مشروع جديد للفرنكوفونية أعد بحلة أخرى لتجديد هيمنة فرنسا على المغرب العربي ما بعد الحرب.. وكنت دعوت خلال الأزمة دول المغرب العربي إلى مغادرة المؤتمر الفرنكوفوني الذي لا مكان لهم فيه، بل هو يمس بكرامة وسيادة المغاربة.. كما كنت توقعت خلال مؤتمر دكا أن المؤتمر الفرنكوفوني القادم لن يستطيع الانعقاد خلال بدايات 1991 وكتبت في هذا الإطار بنوع من الهزل أن المقر الذي كان قد اختير لعقد المؤتمر سنة 1991 هو زاير، وكانت فرنسا تحتفل خلال نفس الفترة بالذكرى المئوية الثانية لإعلان حقوق الانسان الفرنسي، وهو ما يتناقض مع أحوال الزاير.. كمستعمرة فرنكوفونية.. فيما يتعلق بالديمقراطية وحقوق الانسان، وهو ما جعل الاوروبيين يفهمون الآن أنه من غير الممكن عقد المؤتمر بالزاير، ويتوقع أن ينعقد في باريس، ولذلك تعمل فرنسا كل الجهود لإنجاح المؤتمر القادم، وقد طالتنا الاخبار عن اجتماع للمجلس الأعلى للفرنكوفونية ولوحظت التغييرات التي طرأت على أعضائه كما لوحظت التحركات الجديدة والغريبة لعدد من المفكرين الافارقة مثل الرئيس سنغور وأساتذة وكتاب من المغرب العربي لا يحتاجون لذكر أسمائهم بل هم معروفون بولاتهم لكل قيم الفرنكوفونية. ويأتي بعد ذلك الخطر المتوسطي الذي يلوح بعقد مؤتمر آخر بين أوروبا

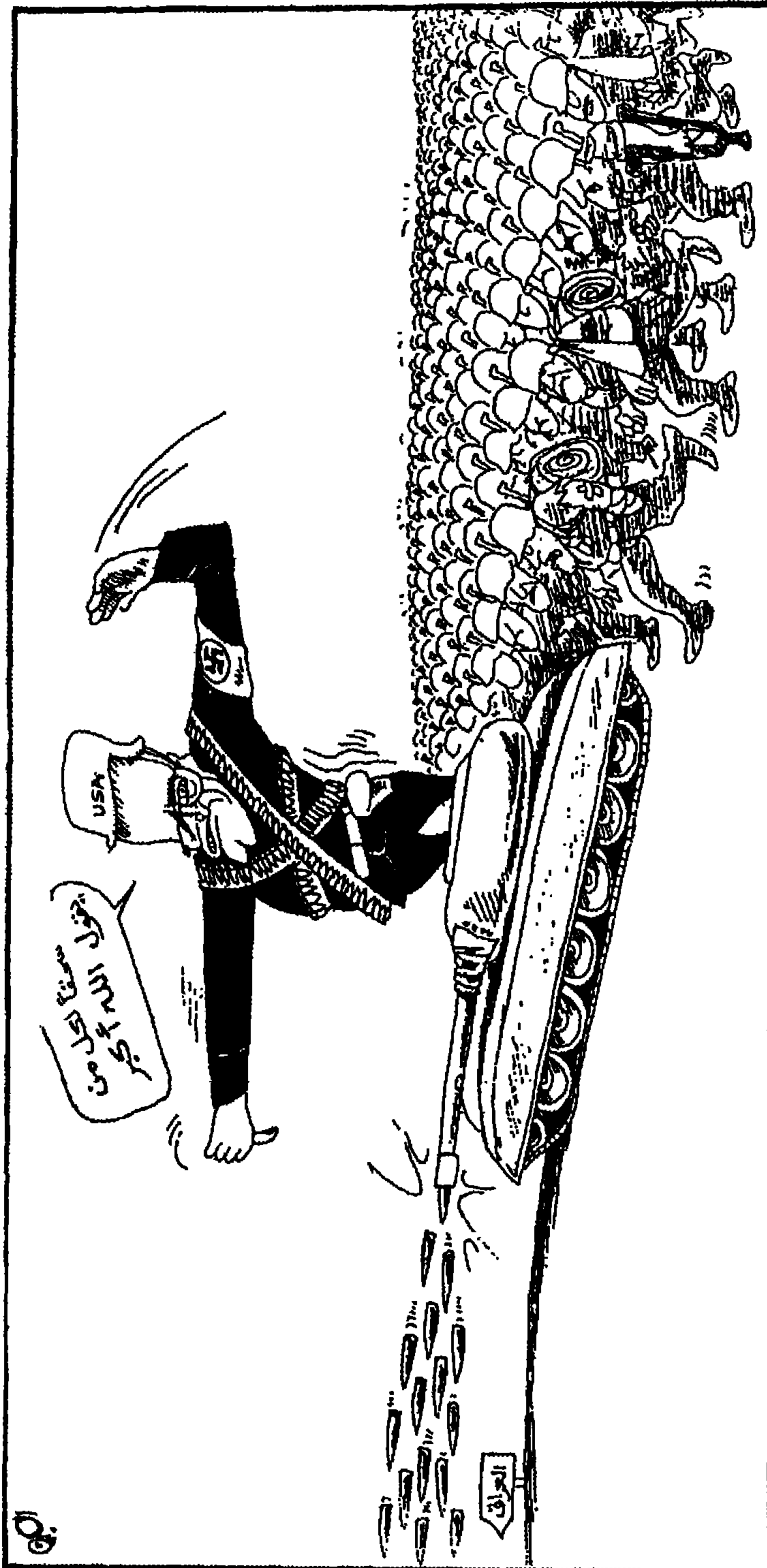
والدول المغاربية، وأتخوف هنا من حصول تلاعبات لدى بعض وزراء الخارجية بالمغرب العربي، قد تنتهي إلى الدخول في هذا الفخ دون وعي لما يحمله هذا المخطط، وأخيرا هنالك مخطط آخر خاص بين فرنسا والمغرب العربي، وأحيل هنا إلى مرجع هام وهو مقال تحليلي في جريدة «مغبرفركزرفرض زفوزكزم» الجزائرية. يكشف فيه أهم خيوط المخطط وما يحمله من هيمنة ثقافية فرنسية بعد الحرب، وقد كانت جريدة العلم سباقة إلى ترجمته ونشره يوم الأربعاء 20 مارس 1991 بالصفحة 12 ونقرأ عبر هذا المقال أنه لم يكف فرنسا معهد العالم العربي بباريس والذي برهن عن عدم استقلاليته وعدم وجوده خلال حرب الخليج، فأنشئ خلال يناير الماضي معهد جديد بفرنسا يسمى «معهد المغرب العربي»، وينفس الصدفة نقرأ في مجلة كانت تصدر في الماضي القريب تحت عنوان «أفريك بلوس» صادرة عن مجموعة صحفية عرفت بتغير موقفها حسب الأحوال والأوضاع، ثم أصبحت تحمل عنوان «مغرب بلوس» ونقرأ في افتتاحيتها أن هذا العدد تم تحضيره خلال يناير 1991، وهو نفس الشهر الذي تقرر فيه فتح معهد المغرب العربي، لكن أهم شيء في هذه المجلة هو المقال الرئيسي للعدد الذي يتحدث فيه صاحبه عن التوازن السياسي في دول المغرب العربي، ووضع لهذا المقال عنوان «تشخيص: ولادة رأي عام بالمغرب العربي»، ودون أن أشير إلى الأفكار الخطيرة التي يحملها هذا المقال، نجده موقعا باسم «بنجامين ستورا» وهو الشخص الذي أسندت له إدارة معهد المغرب العربي، وهنا لست أدري هل يكون من باب الصدفة أيضا أن يكون أهم مقال في هذه المجلة الصادرة خلال شهر يناير هو لمدير معهد المغرب العربي الذي أنشئ في نفس الشهر. وتجدر الإشارة أيضا إلى أن بنجامين ستورا، هذا هو من مواليد وهران، ويبدو أنه وجه نحو الاهتمام بالمغرب العربي منذ فترة دراسته حين أعد أطروحته عن «المقاومة الجزائرية» وأمام هذا الخطر لا يسعني إلا أن أنبه مرة أخرى من هذه المؤامرة الفرنكفونية الجديدة، ولا أحب أن يفهم من كلامي أنني ضد الحوار ولكنني أفهم من تجربتي وبحثي في العلوم الاتصالية أن الاتصال السليم لا يمكنه التحقق إلا إذا كان هنالك نوع من التوازن، وإذا كان هنالك أخذ وعطاء وإذا كانت المقاصد غير محدودة لأسباب معينة وأهداف معينة ومجالات معينة وفي ظروف معينة.

وأكرر تخوفي من أن يكون هذا المخطط يحمل في أحشائه إعدادات لمؤتمرات مقبلة متوسطة أو بين فرنسا ودول المغرب العربي خلال الأشهر القادمة القريبة، خاصة وأن وفودا تأتي بتتابع سواء عن الأحزاب الفرنسية أو عن البرلمان الفرنسي أو عن الحكومة الفرنسية كما تتحرك «الباترونا» في نفس الاتجاه بتدعيم وسائل جديدة للاستثمار داخل المغرب العربي، علاوة على الحملة الإعلامية الفرنسية الواسعة عن المغرب العربي لما بعد الحرب كما هو الشأن بالنسبة للعدد الأخير لمجلة «أفريك بلوس» في مقال لها بعنوان غريب

العراق، وقع على اتفاقية لالقاء 100 محاضرة تقدر أجرتها بخمسين ألف دولار للمحاضرة الواحدة، أي ما مجموعه 5 ملايين دولار، ولعلها بداية للسيد شوارزكوف لتمويل حملته الانتخابية لمواجهة الرئيس «جورج بوش» ليس في الميدان العسكري وإنما في انتخابات الرئاسة الامريكية.

ومن جهة أخرى ستواجه أوروبا واليابان أزمة في أضعف نقطة في اقتصادهما وهو اعتمادهما على النفط الخليجي الذي تحكمت فيه الولايات المتحدة الامريكية في جانبه الانتاجي وفي احتكار تسويقه، مما سيضطرهما إلى التنازل إليها في عدد من المواقع، كما أن ما حدث في الخليج عسكريا سيؤدي من طرف الغرب إلى سياسة شبه متناقضة حيث يريد من جهة بيع أسلحته لدول الخليج كأهداف تجارية، لكنه سيظل شديد التخوف بخصوص الالات العسكرية وغير العسكرية ذات صلة بالبحث العلمي أو التكنولوجيات المتطورة، وإذا فهمنا لماذا يوظف ثلثا ميزانية البحث العلمي في الولايات المتحدة والغرب في مجالات ذات علاقة بالمجال العسكري، نتفهم تشديد الغرب على منع دول العالم الثالث من الاستقلال التكنولوجي.

الرباط - 1991 / 3 / 21
جريدة "العلم" - 14 أبريل 1991.



الذاكرة والنسيان^(x)

لا يمكن أن نفهم التقدم الحضاري والعملي والتكنولوجي الذي حصل إلا إذا فهمنا ما يسمى بالثورة الإعلامية.

والثورة الإعلامية هي التي تعطي مكانة هامة للمعلومات والمعرفة أكثر مما تعطيها للمواد الخام وللرأسمال.. وعندما نقول معلومات، فإن هذه الأخيرة لا قيمة لها إن لم يتم تسجيلها وإذا لم تصبح نوعاً من الذاكرة،

التقدم كله مبني على الذاكرة.. والحياة نفسها ليست من الناحية العلمية (ولا أقصد هنا الجانب الروحي) سوى معلومات أو ذاكرة موجودة في الخلايا، وهي الآن أيضاً التقدم الحاصل في العلم، أي في الشفرة الوراثية أو شفرة الوراثة *Le code générique* وهذا يبين أن الذاكرة حتى من جانب الحياة نفسها شيء أساسي. والتقدم الذي حصل في حرب الخليج، من حيث الأسلحة المتطورة بالمقارنة مع الأسلحة القديمة، يعكس أن الفرق هو أن للأسلحة الجديدة ذاكرة، ولها حاسوب، ولا يزال يستعمل هذه الذاكرة الموجودة في الأسلحة.

ويمكن أن نسترجع في إعطاء أمثلة من هذا النوع بدون حد، فيما يخص أهمية الذاكرة.. فبدون الذاكرة لا يمكن أن نتقدم. وحرب الخليج تمنحنا فرصة للتعرف بتدقيق عما وقع، ونحلل الأشياء بنوع من النقد الذاتي بمنهجية علمية.. فمسألة الذاكرة شيء أساسي.

وإذا أخذنا الكلمة باللغة العربية، فماذا نجد؟ نجد أن لفظ (الذاكرة) أصله من (ذكر). وإذا تأملنا القرآن الكريم نجد أنه نفسه (الذكر الحكيم).

ولفظ (نكر) مذكور في القرآن الكريم 268 مرة.. وهذه الكلمة لها 63 مشتق، وليس من الممكن أن نتكلم هنا عن كل هذه المشتقات، لكن دعونا نتوقف مثلاً عند قوله تعالى : واسألوا أهل الذكر (الآية 15، السورة 25).

والذكر له عدة معاني في الإسلام. وفي نفس الوقت نجد أن عكس الذاكرة هو النسيان. وإذا أخذنا فعل (نسي) وهو مبني على النسيان نجد أنه مذكور 45 مرة في القرآن الكريم، وله 28 مشتق.

العالمية الحضارية الأولى. ولا يمكن أن نقول أن الحرب ليست مستمرة، وقد سمعنا في أخبار اليوم أنه منذ ما يسمى (ما بعد الحرب) تم تسجيل ما يقرب من 2.400 خرجة للطيران الأمريكي وغيره فوق التراب العراقي، وهي تحليقات تخرق سيادة هذه البلاد، وكل يوم نسمع من الأمم المتحدة ما يؤلم. والواقع أنها هذه حرب عالمية لم تنته لحد الآن، وإن عدد الأموات، حسب تقديراتي، وقد نشرت (الخضراء) بعضا منها، يرتفع الى أكثر من 350 ألف، وربما يقترب العدد من 400 ألف من الضحايا في العراق.

أمريكا والعرب والعراق

ولا ننسى أيضا أنهم يقولون أن العرب قد خسروا - وفي الواقع، هذه الحرب ليست كباقي الحروب الأخرى التي كانت في المنطقة العربية، لأن هذه الحرب واجهتها دولة واحدة، فهناك بلاد اسمها العراق.. واجهت 37 دولة، ولم يمت في سبيل الدفاع عن العراق أي عربي غير عراقي باستثناء الفلسطينيين الذين كانوا يموتون يوميا قبل وبعد اندلاع الحرب في الخليج، وستبقى الأمور على هذه الحال مادام هذا «النظام الدولي الجديد».

إن علينا ألا ننسى أن هذه الحرب العسكرية مازالت مستمرة، وأن فرنسا تستعمل ما تسميه بحق التدخل Le droit d'ingérence.

كذب

ونرى في نفس الوقت هذا الكذب الذي يأتي من الغرب، فنقرأ في الصحف أن مارلين فيتسواتر الناطق بلسان البيت الأبيض كان يقول أن الولايات المتحدة ليست لها أية نية في التدخل في الشؤون الداخلية للعراق. وهذا التصريح منشور في صحيفة LE FIGARO ليوم 12 مارس 1991. ونجد نفس الكلام لمسؤولين فرنسيين في وقت معين فيما يخص تبريراتهم للتدخل في هذه الحرب.

إن، لا ننسى... ولا ننسى أن هناك الكذب.. ولا ننسى أيضا أن هذه العراق وحدها مواجهة، وإن حتى بعض شبه الاحتجاجات التي كانت من طرف بعض البلدان بما فيها دول المغرب العربي قد انتهت، وليس هناك ناطق بلسان أية حكومة عربية في أي مكان ينطق بكلام ضد الظلم وضد المنكر، باستثناء ما يصدر أحيانا من (الدولة الفلسطينية) وكذا من اليمن التي هي عضو في مجلس الأمن وأدت إلى حد الآن آلاف الملايين من الدولارات ثمنا لموقفها.

ويمكن ألا ننسى أيضا من يقولون : إن العالم العربي قد فعل كذا وكذا، والعالم العربي خسر الحرب.. هذا كذب.. كذب لأن العراق واجهت وحدها 37 دولة عربية طبعًا بما فيها بعض الدول العربية،

والضحايا إذا كانوا عربا، فهم من جهة الحلفاء الغربيين، وهذا شيء أساسي في تحليلنا، وتحليل الباحث يعني أن كل كلمة يقولها يقرأ من أجلها مائة ورقة، وكل ورقة يكتبها يقرأ من أجلها 50 أو 60 في صحفهم ومجلاتهم لكي يتفهم.. وكل يجاهد في ميدانه.

إذن، لن ننسى أيضا أن شعبا واحدا في تاريخ الإنسانية لم نجد مثله.. وحتى الدول الأخرى التي تقول أنها عربية، رأينا ما فعلت الجامعة العربية وأين - هي، رأينا أين هذا الاتحاد المغربي وأين وجوده الذي كان يحاول أن يجد حلا دبلوماسيا. وقد قلت عند ذاك إن هذا لعب بالوقت، وأن ليست هناك إرادة سياسية.

والشعوب ؟

وهل يمكن أن ننسى هذا الواقع، ونجلس ونقول : جاء وقت الحوار والتسامح، وننسى شعوبنا التي كانت في الشوارع وعبرت عما يحس به كل عربي وكل مسلم وكل إنسان من العالم الثالث. وما نرى اليوم أن إسرائيل مازالت تفرض موقفها وأراءها عن طريق المجموعة الاقتصادية المتحدة وانجلترا والحلفاء وفرنسا.

بيئيون

وقد قرأنا في جريدة Le Monde المؤرخة يوم 9 أبريل خبرا مهما جدا عن الحزب الجديد في فرنسا (حزب البيئة) أن ناطقا بهذا الحزب الأخضر أدلى بتصريح مهم (انظر العدد الماضي من الخضراء) برهن به بشجاعة ما كان عليه دور إسرائيل ، وهو دور الصهاينة في فرنسا والولايات المتحدة وغيرهما بحيث يتصرفون كما يحلو لهم.

لكن ماذا حصل لهذه البلاد «الديمقراطية» التي تسمى فرنسا؟ حصل أنه انعقد اجتماع لحزب الخضراء.. وفي الاجتماع تم اتخاذ موقف. ووقع تصويت. ولأول مرة كان التصويت بالاسم، أي علنيا وليس سرا، وهذا نوع من الضغط على أعضاء هذا الحزب في مؤتمرهم. ومع ذلك فإن 27 عضوا صوتوا ضد. وجاء التصويت بدون نقاش حول الموضوع..

ونرى هنا أنه قد بدأت مفاهيم جديدة حتى في الغرب والحمد لله، ونحن نعتبر أن الإنسان كيفما كان وفي أي مكان كان له ضمير. وهذه الأحزاب الجديدة لها مفاهيم جديدة خاصة بالبيئة. مفاهيم جديدة تجعلها تعترف بالحق، ومن يعترف بالحق نرى ما يحصل له.

وأیضا نرى في فرنسا، التي جاءت لتعطينا دروسا في حقوق الإنسان والديمقراطية، ما حصل، ولو

لم تتكلم عنه الصحف، لرئيس اللجنة الفرنسية لمنظمة العفو الدولية، فقد تم توقيفه من عمله للموقف الذي اتخذه ضد الحرب في الخليج. ونرى أيضا ما حصل أخيرا في الحزب الاشتراكي. ونرى أن ثلاث أو أربع شخصيات منعت من أخذ الكلمة في أي منبر وأي موضوع إلى يناير 1992. ونرى المواقف والتدابير التي اتخذت ضد أعضاء من هذا الحزب.

ثم نتكلم عن حرية الرأي والديمقراطية في هذه البلدان.

القيم

إذن يجب أن نفهم ما يحصل.. وأن نكون واعين أن الأشياء الموجودة الآن هي كلها لها علاقة بالحضارة وليس بشيء آخر، وأن هذه هيمنة حضارية لدرجة أن بوش نفسه كان يقول منذ أول يوم: «إننا ندافع عن قيمنا وعن نوعية حياتنا».

وهذا يكفي. يكفي أن نعرف ما هي أهمية وقيمة القيم فيما يحدث، ونكون واعين في علاقاتنا مع فرنسا ليس كشعب ولكن من الناحية السياسية ومن حيث الأهداف.

إنهم هناك.. لهم تخطيط.. ولهم سياسة.. ولهم استراتيجية.

واليوم نقرأ الكثير في الصحافة الفرنسية وفي الصحافة الانجليزية والصحافة الأمريكية. ونقرأ كل ما يدعو للتخوف.

والبعثات إلينا متتالية، فهذه بعثة الحزب الاشتراكي، وهذه بعثة التجار، وهذه بعثة كذا، وهذه بعثة فلان..

الجزائر

يلزم أن نكون واعين.. أن Roland Dumas تكلم يوم 5 أبريل 1991 Fontaine و كمسؤول عن (Le Monde) كتب في نفس اليوم من العام السابق أي 5 أبريل 1990، وهنا الذكرى تنفع، مقالا تحت عنوان: (L'Algerie entre le voile et le parabole) وقال فيه بكل صراحة أن هناك صراعا وسباقا بين الديمقراطية والاسلام: "Une course de vitesse entre la D : mocratie et l'Islam".

والآن، كتبت عشرات وعشرات المقالات الأخرى، وآخر مجلة كنت أعتبرها جدية واسمها (Commentaire) كتبت في عددها الأخير 13 لعام 1991 مقالين: الأول عن الديمغرافية في العالم الاسلامي. ويتحدث عن السرعة التي يزداد بها الناس في العالم الاسلامي، ويعطي إحصائيات سبق لبعض منها أن نشرتها من زمان عن الاسلام والمستقبل، ثم يتحدث عن «خطر التعدد الاسلامي والهيمنة

الديمغرافية للعالم الاسلامي»، حسب تعبيره، وهذا المقال تحت عنوان :
"mographie de l'Islam" وهو بقلم Jean Marie Poursin.

وفي نفس العدد مقال آخر، وهو لـ Nicolas Baverez ويعتقد أن التجربة الجزائرية ستفشل، ثم يتحدث عما يسميه بخطر الاسلام في الجزائر، ويكتب في الصفحة 702 أن الديبلوماسية الفرنسية يجب أن تتعامل بمرونة مع اتحاد المغرب العربي بقطع النظر عن بعض الصعوبات الناتجة عن أزمة الخليج. ويقول : ان هذا التعامل يجب أن يكون من فوق (par haut) عن طريق المجموعة الاقتصادية الأوروبية من جهة والاتحاد المغاربي من جهة أخرى، وأيضا من تحت بالتعاون بين الشركات الفرنسية والجزائرية. ويختم المقال، وهذا هو الأهم، بأن «هذه هي الشروط التي يمكن بها لفرنسا أن تساهم بفعالية في هذا الانتقال الخطير للجزائر الى الديمقراطية والى السوق وأن تشترك الجزائر مع فرنسا أحسن ما لديها من قيم. وهكذا سيتحقق حلم الجنرال ديغول عام 1958. وعندما قال ديغول : L'Algérie restera française, comme la France est restée romaine» أي أن الجزائر ستبقى فرنسية مثلما بقيت فرنسا رومانية».

والأمثلة من هذا النوع كثيرة.

وإذا تصفحنا جريدة مشهورة في فرنسا L'Expansion نجد أنها كتبت قبل اسبوع مقالا تحت عنوان : (Le Monde vu d'Alger) وتكلمت عن السيد أحمد غزالي، وزير خارجية الجزائر. ونلاحظ هنا جملة تعبر عن عدم رغبة الغربيين والفرنسيين في التعاون والحوار الحضاري الثقافي:
"Pas sa manière de s'exprimer par ses catégories intellectuelles, Sid Ahmed Ghazali est un français. Par ses origines ... ses responsabilités politiques, il est algérien".

غريب هذا المنطق...

إن الإعلام الغربي يسمح لنفسه بالتصرف في التحليل، وبالتصرف نيابة عن الناس، دون احترام دولة مثل الجزائر. وهكذا يأخذ مسؤولا، هو وزير الخارجية، فيكتب عنه وكأنه يمجده حيث يقول إنه ليس جزائريا سوى بأصله. فهو شخصا له جذور جزائرية كما له مسؤوليته السياسية، وبهذا فقط هو جزائري، أما بوسائل تعبيره وبطريقة تفكيره فلا يمكن أن يكون إلا فرنسيا.

ونقول إن هذا هو الخطر.. ونجده في كل مكان..

الجنوب

ونجد في نفس المقال أيضا، لأن L'Expansion هي جريدة الأوساط التجارية والاقتصادية، نقرأ

ما يلي : «إن الرأي العام الفرنسي منشغل البال وقلق مما يحصل في أمنه بالجنوب»؛ والجنوب ليس هو المغرب العربي فقط، بل المقصود إفريقيا كلها. ولهذا فالمخطط الموجود منذ سنين دشنة (رولان دوما) في إذاعة "مغربية" ويجب ألا ننسى، لأن النسيان من الشيطان.

ويجب أيضا أن نفهم تفاصيل لهذا المخطط، فماذا نحن الآن نرى؟ نرى وزير خارجية فرنسا يقول ما قاله في ميدي 1، شهرا واحدا بعد تصريح (فوزيل) رئيس لجنة الخارجية في البرلمان الفرنسي، وكان يوم 7 فبراير 1991 حيث قال (فوزيل) في الجزائر :

"La France ne souhaite pas que l'Irak soit ecrasee

كان هذا التصريح في فبراير حيث أعلن (فوزيل أن «فرنسا لا تأمل أن يتم سحق العراق». وانظروا كيف تطور في أقل من شهر الموقف الفرنسي..

وكيف يمكن أن ننسى أن مسؤولا في فرنسا، هو المسؤول عن اللجنة الخارجية للبرلمان يقول كلاما من هذا النوع، وبعد أيام قليلة يعمل العكس.

فرنسا... مغاربية

ثم يأتي وزير الخارجية (رولان دوما) ويتكلم عن الحوار، والتعاون، وما يسمى Co-d, pement-velop وعن المصالح المشتركة، وعن الأخوة، والبحر المتوسط، وليس المتوسط كله بل فقط أربعة من دول المغرب العربي وأربعة من أوروبا، لكي لا ندخل مشكل فلسطين. وهو أيضا يتكلم عن الصداقة العربية الفرنسية. وأين هذه الصداقة ونحن نعاين ألوانا من التصرف العنصري؟ ونرى عدم المسامحة تجاه المسلمين والعرب، وبصفة خاصة المغاربة، سواء قبل هذه الحرب أو خلالها أو حتى بعدها.. ولا ننسى..

فهذا هو سيناريو التشتيت والتفتيت.. وهو الذي أدى إلى ما وصلنا إليه بحيث أن دولة تواجه وحدها، وشعبا واحدا يواجه وحده العالم كله ولا أحد يتحرك.. هذا هو المخطط الجديد الغربي الفرنسي الذي ينبني على مصالح ذاتية.

فلا ننسى أن المغرب العربي سيبلغ سكانه خلال أقل من عشر سنوات مائة مليون نسمة. وأن هذه المنطقة تستورد من أوروبا وبالأخص من فرنسا 70٪ من حاجياتها، حيث أن التبادل التجاري بين بلدان المغرب العربي لم يصل بعد إلى 4٪ أو 5٪ من التجارة الدولية. ثم إن هذه منطقة «مضن فسخ» بالنسبة لأوروبا في تعاملها مع بقية أقطار إفريقيا، وإلى هذا فإن المغرب العربي مكان ومقر وتاريخ للإسلام، ولا

يمكن أن نفهم تاريخ الحركة الوطنية وتحرر هذه الدول المغاربية بدون الرجوع الى الحركة السلفية الاسلامية.

الفرنكوفونية

وهذه رحلة فيها هيمنة، وتستغل فيها الفرنكوفونية كوسيلة للبقاء الفرنسي على الخارطة الحضارية، رغم أن عدد الناطقين بالفرنسية في العالم لا يتجاوزون 4٪، وهذه الفرنكوفونية ليست فقط للدفاع عن الفرنسية بل أيضا لمحاربة اللغة العربية.. وهذا مصدر «حق التدخل» الذي كانت فرنسا وراءه وأدى إلى الموافقة في مجلس الأمن الدولي على القرار 688، وليس صدفة أن هذا القرار تم الاتفاق عليه يوم 5 أبريل، أي نفس اليوم الذي تكلم فيه رولان دوما على أمواج ميديا، وهو القرار الذي يسمح للأمم المتحدة بأن تتدخل في أمور داخلية لبعض البلدان فيما يخص الأقليات. إن فرنسا لم تنتظر هذا القرار 688، لأنها تصرف في مرحلة ما بعد الاستقلال، وهذه مرحلة شبه استعمارية.

ولا ننسى التدخل من طرف الصحافة الفرنسية حتى فيما يخص القانون الأخير الذي وافقت عليه الجزائر حول استعمال اللغة العربية كحق داخلي..

وفرنسا مثل بقية دول أوروبا تخشى النمو الديمغرافي في المنطقة، ولها تخوف من التطور الكمي والكيفي للإسلام في المنطقة. وتعاما كالولايات المتحدة التي لها ما يسمى Syndrome الفيتنام، فإن فرنسا لا يمكن أن تنسى هذا الـ Syndrome الجزائري، سواء تعلق الأمر بالثورة الجزائرية أو ما وقع في التاريخ الحديث، وبالتحديد في الانتخابات البلدية بالجزائر.

وأنا أخشى حتى على المسيرة الديمقراطية الحقيقية في الجزائر، لأن الفرنسيين يهابون هذه الانتخابات، وقد لاحظنا أن بعض الأحزاب الشيوعية في الجزائر، وهي فرنكوفونية، أعلنت صراحة : لسنا بحاجة إلى الانتخابات لأن فيها خطرا، (راجع Le Monde) عدد 7 أبريل 1991). وهذا يعني أن الديمقراطية والتعبير عن الرأي خطر، لأنه من الممكن أن يفوز في الانتخابات بعض المسلمين.

إن المخطط الفرنسي الغربي ذو عدة أوجه، وأنا لا أتصور بعد الذي قرأته في L'Expansion أن الفرنسيين يخشون على أمنهم، بل إن فرنسا تهى نفسها لتكون لها جيوش مختصة للتدخل بسرعة في مناطق من العالم الثالث إذا وقع مساس بمصالحها، وهناك سوابق، فستفعل تماما كما تصرفت أمريكا.

... وتنتهي فرنسا

ولكن الخطر هنا من الناحية الحضارية هو أن فرنسا الآن قد انتهت كقوة سياسية، انتهت كقوة عسكرية، انتهت كقوة اقتصادية، انتهت كقوة علمية وحتى ثقافية. وهذا برهان ويشهد به الفرنسيون أنفسهم في كتبهم.

إن فرنسا نفسها، ومعها مجموع أوروبا، تعتبر الهيمنة الامريكية أو ما يسمى Pax Americana ، وهي منشغلة بالأمن الأوروبي وتعرف ما حصل لتأخذ تعويضا في المغرب العربي وأفريقيا.. وهذا تعويض للمأساة التي انتهت إليها. (رولان دوما) نفسه يشير الى هذا.. فيوم 11 مارس. أي قبل مجيئه الى المغرب قال :

v. "La crise du Golfe aura agi comme un révélateur sur l'europe et fait apparaître ses limites et ses insuffisances

هذا كلامه وقد نشر في Le Figaro ليوم 12 مارس 1991، وهو يعلن فيه أن أزمة الخليج قد كشفت وأظهرت واقع أوروبا وما هي حدودها وما عجزها وما ينقصها.

إن فرنسا في أزمة حتى من الناحية العلمية، ففي مجال الاختراعات سجلت اليابان خلال العام المنصرم 200 ألف اختراع جديد، والولايات المتحدة 60 ألف، وألمانيا 30 ألف، وفرنسا 12 ألف. والكل يعرف أن فرنسا في تخلف وأزمة من حيث البحث العلمي، وأن التكنولوجيا في فرنسا توجد في أزمة، وأن اللغة الفرنسية قد انتهت كلغة للعلم والتكنولوجيا. ومرة أخرى يجب أن نكون واعين بأن هذه الشعوب لم تتعامل معنا بمصادقية.

الشارع العربي

ويحضرني هنا مقال للكاتب Charles Krauphammer في مجلة Time Magazine (ص 68) من عدد 15 أبريل 1991. قال : «ما هو رجل الشارع العربي؟ رجل الشارع خلقه المثقفون الذين أرادوا أن يتخوف الغرب من مواقف الدول العربية ضد الغرب، وفي الواقع فإن الرأي العام العربي ورأي عام الشارع هو مراقب من قبل أنظمة لها بوليس سري وشبكات أمنية ولها هيمنة على الإعلام». تصوروا أننا عندهم حتى شخصيتنا غير موجودة، وشعوبنا غير موجودة، ورجل الشارع غير موجود. وإلى هذا يتكلمون عن العالم العربي ويتكلمون عن الخليج.

الصحافة

وعن الخليج ألقى سؤالا واحدا : من آلاف الصحفيين الذين قاموا بتغطية حرب الخليج، من منهم كان يتكلم اللغة العربية؟ ومن كان في إمكانه أن يتصل برجل الشارع ويعرف منه كيف يفكر وما رأيه فيما يحدث؟

وإن هذه الخطة الفرنسية الغربية، ويتعاون مع بعض الأوساط المالية الخليجية، وبعض المثقفين المغاربة، وبدون وعي منهم، تهدف إلى أن تنشئ لدينا ذاكرة ممسوحة. وإذا مولوا صحفا جديدة فمرحبا بهم، فالتعدد والاختلاف سنة وأجر. ولست ضد أية فكرة كيفما كانت، لكن من الواجب أن تكون لنا ذاكرة حقيقية، ومن الواجب أن أقول عندما ألاحظ انحرافا، إن هناك الخطر..

وبهذا، فإن الذكر ينفع لمن أراد أن يتذكر..

وإذا كانت الحكومات والمسكرون السياسيون ينسون بسرعة من قبل التاريخ، إلا بعض الاستثناءات، ولكن الشعوب لا تنسى، وبالذاكرة الشعبية يُكتب التاريخ ويتمهد المستقبل.

هذا الحديث أدلى به د. المهدي المنجرة لجريدة «الخضراء»
يوم الأربعاء ١٥ أبريل ١٩٩١ على الساعة ١١ والنصف ليلا.
«الخضراء» - ١٢ و ١٩ أبريل ١٩٩١.

عندما تهجرنا الكفاءات الهجرة إلى الخارج.. وهجرة إلى الداخل^(x)

... الهجرة أنواع..

لنا هجرة إلى الخارج، ونحسبها بالجوازات والتأشيرات..

ولنا أيضا هجرة داخلية.. فحتى الأدمغة التي لم تذهب إلى الخارج، تهجر داخليا.. فهناك إنن هجرة الأدمغة، والهجرة داخل الأدمغة.. فعندنا عدد من المثقفين الذين بقوا في بلدانهم. لهم هجرة داخل أدمغتهم.. وكم مثقف يفتخر إذ يقول إن آخر كتاب قرأته كان منذ ثلاثة أو أربعة شهور..

هذا يؤسف له حقا.. فقد وصل لحد من العلم، بحيث أنه مدير عام أو وزير، وهو ليس محتاجا، وكان عليه أن يتتبع المعرفة..

وهذه هجرة للمعرفة..

وإن، عندنا هجرة إلى الخارج، وهجرة داخلية، وهي أن الكفاءة موجودة ويجب أن تبقى في بلدها وتحارب العراقيل الموجودة وهي مهمشة.. وهناك أشخاص لهم أدمغة أو كانت لهم أدمغة ومعرفة، وهم الآن في موقع المسؤولية، ولا يستغلون هذه المعرفة بل أكثر من ذلك يضيعون المعرفة. والمهم أننا واعون بالإشكالية..

وأريد أن أركز على قضية (الأدمغة)، وهي أن العبارة قد استعملت لأول مرة بالانجليزية.. وأتذكر، لأن هناك قرارا للجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 2320 (وتاريخه: عام 1967)، وكانت المبادرة من الهند ومصر وإيران والبرازيل ونيجريا، وكنت ممثلا لمنظمة اليونسكو آنذاك، وكان مطلوبا مني أن ألعب دورا في هذا المضممار.. وأول دراسة في الموضوع ظهرت عام 1968... وبعد ذلك ظهرت دراسات أخرى.. لكن العبارات مهمة..

فقد بدأنا بعبارة باللغة الانجليزية وهي (Brain Drain)، وكان السؤال المطروح : كيف نترجم العبارة؟ وبعد أخذ ورد تم الاتفاق على أن الترجمة ليست (La fuite des cervaux)، ولكن (L'exode des competences)، أي هجرة الكفاءات..

لماذا ؟

لأن الأدمغة لا تهجر الأدمغة.. لكن الكفاءة هي التي ترحل.. وبذلك يكون المقصود هو : هجرة الكفاءات..

هذا هو المهم.. المهم أن عندك كفاءة لكنك لا تستغلها..

وبيّنت فكرة (Brain Drain) إلى عام 1974 إلى أن جاء قرار لمنظمة الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، فبدأت فكرة أخرى صرنا نسميها (Reberve transfer of technology) ، ولم تعد المسألة مسألة الأدمغة أو الكفاءات، بل صارت بالصيغة التالية : ما هي نتيجة هذه الهجرة بالنسبة للإقتصاد؟ ولا داعي للخوض في التفاصيل..

وأعود إلى عام 1968.. إن تلك الدراسة التي أنجزناها، وهذا صلب موضوعنا وهو ليس منهجية التنمية ولكن : النموذج التنموي..

وأظن أن النموذج التنموي لدول العالم الثالث منذ الستينات تسبب ولا يزال، في عدة مشاكل، لأنه مبني على التقليد الأعمى بدون دراسة كافية للمناخ والبيئة والقيم التي يتطور فيها، وبدون الاهتمام بأهداف الشعوب وانعدام رؤيا للمجتمع.. وانعدام الرؤيا هو أخطر من التخلف. ولا يمكن أن تكون لنا رؤيا مجتمعية اقتصادية وثقافية واجتماعيا.. لماذا؟

الجواب : من له الحق في أن يحتكر تكوين هذه الرؤيا ؟

إن هذه الرؤيا لن تكون حقيقية إذا لم تكن رؤيا لكل المجتمع، رؤيا بمشاركة كل فئات المجتمع.. فكيف تكون رؤيا بدون تعددية؟ وبدون حرية الرأي التامة؟

وأقولها وأكررها : ليس في الإسلام حدود للتعبير عن الرأي.. وأتحدى أي عالم، كيفما كان، أن يعطي تفسيراً بأن الإسلام قد جاء بحدود في التعبير عن الرأي. التعبير عن الرأي مضمون ما دام الإنسان لم يمس حقاً من حقوق إنسان آخر.. وهذا موجود في جميع القوانين.. إن من حق الإنسان أن يعبر عن رأيه.. وبدون ممارسة حرية التعبير لا يمكن أن نتقدم.

وإن حرية الرأي انتهت في المجتمع الإسلامي بقفل باب الاجتهاد.

وبدأ التدهور..

ومفهوم لباب الاجتهاد من الناحية المعاصرة هو : الحرية التامة الشاملة للرأي، لأن الإسلام لا رهبانية فيه، ولا حق لطبقة فيه، وهم العلماء، في أن يفرضوا حدا لحرية التعبير وحرية الرأي والتفكير.

وهذا هو الاجتهاد الحقيقي..

الإسلام يضمن حرية الرأي..

واحد أن يدخل إلى مبنى القرويين.. إلى مكان له حرمة.. إلى مكان علم..
والحرّم له شروط من جميع النواحي.. حرّم من جهة الشرطة.. حرّم من جهة السلطة... حرّم واحترام
للعالم نفسه، وداخل نفسه.. فهذا مكان علم.. وهناك أشياء مباحة وما هو غير مباح.. هناك رقابة ذاتية
لاحترام الغير..

هذا الحرم ليس موجودا.. ويوميا نقرأ في الصحف أن وزراء مسؤولين عن التعليم العالي يعطون
تعليمات لتدخل الشرطة.

أما إذا تحدثنا عن البحث العلمي، فهذا موضوع فيه ما فيه..
ونأخذ مثلا من بلد كاليابان.. إذا أخذنا ميزانية البحث العلمي وميزانية وزارة الداخلية كلها، لأن
اليابان أيضا فيها مشاكل أمنية، ولها شرطة خاصة والجيش الأحمر، نجد أن النسبة هي واحد على
سبعين.. فكل دولار يذهب إلى شرطي فإن سبعين تذهب في نفس الوقت إلى البحث العلمي..
ولا داعي لأن أعطيكم مقارنة مع بلداننا..

ولكن دعونا نتكلم عن جانب آخر من الموضوع.. فبعضهم يقول لنا : لا بد من المساعدات الفنية..
أية مساعدات هذه ؟

تعالوا بنا إلى الأرقام.. وأقدم لكم أرقاما من فرنسا.. عن الأشخاص الذين وصل تكوينهم إلى ما
فوق الدكتوراه :

الرقم القياسي للمغرب وهو 650، ويأتي بعد الولايات المتحدة وألمانيا وبريطانيا.. بعد هذه الدول
العظمى يأتي المغرب بعدد 650 إطار بمستوى ما فوق الدكتوراه.. وبعد إسبانيا وإيطاليا وكندا تأتي
الجزائر بنسبة 500. وبعد بولونيا والبرازيل تأتي تونس بنسبة 450.

إن لنا 1.500 على الأقل، وهو عدد لا يحصي الأشخاص الموجودين في الجامعات.. ونحن ليست
لنا حتى إحصائيات في هذا المضمار، ونذهب دائما إلى مكاتب الهجرة بالدول الأجنبية للحصول على
أرقام..

إننا لا نعطي أية قيمة لمفكرينا وأدبغتنا ولا نتابعهم إلا من الناحية (الداخلية).. وما قد تسأل عن
فلان، فيقال لك : «نعم، نعرفه، لقد وصلنا تقرير عن آخر محاضراته.. وقد قال في محاضراته ببروكسيل كذا
وكذا»..



عندما نهجرنا الكفاءات الهجرة إلى الخارج.. وهجرة إلى الداخل

عندنا هذه القدرة لاستخدام العلوم والتكنولوجيا لمتابعة هؤلاء المفكرين..

ولكن إذا سألت كم عندنا من الفيزيائيين والكيميائيين والمختصين في القانون الدولي. قيل لك : «لا

ندري، عليك الاتصال بالسفارة الفرنسية أو الانجليزية...».

العرض في أصله قدم خلال ندوة دولية حول
«هجرة العقول»، (جمعية «النهضة»)
الجزائر - أبريل 1991

«المساء»، 26 أبريل 1991.

«الخبر»، 27 أبريل 1991.

«السلام»، 25 أبريل 1991.

«الخضراء»، 10 ماي 1991.

- HORIZONS, 25 - 04 - 1991.

- EL MOUDJAHID, 25 - 04 - 1991.

الفصل الثالث

**مستقبلنا بعد الحرب
قراءة مستقبلية حول تحديات الواقع
وضرورات المستقبل
ماضي المستقبل**

